مدارج الصعود

إلى اكتساء البرود

للعالم العلامة والبحر الفهامة

الشيخ محمّد نووي بن عمر بن عربي البنتني الجاوي الشافعي

شرح مولد البرزنجي

السيد جعفر بن حسن بن عبد الكريم

البرزنجي الحسيني المدني الشافعي

اعتنى به:

أبو أرشد داني ولدان الجمفاكي البنتني

DĀRUL WILDĀN

دار الولدان

مدارج الصعود

إلى اكتساء البرود

الطبعة الأولى
١٤٤٧ هـ / ٢٠٢٦ م

عنوان الكتاب	:	مدارج الصعود إلى اكتساء البرود
التصنيف	:	السيرة النبوية
مؤلف الشرح	:	الشيخ محمد نووي بن عمر بن عربي البنتني الجاوي الشافعي
مؤلف المتن	:	السيد جعفر بن حسن البرزنجي
بلد الطباعة	:	تنجرانج، بنتن
عدد الصفحات	:	١٧٦
قياس القطع	:	١٧ × ٢٤
الطبعة	:	الأولى
سنة الطباعة	:	١٤٤٧ هـ/ ٢٠٢٦ م
المعتني به	:	أبو أرشد دّني ولدان الجمفاكي البنتني

e-mail: darulwildan25@gmail.com

DĀRUL WILDĀN

مَدَارِجُ الصُّعُوْد

إِلَى اكْتِسَاءِ الْبُرُوْد

للعالم العلامة والبحر الفهامة

الشيخ محمّد نووي بن عمر بن عربي البنتني الجاوي الشافعي

شَرْحُ مَوْلِدِ الْبَرْزَنْجِيِّ

السيد جعفر بن حسن بن عبد الكريم

البرزنجي الحسيني المدني الشافعي

اِعْتَنَى بِهِ :

أَبُوْ أَرْشَدْ دَنِي وِلْدَانْ الْجَمْفَاكِي الْبَنْتَنِيّ

DĀRUL WILDĀN

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي بعث فينا رسوله الأعظم، وجعل أمته وسطا خير الأمم، حتى يكونوا يوم القيامة شهداء على سائر الأمم، صلى اللّه تعالى على النبي الأكمل الأفخم، سيدنا محمد ذي مكارم الشيم، وعلى آله الذي في سلك دينه انتظم، وصحبه حُماة الدين الأقوم، وشرّف وكرّم، ومجّد وعظّم (أما بعد).

فيقول الحقير الفقير كثير المَساوي محمد المعروف بين الناس باسمه نووي: لما كتبتُ شرح المولد للسيد زين العابدين(١) الملقب بـ«عقد عقيان» طلب مني بعض من أحسن الظن بي مرارا أن أكتب شرحا لطيفا على المولد للسيد جعفر الملقب بـ«جواهر عقد» وبـ«البرود»، يبين المراد ويسهل لأبناء جنسي إلباس(٢) معانيها واكتساء مبانيها، فإنهم لا يكتفون بالشرح الكبير لبلادتهم وقصر هممهم لاسيما في هذا الإبان، على أن هذه الجواهر قد فاقت في البلاغة جميع المؤلفات في هذا الشأن، وكثر استعمالها في البلدان، كيف لا وهي السحر الحلال والماء الزلال، ولما كان وضعها في هذا الغرض لم تسمح قريحة بمثالها، ولم ينسج ناسج على منوالها، وصار المغرد بها كالطائر المترنم فوق الأغصان، فالتقطت دررا من الخلاصة المرضية لشيخنا الشيخ يوسف السنبلاويني ومن المواهب للقسطلاني ومن الشفاء للقاضي عياض وشرحه للشيخ عليّ ومن غيرها ليكون المجموع شرحا يفيد الطالب، وسميته باسمين:

مدارج الصعود إلى اكتساء البرود، وأساور العسجد على جواهر عقد

(١) قوله: (**شرح المولد للسيد زين العابدين**) أي: ترغيب المشتاقين لبيان منظومة السيد زين العابدين.

(٢) قوله: (**إلباس**)، وفي المطبعة العامرة: «لباس».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه افتتح هذا الوجود بالنور المُحمدي الساري في كل قضية * وجعل ببروز ذاته اختتامه وانتهاه * ....

وأهديت ثوابه إلى حضرة سيد المرسلين، زيادة في شرفه راجيا من اللّه غفران الذنوب وشفاعة سيد الأولين والآخرين، ووجدت لهذه البرود تأبينا أو تقريظا فشرعت في شرح ذلك أولا وهو قوله:

(**بسم الله الرحمٰن الرحيم**) افتتح المؤلف بالبسملة اقتداء بالكتب السماوية وعملا بالأحاديث النبوية وإجماع الأمة المحمدية، وكذلك ابتدأ بالحمدلة وقال: (**الحمد للّه افتتح هذا الوجود**) أي: وجود الخلائق (**بالنور المحمدي**) منسوب لمحمد ﷺ (**الساري في كل قضية**) أي: أمر قدره اللّه تعالى قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة (**وجعل ببروز ذاته**) أي: النور (**اختتامه**) أي: كل قضية (**وانتهاه**)، قال كعب الأحبار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لمّا أراد اللّه خلق الموجودات وخفض الأرض ورفع السموات قبض قبضة من نوره، وقال لها: كوني محمدا، فصارت عمودا من نور وأشرق حتى انتهى إلى حجاب الظلمة فسجد وقال: الحمد للّه، قال اللّه تعالى لذلك: خلقتك وسميتك محمدا، منك أبدأ الخلق وأختم الرسل، ثم إن اللّه تعالى قسم نوره على أربعة أقسام، فخلق من الأول اللوح، ومن الثاني القلم ثم قال اللّه للقلم: اكتب، فارتعد القلم ألف سنة من هيبة خطاب اللّه تعالى، ثم قال: وما أكتب؟ قال: اكتب لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، فكتب القلم ذلك، فاهتدى إلى علم اللّه في خلقه، فكتب أولاد آدم لصلبه من أطاع اللّه أدخله الجنة ومن عصى اللّه أدخله النار، أمة نوح من أطاع اللّه أدخله الجنة ومن عصى اللّه أدخله النار، أمة إبراهيم

....

من أطاع اللّه أدخله الجنة ومن عصى اللّه أدخله النار، أمة موسى من أطاع اللّه أدخله الجنة ومن عصى اللّه أدخله النار، أمة عيسى من أطاع اللّه أدخله الجنة ومن عصى اللّه أدخله النار، أمة محمد من أطاع اللّه أدخله الجنة ومن عصى اللّه، وأراد أن يكتب: أدخله النار، وإذا النداء من العلي الأعلى: يا قلم تأدب، فانشق القلم من الهيبة، وانقط بيد القدرة، فصار عادة كل قلم لا يكتب إلا مشقوقا مقطوطا، وقال له: اكتب أمة مذنبة ورب غفور. ثم خلق اللّه من القسم الثالث العرش، ثم قسم الرابع على أربعة أقسام، فخلق من الأول العقل، ومن الثاني المعرفة، ومن الثالث نور العرش وضوء الأبصار وضوء النهار، فكل هذه الأنوار من نور محمد ﷺ، فكان أول المخلوقات كلها، ثم بقي القسم الرابع مستودعا تحت العرش حتى خلق اللّه عَزَّوَجَلَّ آدم عَلَيۡهِ‌ٱلسَّلَامُ، فأودع اللّه ذلك النور في ظهره وأسجد له الملائكة وأدخله الجنة، فكان الملائكة يقفون ظهر آدم صفوفا ينظرون إلى نور محمد ﷺ، فقال آدم: يا رب لم هؤلاء الملائكة يقفون خلف ظهري صفوفا، قال اللّه تعالى: يا آدم ينظرون إلى نور حبيبي محمد خاتم الرسل الذي أخرجه من ظهرك، فقال لآدم: يا رب اجعل هذا النور في مقدمي كي تستقبلني الملائكة، فجعله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في جبهته، فصارت الملائكة تقف قبالة وجه آدم، ثم إن آدم قال: يا رب اجعل هذا النور في موضع أراه، فجعله في سبابته، وكان آدم ينظر إلى حسن ذلك النور فيزداد حسنا وبهاء، وكان آدم يسمع له تسبيحا عظيما، ثم انتقل إلى شيث فأخذ عليه آدم العهد أن لا يضع هذا النور إلا في المطهرات من النساء، ثم لم يزل النور ينتقل من كريم إلى كريم ومن طاهرة إلى طاهرة إلى أن وصل إلى صلب عبد اللّه بن عبد المطلب، ثم أخرجه ﷺ إلى الدنيا فجعله سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة للعالمين وقائد الغر المحجلين.

وخص أهله الفاخر ونسله الطاهر بالأسرار الإلهية ❊ فكانوا حصنا حصينا لأهل الأرض وللدين حُماة ❊ والصلاة والسلام على خير البرية ❊ وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن والاه ❊ (وبعد) فيقول العارف الذي حاز من الفضائل كل منحة سنية ❊ وتحلى بعلم الظاهر ....

(**وخص أهله الفاخر**) أي: قرابته ﷺ الجيدة وزوجاته العظيمة (**ونسله**) أي: ولده ﷺ (**الطاهر**) من العيوب الحسية والمعنوية (**بالأسرار الإلهية**) وهي ما أفاضه اللّه تعالى على القلوب من المعارف (**فكانوا**) أي: أهله ﷺ ونسله (**حصنا**) وهو البناء حول القرية مثلا (**حصينا**) أي: قويا (**لأهل الأرض**) فلولاهم لهلك أهل الأرض كما روي في الحديث (**وللدين**) أي: الأحكام الشرعية (**حماة**) أي: حفظة، بضم الحاء جمع «حَامٍ» (**والصلاة**) أي: الرحمة المقرونة بالتعظيم (**والسلام**) أي: التحية اللائقة (**على خير البرية**) أي: الخلق، وقد تركت العرب همزه، قال الفراء: وإن أخذت «البرية» من «البري» هو التراب، فأصلها غير الهمزة. (**وعلى آله**) أي: أهل بيته، وهم مؤمنو بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف، وإعادة الخافض إشارة إلى أن الصلاة على آله أقل رتبة من الصلاة الواقعة على النبي، وليكون كل منهما مختصا بصلاة لما في الجمع بينهما بصلاة من سوء الأدب، فأفادت هذه الجملة حينئذ تكرار الصلاة، لأن تكرار المتعلَّق -بفتح اللام- وهو «على» يفيد تكرار المتعلِّق -بكسرها- وهو الصلاة. (**وأصحابه**) المهاجرين والأنصار (**وأتباعه**) من المسلمين ولو عصاة (**ومن والاه**) أي: أكرمه وأحبه (**وبعد**) أي: بعد ما تقدم من البسملة والحمدلة والصلاة والسلام (**فيقول العارف**) باللّه (**الذي حاز**) أي: جمع (**من الفضائل**) أي: النعم والمزايا القاصرة كالعلم والحلم والصدق والأمانة والحياة، فالعلم نعمة قاصرة بالتحقيق إن لم يتعد أثرها للغير كما أفاده عطية (**كل منحة**) أي: عطية (**سنية**) أي: حسنة وعلية (**وتحلى**) أي: تزين ذلك العارف (**بعلم الظاهر**) كمسائل العبادات والمعاملات

والباطن وصار ديدنه وغاية مرماه ❊ ذو النسب الطاهر الذي حُبُّه في القيامة منجٍ من النار المَحمية ❊ مولانا السيد جعفر ابن حسن مَن إلى البرزنجي نسبته ومنتماه ❊

ونحوها (**والباطن**)، وعلم الباطن هو ما يدل على تطهير القلوب من خبائثها (**وصار**) أي: ذلك العلم (**ديدنه**) أي: دأبه وعادته، أي: ذلك العارف (**وغاية مرماه**) أي: مقصوده، وهو محل علوه ورفعته، و«الديدان» بألف قبل النون أو بدونـها. (**ذو النسب الطاهر**) من أقذار الرجال والنساء وهو النسب المحمدي (**الذي حبه**) أي: هذا النسب (**في القيامة**) أي: وهو وقت قيام الناس لرب العالمين (**منجٍ من النار**) أي: جهنم (**المحمية**) أي: شديد الحرارة، والمجروران متعلقان بـ«منج». (**مولانا**) أبو السيد زين (**السيد جعفر بن حسن**) بن عبد الكريم المدفون بجدة ابن السيد محمد المدني (**من إلى**) أبي محمد المدني الذي هو السيد رسول (**البرزنجي نسبته ومنتماه**) أي: استناده[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) قوله: (**استناده**) وفي المطبعة العامرة: «أي: إسناده».

اَبْتَدِئُ الْإِمْلَاءَ بِاسْمِ الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ * مُسْتَدِرًّا فَيْضَ الْبَرَكَاتِ عَلٰى مَا أَنَالَهُ وَأَوْلَاهُ * وَأُثَنِّيْ بِحَمْدٍ مَوَارِدُهُ سَائِغَةٌ هَنِيَّةٌ *..

(أبتدئ الإملاء) أي: إلقاء الكلام في قصة المولد النبوي والسيرة المصطفوية والشمائل المحمدية (باسم الذات) أي: البحت (العلية) أي: عالي الرتبة في جميع صفات الكمال (مستدرا فيض البركات) فـ«مستدرا» حال من الضمير المستتر في «أبتدئ» أي: مستكثرا أو مستنزلا سيلان الزيادات (على ما أناله) أي: على الذي أعطاه اللّه إياي (وأولاه) أي: أنعم به علي (وأُثَنِّيْ) بفتح الثاء المثلثة وتشديد النون المكسورة، أي: أبتدئ ثانيا (بحمدٍ مَوارِدُهُ سائغةٌ هَنِيَّةٌ) أي: مصادر الحمد سهلة من غير تعب، ومتعلقاته نعمة وغيرها. ويصح أن يقرأ قوله «وأثني» بضم الهمزة وسكون الثاء، والمعنى: وأثني على اللّه تعالى بحمد، أي: بذكر جميل مصدره اللسان فقط، ومتعلقه نعمة أو بلاء، والمراد بالموارد هنا مصدر الحمد وهو اللسان، ومتعلقه النعمة وغيرها.

فإن الحمد اللغوي الذي طلبت بداءة الكتاب به هو الثناء باللسان في مقابلة نعمة أو بلاء لأجل الجميل الاختياري حقيقة أو حكما مع التعظيم ظاهرا وباطنا بأن لا يعتقد خلاف ما وصفه بالحمد ولا تخالفه أفعال الجوارح.

وأما الحمد الاصطلاحي فلا يطلب البداءة به، وهو فعل يدل على تعظيم المنعم من حيث كونه منعما على الحامد أو غيره، سواء كان ذلك قولا باللسان أو اعتقادا بالجنان أو خدمة بالأعضاء.

وإنما كانت مصادر الحمد سائغة، أي: سهلة وهنية، أي: من غير تعب لأن الحمد لا يكون بآلة النطق فقط بل بغيرها ولو يدا، وكذلك متعلقه لأنه يكون في مقابلة نعمة أو بلاء.

وَمُمْتَطِيًا مِنَ الشُّكْرِ الْجَمِيْلِ مَطَايَاهُ * وَأُصَلِّيْ وَأُسَلِّمُ عَلَى النُّوْرِ الْمَوْصُوْفِ بِالتَّقَدُّمِ وَالْأَوَّلِيَّةِ * اَلْمُنْتَقِلِ فِي الْغُرَرِ الْكَرِيْمَةِ وَالْجِبَاهِ * ....

(**وممتطيا**) بالياء، أي: راكبا، وهو حال من «حمد» فإنه موصوف بجملة بعده (**من الشكر الجميل مطاياه**) أي: أباعره، أي: الحمد، وهم جمع «مطية» بمعنى بعير، فقوله: «مطاياه» مفعول به لـ«ممتطيا»، وقوله: «من الشكر» بيان له مقدم عليه، والمعنى: أحمد اللّه تعالى حال كوني آتيا بالشكر تحت ذلك الحمد، فإن الشكر اللغوي مرادف للحمد الاصطلاحي، وهو أمر دال على تعظيم المنعم بسبب كونه منعما على الشاكر أو غيره، سواء كان ذكرا باللسان أو محبة بالجنان أو خدمة بالأعضاء، والشكر الاصطلاحي: صرف العبد جميع ما أنعم اللّه به عليه من السمع وغيره إلى ما خلق لأجله، فشبه المصنف الشكر بالبعير، ونفس الشاكر بالراكب في كونه ملازما للحمد والشكر كملازمة الراكب للمركوب.

(**وأصلي**) أي: أطلب صلاة اللّه، أي: رحمته (**وأسلم**) أي: أطلب سلام اللّه، أي: تحيته (**على**) صاحب (**النور الموصوف بالتقدم**) على كل مخلوق (**والأوّلية**) أي: كونه أوّلا بالنسبة لسائر المخلوقات كما في حديث جابر أنه سأل رسول اللّه ﷺ عن أول ما خلقه اللّه تعالى قال: «إن اللّه خلق قبل الأشياء نور نبيك، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء اللّه، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة لا نار ولا ملك و لا إنس ولا جن ولا أرض ولا سماء ولا شمس ولا قمر»، وعلى هذا فالنور جوهر لا عرض. (**المنتقل**) بتقديم النون الساكنة على التاء، أو تقديم المثناة على النون المفتوحة، وكلاهما للمطاوعة (**في الغرر**) أي: الوجوه (**الكريمة**) أي: النفسية (**والجباه**)، كما قال بعضهم من بحر الطويل:

وَأَسْتَمْنِحُ اللهَ تَعَالَىٰ رِضْوَانًا يَخُصُّ الْعِتْرَةَ الطَّاهِرَةَ النَّبَوِيَّةَ * وَيَعُمُّ الصَّحَابَةَ وَالْأَتْبَاعَ ......

تنقل نور المصطفى سيد البشر ۞ إلى ظهر آدم كان أضوا من القمر
وكان يرى الأملاك تأتي من السما ۞ وتسجد إجلالا إلى بارئ الصور
وتعلن بالتسبيح شكرا لربها ۞ وترفع للمحمود جل الذي قهر
لقد جاء في الإنجيل نعت صفاته ۞ كما جاء في التوراة أيضا وفي السور
ولما رأى الأملاك تأتي لظهره ۞ وتسجد إجلالا لها آدم انبهر
وقال إلهي ذلك النور من يكن ۞ فإني أرى الأملاك تأتي له زمر
فقال له الرحمن نور محمد ۞ من اخترته من سائر البدو والحضر
فقال له يا رب إني أريد أن ۞ يكون أمامي كي أمتع بالنظر
فتجعله في سبابتي وأنيسه ۞ أبا بكر في الوسطى وفي بِنْصَرِي عمر
وفي خِنْصَرِي عثمان ذو النور والبَهَا ۞ والإبهام فيه حيدر الطهر ذو الفخر
فإن سبح المولى فمعه مسبحا ۞ محمد والأمجاد أصحابه الغرر

(وأستمنح اللّه تعالى) أي: أطلب منحه تعالى، أي: إعطاءه (رضوانا) بكسر الراء وضمها (يخص العترة) أي: أهل البيت (الطاهرةَ) من الشرك ومن كل دنس (النبوية) أي: المنسوب للنبي ﷺ لتفرعها عنه ﷺ (ويعم) أي: الرضوان (الصحابة) بفتح الصاد جمع «صاحب»، وهو من اجتمع بالنبي ﷺ يقظة بعد النبوة وقبل وفاته مؤمنا به وإن لم يَرْوِ عنه وإن لم يطل اجتماعه به ولم يجالسه ولم يره لمانع كالعمى أو لم يره النبي ﷺ أو كان صبيا أو وقعت له ردة ولم يلق النبي ﷺ بعدها ثم مات مؤمنا (والأتباع) بقتح الهمزة وسكون

وَمَنْ وَالَاهُ * وَأَسْتَجْدِيْهِ هِدَايَةً لِسُلُوْكِ السُّبُلِ الْوَاضِحَةِ الْجَلِيَّةِ * وَحِفْظًا مِنَ الْغَوَايَةِ فِي خِطَطِ الْخَطَإِ وَخُطَاهُ * وَأَنْشُرُ مِنْ قِصَّةِ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ بُرُوْدًا ....

التاء جمع «تَبَع» كـ«سبب» و«أسباب» وهم الذين اجتمعوا بالصحابة (**ومن والاه**) أي: أكرمه وأحبه ﷺ.

(**وأستجديه**) أي: أطلب جدواه تعالى، أي: عطاءه (**هِداية**) أي: دلالة (**لسلوك السُّبُل**) أي: الأحكام الشرعية التي يكون العمل بها سببا في الوصول إلى الجنة، فشبهت بالطرق الحسية الموصلة للمقصود لكون كل يوصل إلى المقصود والنجاة، (**الواضحة**) أي: الظاهرة (**الجلية**) أي: المنكشفة لا خفاء فيها بالكلية (**وحفظا**) بكسر الحاء، أي: أطلب منه تعالى حراسة (**من الغواية**) بفتح الغين كـ«الضلالة» وزنا ومعنى (**في خطط الخطإ**) أي: مواضع الخطإ الذي هو ضد الصواب أو في أموره وخصاله، و«الخطط» بكسر الخاء المعجمة جمع «خِطة» بكسرها أيضا، وهي في الأصل: الأرض الخربة التي لم ينزلها نازل، و«الخُطط» بضم الخاء جمع «خُطة» بضمها أيضا، وهي بمعنى أمر وحال وخصلة (**وخُطَاه**) بضم الخاء، أي: طرقه، أي: الخطإ[1]، وهي جمع كثرة لـ«الخطوة» بضمها، هي في الأصل ثلاثة أقدام، وهي ذراع ونصف.

(**وأنشر**) أي: أبسط وأظهر (**من قصة المولد النبوي**) والسيرة المصطفوية والشمائل المحمدية وهذا بيان لما بعده (**برودا**) أي: ثيابا مخططة، بضم الباء جمع «بُرد» بضمها أيضا، ويجمع أيضا على «أبراد» و«أبرد»، وأما «البردة» فبضم فسكون وبالهاء فهو كساء أسود مربع فيه صور تلبسه الأعراب، وجمعها «برد» بضم ففتح، كما علم من الصحاح

(١) قوله: (**أي: الخطإ**) أي: الضمير في «خطاه» و في «طرقه» عائد إلى «الخطإ».

حِسَانًا عَبْقَرِيَّةً * نَاظِمًا مِنَ النَّسَبِ الشَّرِيْفِ عِقْدًا تَحَلَّى الْمَسَامِعُ بِـحُلَاهُ * وأَسْتَعِيْنُ بِـحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ الْقَوِيَّةِ * فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ *

وغيره. (**حِسانا**) بكسر الحاء جمع «حَسَن» وزان «جَبَل» و«جِبال» كما في المصباح. (**عبقرية**) أي: نفيسة دقيقة الصنعة، وفي القاموس: و«العبقري» الكامل من كل شيء والذي ليس فوقه شيء (**ناظما**) أي: جامعا في السلك، وهو حال من فاعل «أنشر»، (**من النسب الشريف**) بيان لما بعده، وهو أسماء آبائه ﷺ (**عقدا**) بكسر العين المهملة، أي: جواهر لتصير قلادة، والعقد هو القلادة من الجواهر كما قاله محمد الشنواني، لكن المراد بالعقد هنا الجواهر لأنـها التي تجمع في الخيط لا القلادة (**تحلى**) بالبناء للفاعل، وهو فعل ماض مذكر مفيد للمطاوعة، أو فعل مضارع بحذف إحدى التائين فيكون مؤنثا، أو فعل مضارع مبني للمجهول مفيد للتعدية، فالتاء والحاء على الاحتمالين الأولين مفتوحتان، وأما على الاحتمال الثالث فالتاء مضمومة والحاء مفتوحة، أي: تزين (**المسامع**) أي: أسماع الحاضرين في تلك المجالس، وهو مصدر ميمي جمع «مسمع» بفتح الميم الثانية، (**بحلاه**) بضم الحاء وكسرها، وهو الأفصح جمع «حِلية» بكسرها فقط بمعنى صفة، فهو بحذف مضافين، أي: بسماع ذكر صفاته، أي: العقد، فجملة «تحلى المسامع» في محل نصب صفة لـ«عقد»، ويصح أن تكون صفة أو حالا من «برودا»، فيكون ضمير «حلاه» عائدا إليه، ويصح أيضا أن تكون حالا من «قصة المولد» فيكون ضمير «حلاه» عائدا إليه، واللّه أعلم، وأما بفتح الحاء فلم أجد له طريقا. (**وأستعين**) في نسج هذه البرود وإظهار القصة في هذه الورقات (**بحول اللّه**) أي: قدرته (**وقوّته القوية**) أي: الكاملة (**فإنه**) أي: الشأن، وهو تعليل لـ«أستعين» (**لا حول**) أي: لا تحوّل عن معصية اللّه (**ولا قوة**) أي: على طاعة اللّه (**إلا باللّه**) أي: إلا بعصمة اللّه.

عَـطِّـرِ اللّٰـهُـمَّ قَبْرَهُ الْكَـرِيْـمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمٍ

ولما أراد المصنف الشروع في المقصود فصل كلامه بالصلاة والسلام على أشرف الأنام، وهكذا عادته، كلما أراد الانتقال من كلام إلى كلام أتى بهذه الصيغة: (**عطر اللهم قبره الكريم**) أي: الجامع لأنواع الكمال (**بعرف**) بفتح فسكون، أي: بريح (**شذي**) بتشديد الياء، منسوب إلى «شذا» وزان «حصى» وهو العود وشدة ذكاء الرائحة (**من صلاة وتسليم**) والمعنى: طيب اللهم قبره الكريم بريح منسوب إلى ذي شدة ذكاء الرائحة، أي: بريح منسوب إلى كسر العود، وهو رحمة وتحية، وهذا إذا ضبط «شذي» بكسر الذال وبتشديد ياء النسبة على أنه صفة، وكذا إذا جعل مضافا إليه لـ«عرف» فهو من إضافة الموصوف إلى صفته، ويصح أن يقرأ «شَذى» بفتح الشين والذال معا جمع «شَذَاة» مثل «حصى» و«حصاة»، وحينئذ يتعين كونه مضافا إليه، قال الشيخ عليش: ولو قال «بشذي عرف صلاة وتسليم» لكان أحسن اهـ[1]، ولو قال: «عطر اللهم تُربته العلية بعرف شذي من أفضل سلام وصلاة» لأفاد التسجيع كما في سائر كلامه.

* * *

(١) قوله: (**قال الشيخ عليش: ولو قال... إلخ**) إذ يكون فيه مكنية وتخييلية وترشيح، انظر القول المنجي.

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ

فَأَقُوْلُ: هُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَاسْمُهُ شَيْبَةُ الْحَمْدِ ....

(اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْه)

(فأقول) في نظم جواهر عقد أسماء آبائه ﷺ ثم في إظهار البرود من سيره ﷺ وشمائله (هو) أي: الشأن (سيدنا محمد) بحذف تنوينه لوصفه بـ«ابن» مضاف إلى عَلَم (ابن عبد اللّه) وكان إذا مر نـهارا انتشق منه روائح المسك والعنبر، وإذا مر ليلا أشرقت الأنوار من بين عينيه تسطع كالمصباح، وكان أهل مكة يسمونه مصباح الحرم لكثرة نوره (ابن عبد المطلب) مات برمان من طريق اليمن ودفن بالحجون، وعمره مائة وعشر، وقيل وأربعون سنة، وهو المعتمد (واسمه شيبة الحمد) على الصحيح، سمي بشيبة لأنه ولد وفي رأسه شيبة، أي: شعرة واحدة بيضاء، وأضيف «شيبة» لـ«الحمد» إشارة إلى أنه يعيش ويحمد، وإنما قيل له «عبد المطلب» لأن عمه المطلب لما جاء به من المدينة ودخل إلى مكة وقد أضاء من وجهه أنوار رسول اللّه، فأضاءت منها الشعاب[١] والهِضاب[٢] فأتى إليه الناس من كل مكان وأقبلوا على المطلب، وقالوا: أيها السيد مَن هذا الذي معك فلقد أشرقت من نوره الرُبَى[٣] والهضاب، فقال لهم المطلب: هذا عبدي، فصرخوا وقالوا: ما

---

(١) قوله: (**الشعاب**) بكسر الشين جمع «شعب» بكسر الشين وسكون العين، أي: الطريق، أو انفراج بين الجبلين، كذا في معجم المعاني.

(٢) قوله: (**والهضاب**) بكسر الهاء جمع «هَضبة» بفتح الهاء، أي: الجبل المنبسط على الأرض، أو جبل خلق من صخرة واحدة، أو الجبل، كذا في المحيط.

(٣) قوله: (**الربى**) بضم الراء وكسرها جمع «ربوة» بتثليث الراء، وهي: الأرض المرتفعة.

حُمِدَتْ خِصَالُهُ السَّنِيَّةُ[(١)] * اِبْنِ هَاشِمٍ وَاسْمُهُ عَمْرٌو اِبْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَاسْمُهُ الْمُغِيْرَةُ الَّذِيْ يَنْتَمِي الْاِرْتِقَاءُ لِعُلْيَاهُ[(٢)] * اِبْنِ قُصَيٍّ وَاسْمُهُ مُجَمِّعٌ، سُمِّيَ بِقُصَيٍّ لِتَقَاصِيهِ فِيْ بِلَادِ قُضَاعَةَ الْقَصِيَّةِ * إِلٰى أَنْ أَعَادَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى إِلَى ....

أكثر نور عبد المطلب وما أحسن عبد المطلب. (**ابن هاشم**) وكان لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر إلا ويخاطبه ويقول له: أبشر يا هاشم فإنه سيظهر من ظهرك نبي يكون خاتم النبيين والمرسلين. (**واسمه عمرو**) بفتح العين المهملة وسكون الميم، ولقب بـ«هاشم» لأنه كان يهشم اللحم ويجعله ثريدا لقومه زمن الجدب، واختلف في سنه فقيل: عشرون سنة، وقيل: خمس وعشرين. (**ابن عبد مناف**) وكان يقال له: قمر البطحاء، لحسنه وجماله، مات بغزة (**واسمه المغيرة**) بضم الميم وكسر الغين، ولقب بـ«عبد مناف» لعلو شأنه في قومه، وقيل لطوله، وهو الجد الثالث لنبينا، والرابع لعثمان، والتاسع لإمامنا الشافعي (**ابن قصي**) بضم القاف وفتح الصاد المهملة (**واسمه مجمع**) بضم الميم الأولى وفتح الجيم وكسر الميم المشددة، لقب به لأن به جمع اللّه القبائل من فهر (**سمي**) أي: المجمع (**بقُصي لتقاصيه**) أي: لبعده عن عشيرته (**في بلاد قضاعة**) بضم أوله، وهو أبو حي من اليمن، وهو قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ (**القصية**) أي: البعيدة من مكة، وذلك حين احتملت أمه فاطمة بنت سعد من مكة بعد موت أبيه لقضاعة (**إلى أن أعاده اللّه تعالى إلى**

---

(١) قوله: (**حمدت خصاله السنية**) هذه العبارة تثبت في جل النسخ، وتسقط في شرح الشيخ نووي البنتني وشرح السيد جعفر بن إسماعيل البرزنجي.قال الشيخ عبد الرحيم الجرجاوي في تلحين الصنج: وقوله: «حمدت» بالبناء للمفعول، وقوله: «خصاله» بكسر الخاء المعجمة جمع «خصلة» بالفتح، وهي الفضيلة، وقوله: «السنية» النيرة والمضيئة نسبة لـ«السنا» بالقصر. اهـ

(٢) قوله: (**الذي ينتمي الارتقاء لعلياه**) هذه العبارة تثبت في جل النسخ، وتسقط في شرح الشيخ نووي البنتني وشرح السيد جعفر بن إسماعيل البرزنجي.

الْحَرَمِ الْمُحْتَرَمِ فَحَمٰى حِمَاهُ * اِبْنِ كِلَابٍ وَاسْمُهُ حَكِيْمٌ اِبْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ وَاسْمُهُ قُرَيْشٌ وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الْبُطُوْنُ الْقُرَشِيَّةُ * وَمَا فَوْقَهُ كِنَانِيٌّ كَمَا جَنَحَ إِلَيْهِ الْكَثِيْرُ وَارْتَضَاهُ * اِبْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ ....

(الحرم) أي: حرم مكة **(المحترم)** أي: المعظم **(فحمى)** من باب «رمى» **(حماه)** بكسر الحاء، أي: منع مُجَمَّعٌ ممنوعاتِه[١]، أي: حرم مكة **(ابن كلاب)** وهو الجد الثالث لآمنة أُم نبينا، ففي كلاب يجتمع نسب أبيه ﷺ وأمه **(واسمه حكيم)** بفتح الحاء وكسر الكاف، ولقب بـ«كلاب» لأنه كان يكثر الصيد بالكلاب **(ابن مُرّة)** بضم الميم وشد الراء مفتوحة، وهو الجد السادس لأبي بكر، ويجتمع الإمام مالك مع نبينا في هذا الجد **(ابن كعب)** بفتح الكاف وسكون العين، وسمي به لعلوه وارتفاعه، وهو الجد الثامن لعمر بن الخطاب **(ابن لؤيّ)** بضم اللام وفتح الهمزة وشد الياء **(ابن غالب)** سمي به لأنه غالب لأعدائه **(ابن فهر)** بكسر الفاء وسكون الهاء **(واسمه قريش وإليه)** أي: فهر **(تنسب البطون)** أي: الجماعة **(القرشية)** بحذف الياء التي قبل الشين فرقا بين هذا ودابة البحر التي تأكل دواب البحر في حال النسبة **(وما فوقه)** أي: فهر من آبائه **(كناني)** أي: منسوب إلى كنانة ابن خزيمة القرشي على الصحيح كذا قاله أحمد القسطلاني **(كما جنح)** أي: مال **(إليه)** أي: هذا القول **(الكثير وارتضاه)** أي: اختار الكثير هذا القول **(ابن مالك)** سمي به لأنه ملك العرب **(ابن النضر)** بفتح فسكون، وهو لقبه واسمه قيس، لقب بـ«النضر» لأن وجهه كان يتلألأ نورا **(ابن كنانة)** بكسر الكاف، وقيل له ذلك لأنه لم يزل في كِنّ بين قومه[٢]، وقيل لستره على قومه وحفظه لأسرارهم **(ابن خزيمة)** بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي، مات وهو على ملة إبراهيم

---

(١) قوله: **(منع مجمع ممنوعاته)** أي: حفظه مما يضره، فالإضافة في «حِماه» بيانية.

(٢) قوله: **(لم يزل في كن بين قومه)** أي: مختفيا.

بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَهْدَى الْبُدْنَ إِلَى الرِّحَابِ الْحَرَمِيَّةِ * وَسُمِعَ فِيْ صُلْبِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى وَلَبَّاهُ * اِبْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ..

عَلَيْهِ السَّلَامُ (**ابن مدركة**) بضم الميم وكسر الراء، واسمه عمرو، وكنيته أبو هذيل، وقيل سمي بذلك لأن إِبِلَه رأت أرنبا فنفرت فأدرك عمرٌو الإبلَ، فلذا سمي مدركة (**ابن إلياس**) بكسر الهمزة عند ابن الأنباري وهو الصحيح الأشهر، وبفتحها عند قاسم بن ثابت (**وهو**) أي: إلياس (**أول من أهدى البدن**) بضم الباء والدال وبإسكان الدال، أي: ساقَ الناقةَ أو البقرة للذبح، سميت بذلك لعظم بدنها، ولأنهم كانوا يسمنونها كما في المصباح والصحاح (**إلى الرحاب**) أي: البقاع (**الحرمية**) أي: المنسوبة إلى الحرم نسبة الجزء لكله، أي: البيت الحرم (**وسُمِعَ في صُلبه**) أي: عظام ظهر إلياس (**النبيُّ ﷺ ذِكْرَ اللّه تعالى ولبَّاه**) أي: كان يسمع من صلب إلياس تلبية نبينا محمد ﷺ المعروفة في الحج، وكان في العرب مثل لقمان في قومه (**ابن مضر**) بضم ففتح، واسمه عمرو، ولقب بـ«مضر» لأنه كان يحب اللبن الماضر، أي: الحامض، وقيل لأنه كان يمضر القلوب الناظرة إليه، أي: يأخذ بها، وما رآه أحد إلا أحبه لحسنه وجماله، وكان أحسن الناس صوتا (**ابن نِزار**) بكسر النون وتخفيف الزاي، سمي به لأنه كان نحيفا مهزول البدن، وكان نور النبوة بين عينيه، وهو أول من كتب الكتاب العربي على الصحيح، ويجتمع الإمام أحمد مع نبينا في هذا الجد (**ابن مَعَدّ**) بفتح الميم والعين وشد الدال، فكان معدا لحروب بني إسرائيل، وما حارب أحدا إلا غلبه وانتصر عليه وظفر به، وقال بعضهم: إن معدا هو أرمياء النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ (**ابن عدنان**) قيل: كان عدنان في زمن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والصحيح أنه في زمن موسى، ويؤيد ذلك ما في الطبراني عن أبي أمامة قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «لما بلغ ولد معد بن عدنان أربعين رجلا وقعوا في عسكر موسى فانتهبوه، فدعا عليهم موسى، فأوحى اللّه إليه: لا تدع

وَهٰذَا سِلْكٌ نَظَمَتْ فَرَائِدَهُ بَنَانُ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ * وَرَفْعُهُ إِلَى الْخَلِيْلِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْسَكَ عَنْهُ الشَّارِعُ وَأَبَاهُ * ....

عليهم فإن منهم النبي الأمي النذير البشير» ونظم بعضهم أجداده ﷺ فقال:

محمد عبد اللّه مطلب هاشم ۞ مَناف قصي مع كلاب فمُرة
فكعب لؤي غالِب فهر مالك ۞ كذا النضَر نجل كنانة بن خزيمة
فمدركة إلياس مع مُضَر كذا ۞ نِزار مَعَد بن عدنان أثبت

ثم اعلم أن جميع ألفاظ «ابن» مجرورة على أنه وصف للقب المجرور قبله، إلا «ابن» الأول فإنه مرفوع فإنه وصف للمرفوع كما نقل عن السيد أحمد المرزوقي.

(**وهذا**) أي: النسب المذكور (**سِلْك**) أي: قلادة، وهو مجاز من إطلاق الجزء وهو سلك بمعنى خيط وإرادة الكل وهو القلادة (**نظمت**) بتخفيف الظاء المشالة وتشديدها كما في الصحاح، لكن الأفصح التخفيف (**فرائدَه**) أي: جواهره النفيسة كما في القاموس (**بنانُ**) وهو جمع «بنانة» بالتاء المربوطة، أي: أطراف أصابع (**السُّنَّة**) أي: الأحاديث (**السَّنِيّة**) أي: المرفوعة، والمراد بذلك: الصحيحة، و«السنية» إما أخذت من «السناء» الممدود بمعنى الرفعة، وإما أخذت من «السنا» المقصور بمعنى الضوء، وشبه المصنف الأحاديث الصحيحة الدالة على هذا النسب الشريف بإنسان في الشرف والنفع، وأثبت لها البنان التي بمعنى أطراف الأصابع تخييلا (**ورفعه**) أي: إيصاله، أي: النسب (**إلى الخليل إبراهيم أَمْسَكَ**) أي: منع (**عنه**) أي: رفعه إليه (**الشارعُ**) أي: النبي ﷺ (**وأباه**) أي: كرهه، إذ الشارع لم يوصل النسب إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد روي عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول: كذب النسابون مرتين أو ثلاثا.

وَعَدْنَانُ بِلَا رَيْبٍ عِنْدَ ذَوِي الْعُلُوْمِ النَّسَبِيَّةِ إِلَى الذَّبِيْحِ إِسْمَاعِيْلَ نِسْبَتُهُ وَمُنْتَمَاهُ * فَأَعْظِمْ بِهِ مِنْ عِقْدٍ تَأَلَّقَتْ كَوَاكِبُهُ الدُّرِّيَّةُ * وكَيْفَ لَا، وَالسَّيِّدُ الْأَكْرَمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسِطَتُهُ الْمُنْتَقَاةُ * ....

وكان ابن مسعود إذا قرأ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِيْنَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ﴾ [إبراهيم: ٩] قال: كذب النسابون، أي: أنهم يدعون علم الأنساب وقد نفى اللّه علمها عن العباد، وقد أنكر الإمام مالك على من يرفع نسبه إلى آدم أو إلى إسماعيل، وقال: من أخبره بذلك؟ وكره أيضا أن يرفع نسب الأنبياء مثل أن يقال: إبراهيم بن فلان، وقال: من يخبر به؟ (**وعدنانُ بلا ريب**) أي: شك (**عند ذوي**) أي: أصحاب (**العلوم النسبية**) بفتح النون والسين (**إلى الذبيح**) أي: المذبوح بالأمر لا بالفعل (**إسماعيلَ نسبتُه ومنتماه**) بالميم، أي: ارتفاعه وبلوغه كما في الصحاح، وفي نسخة «منتهاه» بالهاء، فقوله: «نسبته» مبتدأ ثان، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدإ (**فأعظم به**) أي: النسب (**من عقد**) أي: قلادة من جواهر، فقوله: «أعظم» بفتح الهمزة وكسر الظاء على صورة الأمر، وهو فعل ماض فعل تعجب، والباء زائدة في الفاعل، وقوله: «من عقد» تمييز من فعل التعجب تفسير للضمير البارز، لأن التمييز يجيء كثيرا من التعجب، والمعنى: أمر عظيم يتعجب منه أعظم نسب يشبه حسنه عقدا (**تألقت**) بالقاف، أي: لمعت (**كواكبه**) أي: جواهره الشبيهة بالكواكب في الإضاءة (**الدرية**) بتثليث الدال، أي: المضيئة، نسبت الكواكب إلى الدر الذي هو اللؤلؤ العظيم أو إلى الدر الذي هو اللبن لبياضها (**وكيف لا**) يتعجب من عظم هذا النسب (**والسيدُ**) الواو للحال، أي: والحال أن الكامل في السيادة على خلق اللّه (**الأكرم ﷺ**) أي: الأنفس ذاتا وصفات (**واسطته**) أي: أجود جواهر القلادة الذي في وسطها (**المنتقاة**) أي: المختارة.

نَسَبٌ تَـحْسِبُ الْعُلَا بِـحُلَاهُ ۞ قَلَّدَتْهُ نُـجُـومَـهَا الْـجَـوْزَاءُ

ثم أنشد المصنف في معنى ذلك التعجب بيتين من القصيدة الهمزية للشيخ العارف الكامل محمد بن سعيد الدِّلاصي ثم البوصيري، وهي قصيدة نفيسة جدا ولا يكاد يوجد لها نظير، لما قيل: إن جميع الأبيات كأنـها تعليل للبيت الأول، فقال:

(نَسَبٌ تَحْسِبُ الْعُلَا بِحُلَاهُ ۞ قَلَّدَتْهُ نُجُومَهَا الْجَوْزَاءُ)

فقوله: «**نَسَبٌ**» مبتدأ، وجملة قوله: «**تَحْسِبُ**» خبره وهو بكسر السين المهملة وفتحها لكن القياس الفتح بمعنى: تظن أيـها المخاطب، وقوله: «**الْعُلَا**» مفعول أول لـ«تحسب» وهو جمع «عُلْيَا» تأنيث «أعلى»، وقوله: «**بِحُلَاهُ**» يصح فيه ضم الحاء وكسرها وهو الأفصح وعلى كل هو جمع «حِلية»، والضمير المضاف إليه عائد على «النسب»، والباء للسببية، قوله: «**قَلَّدَتْهُ**» كذا في بعض النسخ بضمير التذكير عائد على «العلا» باعتبار اللفظ، وفي بعض النسخ بضمير التأنيث عائد على «العلا» باعتبار المعنى وهو المراتب، والهاء مفعول أول لـ«قلد»، و«النجوم» مفعول ثان له، و«**الْجَوْزَاءُ**» فاعل «قلد»، و«الجوزاء» تطلق على برج في السماء من جملة البروج الاثني عشر، وتطلق على نجوم متعددة متتابعة معروفة، وجملة «قلدته» إلى آخره من الفعل والفاعل في محل نصب مفعول ثان لـ«تحسب».

ومعنى هذا البيت: أن نسب النبي ﷺ الذي ينتهي إلى عدنان على الصحيح يظن الناظر إليه أنه بلغ في الارتفاع مبلغا كأنه النجوم في الضياء والاهتداء به، أو أن نسبه ﷺ في كل عصر يهتدى به كالسلسلة المنتظمة من جواهر، وتلك السلسة أعظم الأنساب، وفي تلك السلسة جوهرة هي أفضل الجواهر، وهي النبي ﷺ، وتلك السلسلة المنتظمة من جواهر شبيهة بالنجوم في التتابع، ويحتمل أن يراد بـ«الجوزاء» النسب، وبـ«النجوم» الآباء

حَبَّذَا عِقْدُ سُؤْدُدٍ وَفَخَارٍ ۞ أَنْتَ فِيْهِ الْيَتِيْمَةُ الْعَصْمَاءُ

فنسبه ﷺ شبيه بالجوزاء، وآباؤه شبيهون بالنجوم بجامع الاهتداء بكل، كذا أفاده محمد الشنواني في حاشيته على الهمزية.

(حَبَّذَا عِقْدُ سُؤْدُدٍ وَفَخَارٍ ۞ أَنْتَ فِيْهِ الْيَتِيْمَةُ الْعَصْمَاءُ)

فـ«**حَبَّذَا**» كلمة مدح كـ«نِعْمَ» لفظا ومعنى وعملا، لكن «حبذا» تزيد على «نعم» من حيث إن المخصوص بالمدح محبوب في القلوب ومرغوب فيه، ومعنى «حبذا» صار محبوبا، فـ«حب» فعل ماض، و«ذا» فاعله على الصحيح، وحينئذ فـ«عِقد» إما مبتدأ مؤخر، والجملة قبله خبر مقدم أو خبر مبتدإ محذوف، أي: ذلك النسب عقد، ويصح أن يكون بدلا أو عطف بيان من «ذا»، وقيل: إن «حبذا» كلمة واحدة، و«عقد» فاعل، ولا يجوز تقديم المخصوص بالمدح على «حبذا» وإن جاز بقلة في «نعم» لأن الأصل في المدح: «نعم»، و«حبذا»: فرعٌ، والأصل يتصرف فيه ما لا يتصرف في الفرع، أي: بالتقديم، وهذا ليس متفقا عليه بل ذهب بعضهم إلى جواز التقديم على «حبذا» كـ«نعم»، وقد ساوى الفرع الأصل في جواز التقديم بقلة. قوله: «**عِقْدُ**» بكسر العين المهملة، وهو القلادة من الجوهر، قوله: «**سُؤْدُدٍ**» بالهمزة وبضم السين والدال وقد تفتح الدال، وهو اسم مصدر، أي: شرف كامل كما في القاموس والمصباح، وقوله «**وَفَخَارٍ**» بفتح الفاء، وهم اسم مصدر، أي: تمدح بالصفات الجليلة، وقوله: «**الْيَتِيْمَةُ**» أي: الجوهرة التي لا شبيه لها ولا نظير لها في حسنها، قوله: «**الْعَصْمَاءُ**» أي: المحفوظة الممنوعة من أن تصل إليها الأيدي لشرفها على غيرها.

ومعنى هذا البيت: أمدح نسبه ﷺ المنتظم في عقد من الجواهر فائقا على سائر الأنساب في السيادة الكاملة، وحبذا التمدح بالصفات الجميلة التي أنت يا رسول اللّه لا

وَأَكْرِمْ بِهِ مِنْ نَسَبٍ طَهَّرَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ * أَوْرَدَ الزَّيْنُ الْعِرَاقِيُّ وَارِدَهُ فِي مَوْرِدِهِ الْهَنِيِّ وَرَوَاهُ *

حَفِظَ الْإِلٰهُ كَرَامَةً لِمُحَمَّدٍ ۞ آبَاءَهُ الْأَمْجَادَ صَوْنًا لِإِسْمِهِ
تَرَكُوا السِّفَاحَ فَلَمْ يُصِبْهُمْ عَارُهُ ۞ مِنْ آدَمٍ وَإِلٰى أَبِيْهِ وَأُمِّهِ

غيرك في ذلك العقد جوهرة مصونة من بين سائر الجواهر، فإن ذاته ﷺ أعلى الذوات ونسبه أعلى الأنساب.

(وأكرم به) أي: العقد (من نسب) هذا بيان للضمير تمييز لفعل التعجب، فالمصنف تعجب أولا من عظم هذا النسب وثانيا من كرمه، والمعنى: شيء عظيم يتعجب منه أكرم نسب (طهره) أي: النسب الشريف (اللّٰه تعالى من سفاح الجاهلية) أي: من وطء أهل الجاهلية مما لا يجوز شرعا، والجاهلية هي ما قبل فتح مكة (أورد) أي: ذكر (الزين) أي: زين الدين، واسمه عبد الرحيم (العراقي) المنسوب لبلاد العراق (وارده) أي: حديث النسب الطويل، فإن معنى «الوارد» هو الطويل كما في القاموس والصحاح (في مورده) أي: في طريق العراقي ومصنفه، ومعنى «المورد» هو الجادة، أي: الطريق (الهني) أي: اللذيذ عبارته الذي يسر السامعَ والمطالع، وهو المسمى ألفية النسب (ورواه) أي: نقل العراقي في الحديث الطويل عن غيره، قال العراقي في ذلك الكتاب:

وَهْوَ ابنُ عَدْنَانَ وَأَهْلُ النَّسَبِ ۞ قَدْ أَجْمَعُوْا إِلٰى هُنَا فِي الْكُتُبِ
وَبَعْدَه خُلْفٌ كثيرٌ جَمٌّ ۞ أَصَحُّه حَوَاهُ هٰذَا النَّظْمُ

ثم أنشد المصنف أو غيره بيتين من بحر الكامل في معنى التعجب الثاني فقال:

(حَفِظَ الْإِلٰهُ كَرَامَةً لِمُحَمَّدٍ ۞ آبَاءَهُ الْأَمْجَادَ صَوْنًا لِإِسْمِهِ)
(تَرَكُوا السِّفَاحَ فَلَمْ يُصِبْهُمْ عَارُهُ ۞ مِنْ آدَمَ وَإِلٰى أَبِيْهِ وَأُمِّهِ)

سَرَاةٌ ....

قوله: «كَرَامَةً لِمُحَمَّدٍ» أي: إكراما له، وهو تعليل لـ«حَفِظَ»، قوله: «الْأَمْجَادُ» أي: الأشراف في فعالهم، وهو جمع «مجيد» كـ«شريف» و«أشراف»، والمجد والشرف يكونان بالآباء، والحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف، قوله: «صَوْنًا لِاسْمِهِ» بدل من «كرامة» أو عطف بيان عليه أو معطوف عليه بحذف حرف العطف، فإن مقتضى اسم محمد أن يكون مسماه كاملا في صفاته الظاهرة والمعنوية، وأن يكون نسبه رفيعا عاليا شريف الفعال، قوله: «تَرَكُوْا» مفرع على «حفظ الإله» بحذف الفاء، أي: فترك آباؤه «السِّفَاحَ»، أي: صب مائهم بلا عقد يفيد الحل، قال الإمام السبكي: الأنكحة التي في نسبه ﷺ كلها مستجمعة لشروط الصحة كأنكحة الإسلام الموجودة الآن، فاعتقِدْ هذا بقلبك وتمسك به ولا تزل عنه فتخسر الدنيا والآخرة، انتهى، وقال شيخنا يوسف: والنكاح كان في الجاهلية كنكاح الناس اليوم، أي: بإيجاب وقبول شرعيين وإن لم يكن مستجمعا للشروط الآن، دون أن يقول الزوج: خطبت، ويقول أهل الزوجة: أنكحت[1]، قوله: «فَلَمْ يُصِبْهُمْ عَارُهُ» أي: فلم يصل إلى آبائه ﷺ عيب السفاح، أي: ما لا يجوز شرعا، قوله: «وَإِلَى أَبِيْهِ وَأُمِّهِ» الواو داخلة على مقدر، أي: وهكذا الأمر إلى أبيه عبد اللّه وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، وأَسْرِدْ إلى عدنان، فإن ذلك مما يجب على كل مكلف معرفته.

(**سراة**) بفتح السين جمع «سري» بمعنى رئيس وشريف بفتح الشين وكسر الراء، وهو جمع عزيز لا يعرف غيره لأنه لا يجمع «فعيل» على «فعلة»، وهو خبر مبتدإ محذوف،

---

(١) قوله: (**قال شيخنا يوسف: والنكاح ... إلخ**) هذه العبارة موجودة في المطبعة العامرة، وساقطة في مطبعة طه فوترا القديمة.

سَرٰى نُوْرُ النُّبُوَّةِ فِيْ أَسَارِيْرِ غُرَرِهِمُ الْبَهِيَّةِ * وَبَدَرَ بَدْرُهُ فِيْ جَبِيْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَابْنِهِ عَبْدِ اللّٰهِ *

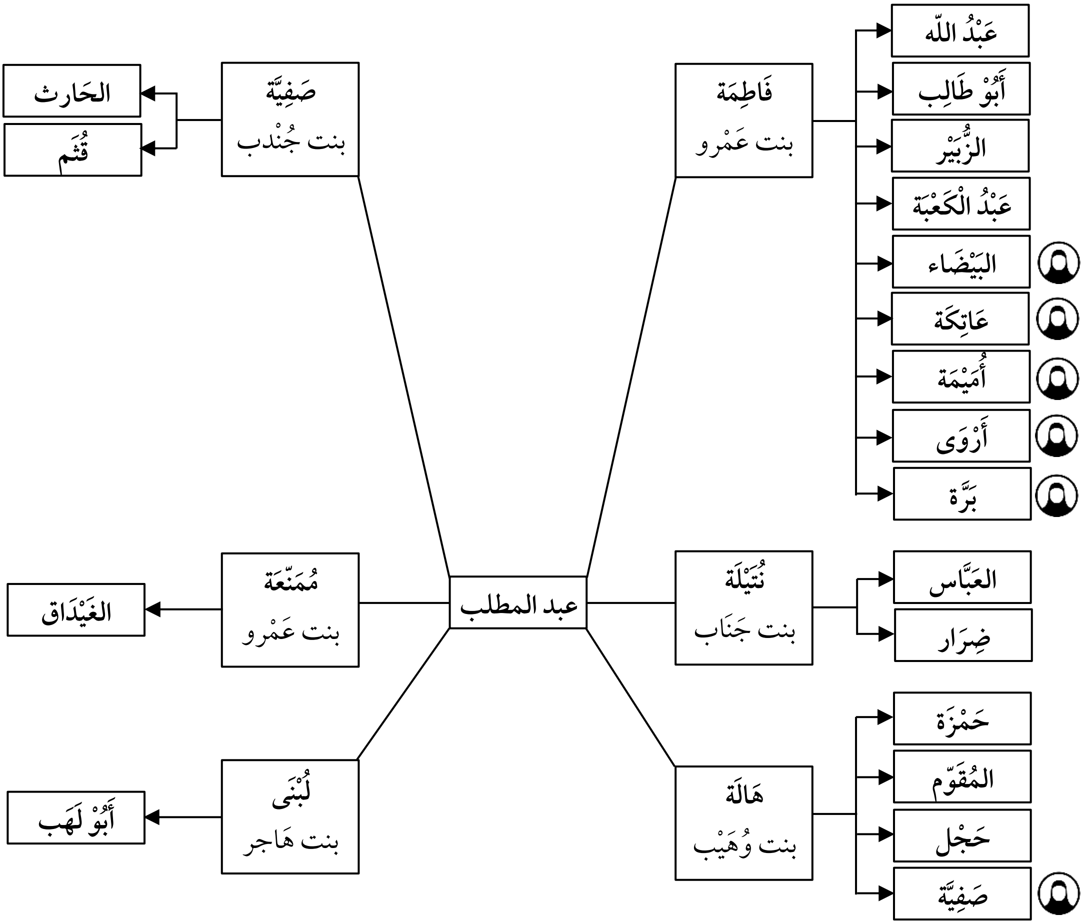
عَطِّرِ اللّٰهُمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمٍ

أي: هم رؤساء شرفاء (سرى) أي: جرى (نور النبوة) المحمدية (في أسارير غررهم) أي: في خطوط جباههم، كما في الحديث: «تَبْرُقُ أساريرُ وجهه»، فـ«الأسارير» جمع الجمع لأنه جمع «أسرار»، وهو جمع «سرار» بكسر السين (البهية) أي: الجمالية (وبدر) بالراء في آخره، أي: ظهر ظهورا بينا، وفي نسخة «وبدأ» بالألف في آخره، والأول ألطف (بدره) أي: نوره ﷺ الشبيه بالقمر ليلة كماله (في جبين) أي: جبهة (عبد المطلب) حتى لاح في الظلام، وقد لف على وجهه طبقات حين خروجه من المدينة فشق النور منه وظهر ولم يحجبه حجاب ولم يستره نقاب (وابنه عبد اللّه) وكان يشب وينمو في كل يوم مقدار الشهر، وفي الشهر مقدار السنة، والبدو والحضر يتعجبون من أنواره ونموه وجماله وكماله، كلما نظرت إليه امرأة افتتنت به لكثرة جماله وأنواره وهيبته ووقاره، وقد لقي من النسوة مثل ما لقي يوسف في زمانه.

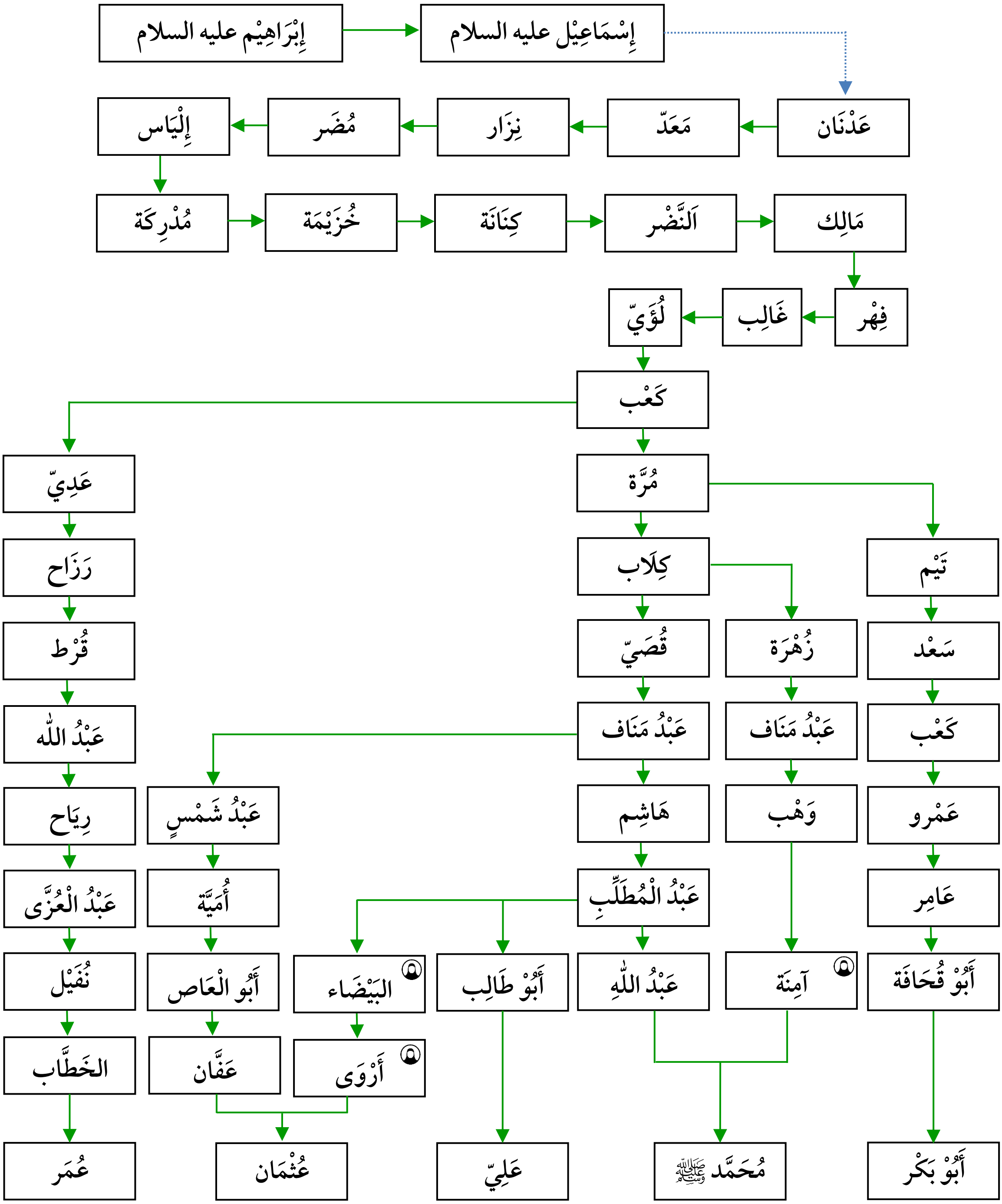
(عَطِّرِ اللّٰهُمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمٍ)

* * *

أولاد عبد المطلب



التقاء الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في النسب مع النبي ﷺ



اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ

وَلَمَّا أَرَادَ اللهُ تَعَالٰى إِبْرَازَ حَقِيْقَتِهِ الْمُحَمَّدِيَّةِ * وَإِظْهَارَهُ جِسْمًا وَرُوْحًا بِصُوْرَتِهِ وَمَعْنَاهُ * نَقَلَهُ إِلَى مَقَرِّهِ مِنْ صَدَفَةِ آمِنَةَ الزُّهْرِيَّةِ * وَخَصَّهَا الْقَرِيْبُ الْمُجِيْبُ بِأَنْ تَكُوْنَ أُمًّا لِمُصْطَفَاهُ * وَنُوْدِيَ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ بِحَمْلِهَا لِأَنْوَارِهِ الذَّاتِيَّةِ * ....

(اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْه)

(ولمّا أراد اللّه تعالى إبراز) أي: أخرج (حقيقته) أي: النبي ﷺ في هذا العالَم (المحمدية) أي: المنسوبة لمحمد نسبة المسمى لاسمه (وإظهارَه) أي: النبي ﷺ (جسما) تمييز لإضافة «إظهاره» منقول عن المضاف إليه (وروحا) أي: بكليته ﷺ، أي: (بصورته) أي: شكل بدنه من تناسب أعضائه ولون بشرته، وهذا متعلق بـ«إظهار» أو بمحذوف حال من المضاف إليه (ومعناه) أي: صفاته الباطنية من الصفات الجليلة (نقله) أي: نقل اللّه تعالى نور النبوة من ظهر عبد اللّه، وهو جواب «لما» الرابطة (إلى مقره) بفتح الميم والقاف، أي: موضع استقرار النبي ﷺ (مِن صَدَفَة آمنة) أي: بطنها المشبه بغشاء الدرة، وهي بيان لـ«مقره»، وعبر المصنف بـ«الصدفة» إشارة إلى تشبيهه ﷺ بالدرة الكامنة في صدفتها (الزُّهرية) بضم الزاي، أي: المنسوبة إلى زُهرة بن كلاب. (وخصها) أي: آمنة (القريب) من عباده قربا معنويا (المجيب) أي: الذي يجيب دعوة الداعي ويسعف السائل (بأن تكون) أي: بكون آمنة (أُمًّا لمصطفاه) أي: مختاره تعالى من سائر خلقه، لأنها أفضل قومها حسبا وأنجب وأزكاهم أصلا وفرعا وأطيب، فلم يشاركه ﷺ في ولادته من أبويه أخ ولا أخت، فيكون مختصا بالنسب النبوي (ونودي في السموات والأرض بحملها لأنواره) ﷺ (الذاتية)، قال سهل بن عبد اللّه التستري: لما أراد اللّه تعالى خلق محمد ﷺ في بطن

وَصَبَا كُلُّ صَبٍّ لِهُبُوْبِ صَبَاهُ * وَكُسِيَتِ الْأَرْضُ بَعْدَ طُوْلِ جَدْبِهَا مِنَ النَّبَاتِ ....

آمنة ليلة رجب وكانت ليلة جمعة أمر اللّه تعالى في تلك الليلة رضوان خازن الجنان أن يفتح الفردوس، وينادي مناد في السموات والأرض: ألا إن النور المخزون المكنون الذي يكون منه النبي الهادي في هذه الليلة يستقر في بطن أمه الذي فيه يتم خلقه ويخرج إلى الناس بشيرا ونذيرا (**وصبا**) أي: اشتاق ومال (**كل صبّ**) أي: مشتاق (**لهبوب صباه**) أي: إلى سرعة خبره ﷺ المشبه بالصبا التي تنفع الأبدان في كون كل يحصل السرور، والصبا: ريح القبول، ومهبها المستوى أن تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار، والجار والمجرور متعلق بكل من «صبا» الناقص و«صب» المضاعف على سبيل التنازع، وقال الشاعر في معنى ذلك من بحر الطويل:

نَسِيْمَ الصَّبَا أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا ۞ قَدِمْتَ فَأَهْدَيْتَ السُّرُوْرَ إِلَى الرُّبَى
وَجَدَّدْتَ فِي كُلِّ الْقُلُوْبِ مَسَرَّةً ۞ وَنَشْرُكَ أَضْحَى فِي الْوُجُوْدِ مطَيَّبَا
مَتَى أَنْظر الْأَعْلَامَ يا سعدُ قَدْ بَدَتْ ۞ ويُصْبِحُ قَلْبِي مِنْ حِمَاه مُقَرَّبَا
وقد زَمْزَمَ الْحَادِي بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ ۞ نِبِيٍّ كَرِيْمٍ ذِي الشفاعةِ مُجْتَبَى
رسولٌ عظيمٌ مُصْطَفَى ذُوْ مَهَابَةٍ ۞ لَهُ اللّهُ بالذكرِ الْمُرَفَّعِ قد حَبَا
فَلَوْلَاهُ مَا سَارَ الْحَجِيْجُ لِمَكَّة ۞ وَلَا حَنَّ مُشْتَاقٌ لِنَجْدٍ ولا صَبَا

(**وكسيت الأرض**) أي: ألبست (**بعد طول جدبِها**) بسكون الدال المهملة، أي: يبسها بسبب انقطاع المطر (**من النبات**) بيان لما بعده، وهو الذي بمعنى «هو»، فإذا وقع بعد مبينٍ معرفة فيقدر بـ«الذي هو»، وإذا وقع بعد نكرة فيقدر بـ«هو»، وهذا جري على القول بجواز تقديم البيان على المُبَيَّن، ولا يصح أن يجعل حالا مما بعده لأنه يلزم على ذلك أن تكون

حُلَلًا سُنْدُسِيَّةً * وَأَيْنَعَتِ الثِّمَارُ وَأَدْنَى الشَّجَرُ لِلْجَانِيْ جَنَاهُ * وَنَطَقَتْ بِـحَمْلِهِ كُلُّ دَابَّةٍ لِقُرَيْشٍ بِفِصَاحِ الْأَلْسُنِ الْعَرَبِيَّةِ * وَخَرَّتِ الْأَسِرَّةُ وَالْأَصْنَامُ عَلَى الْوُجُوْهِ وَالْأَفْوَاهِ * ....

«من» للتبعيض، والنبات ليس من جنس الحلل، وإنما المراد تشبيه النبات بالحلل السندسية لكون كل يعجب الناظرين لحسنه (**حُلَلًا**) أي: ثيابا كثيرة (**سندسيةً**) أي: منسوبة إلى سندس، وهو ثوب سَداه[1] ولُحمته[2] حرير، فقوله: «حللا» مفعول ثان لـ«كسبت»، والمفعول الأول هو نائب الفاعل. (**وأينعت الثمار**) بفتح الهمزة المفيدة للصيرورة وسكون الياء التحتية وفتح النون والعين، أي: صارت الثمار يانعة، أي: ناضجة (**وأدنى**) بفتح الهمزة المفيدة للعتدية، أي: قرّب (**الشجرُ للجاني**) أي: لمريد القطع (**جناه**) بفتح الجيم، وهو مفعول به لـ«أدنى»، أي: ثمره الطري، فسميت تلك السَّنة التي حمل فيها برسول اللّه ﷺ سَنَةَ الفتح الابتهاج، أي: فتح الخير والسرور (**ونطقت**) تلك الليلة (**بحمله**) ﷺ (**كل دابة لقريش بفِصاح الألسن**) وهو من إضافة الصفة للموصوف، أي: بالألسن الفصاح بكسر الفاء جمع «فصيح» (**العربية**)، وقالت: حملت بمحمد ورب الكعبة وهو إمام الدنيا والآخرة وسراج أهلها (**وخرت الأَسِرَّةُ**) لملوك الدنيا، بفتح الهمزة وكسر السين وشد الراء جمع «سرير» (**والأصنامُ**) أي: أوثان الدنيا كلها، وهي الصور المعبودة للمشركين (**على الوجوه والأفواه**) وأصبح كل ملك أخرس يومه ذلك، و«الأفواه» جمع «فم» بالميم بعد الفاء لأن أصله «فوه» بفتحتين مثل «سبب» و«أسباب» وهو من غريب الألفاظ التي لم يطابق مفردها جمعها، فالجمع يرد الأشياء إلى أصولها كالتصغير، ويثنى الفم على لفظ الواحد، فيقال: «فمان»، وربما قيل: «فوان» بالواو كما في

---

(١) قوله: (**سداه**) والسدى: الخيوط الممتدة طولا. كما في معجم المعاني.

(٢) قوله: (**لحمته**) واللحمة: الخيوط الممتدة عرضا. كما في معجم المعاني.

وَتَبَاشَرَتْ وُحُوْشُ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَدَوَابُّهَا الْبَحْرِيَّةُ * وَاحْتَسَتِ الْعَوَالِمُ مِنَ السُّرُوْرِ كَأْسَ حُـمَيَّاهُ * وَبَشَّرَتِ الْجِنُّ بِإِظْلَالِ زَمَنِهِ وَانْتُهِكَتِ الْكَهَانَةُ ....

المصباح (**وتباشرت وحوش المشارق والمغارب ودوابها البحرية**) أي: فرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات، وكذا أهل البحار يبشر بعضهم بعضا، وفي الحديث الضعيف: وله ﷺ في كل شهور من شهور حمله نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم ميمونا مباركا. (**واحتست**) بسكون الحاء المهملة وفتح السين مع تخفيفه، أي: شربت شيئا بعد شيء (**العوالم**) أي: أنواع المخلوقات (**من السرور**)، بيان لما بعده (**كأس حُمَيَّاه**) بضم الحاء المهملة وفتح الميم وشد الياء التحتية، و«الكأس» بالهمزة معناها هنا الشراب كما في القاموس، و«الحميا»: الخمر الشديدة، وإضافة الكأس إلى حميا للبيان، والضمير عائد لـ«رسول اللّه ﷺ»، وشبه السرور بشراب الخمر في كون كل يحصل خفة في البدن وحركة فيه وفي كونه يُسْرًى في الجسد، وذلك أسهل من حمل «الكأس» على معنى الإناء لأنه يحتاج إلى التكلف، لأن الإناء لا يشرب. وروي أنه لم في تلك الليلة دار إلا أشرقت، ولا مكان إلا دخله النور، ولا دابت إلا نطقت.

(**وبشرت الجن بإظلال**) بكسر الهمزة، أي: بقرب (**زمنه**) أي: وقت ظهوره ﷺ في هذا العالم، والجن أولاد الجان، وفيهم المسلم والكافر كما أن الإنس فيهم المؤمن والكافر، ويموتون ويأكلون ويشربون ولكن اختلف في أكلهم، فقيل: إنه شم، وقيل: أكل حقيقة، وعلى القول الثاني فزادهم العظم الذي ذكر اسم اللّه عليه بعد أن يكسى لحما أوفر مما كان عليه أولا، وعلف دوابهم الروث بعد تبديله تبنا أو شعيرا أو فولا أو حشيشا أفاده محمد الشنواني (**وانتهكت**) بالبناء للفاعل، أي: بطلت (**الكهانة**) بفتح الكاف، أي: الإخبار بالأمور المغيبة الخفية البعيدة التي ستقع في المستقبل وبطل السحر أيضا كما ذكره

وَرَهِبَتِ الرَّهْبَانِيَةُ * وَلَهِجَ بِخَبَرِهِ كُلُّ حَبْرٍ خَبِيْرٍ وَفِيْ حِلَىٰ حُسْنِهِ تَاهَ * وَأُتِيَتْ أُمُّهُ فِي الْمَنَامِ فَقِيْلَ لَهَا: إِنَّكِ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ الْعَالَمِيْنَ وَخَيْرِ الْبَرِيَّةِ * وَسَمِّيْهِ إِذَا وَضَعْتِيْهِ(١) مُحَمَّدًا فَإِنَّهُ سَتُحْمَدُ عُقْبَاهُ *

السمنودي (ورهبت) بفتح الراء وكسر الهاء بالبناء للفاعل كالذي قبله، أي: خافت (الرهبانية) بفتح الراء وتخفيف الياء، لأنه ليس مصدرا بل جمع «رهبان» مفرد كما علم من القاموس، وحينئذ فلا تحتاج إلى تقدير مضاف، ومعناه عباد النصارى، ولا يقدح تأنيث الفعل لأن كل جمع مؤنث (ولهج) بكسر الهاء، أي: نطق كثيرا (بخبره) ﷺ (كل حبر) بكسر الحاء المهملة على الأفصح كما في المصباح والصحاح والقاموس، أو فتحها كما ارتضاه أبو عبيدة، أي: عالم (خبير) أي: ماهر بأخباره من الكتب القديمة السماوية (وفي حلى) بكسر الحاء على الأفضح أو ضمها، أي: صفات (حسنه) ﷺ (تاهَ) أي: تحير كل عالِم، وإضافة «حلى» إلى «حسنه» من إضافة الموصوف إلى صفته، والجار والمجرور متعلق بقوله «تاه».

(وأُتِيت أمُّه) بالبناء للمفعول وبقصر الهمزة، أي: أتاها آت مع تحريكها برجله لتنتبه، (في المنام) لما مر لحملها ستة أشهر (فقيل لها) يا آمنة (إنكِ حملتِ بسيد العالمين) وفي رواية: بسيد الأنام (وخير البرية) أي: الخلق (وسميه إذا وضعتيه(١)) أي: ولدته (محمدا لأنه) وفي بعض النسخ «فإنه» بالفاء (ستحمد عقباه) أي: آخره، واكتمِي شأنك، وفي رواية ضعيفة جدا: وعَلِّقِي عليه هذه التميمة، قالت آمنة: فانتهبتُ وعند رأسي صحيفة من ذهب مكتوب فيها هذه التميمة:

---

(١) قوله: (وَضَعْتِيْهِ) كذا بياء متولدة من إشباع كسر التاء، وهي في لسان المِصريين شائعة. كذا في الكوكب الأنور.

عَطِّرِ اللّٰهُمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمٍ

أُعِيْذُهُ بِالْوَاحِد ۞ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِد ۞ وَكُلِّ خَلْقٍ رَائِد ۞ مِنْ قَائِمٍ وَقَاعِد

عَنِ السَّبِيْلِ حَائِد[١] ۞ عَلَى الْفَسَادِ جَاهِد ۞ مِنْ نَافِثٍ أَوْ عَاقِد ۞ وَكُلِّ خَلْقٍ مَارِد

يَأْخُذُ بِالْمَرَاصِد ۞ فِي طُرُقِ الْمَوَارِد

أَنْهَاهم عنه باللّه الأعلى * وأَحُوطُه باليد العليا * والكنف الذي لا يرى * يد اللّه فوق أيديهم * وحجاب اللّه دون عاديهم * لا يضرونه[٢] في مقعد ولا منام * ولا مسيرٍ ولا مقام * أول الليل وآخر الأيام.

فمعنى «خَلْق رائد» أي: مخلوق طالب للسوء، ومعنى «عن السبيل حائد» أي: عن الطريق السوي مائل، ومعنى «المراصد» المراقب، ومعنى «طرق الموارد» أي: المواضع التي تجتمع فيها.

(عَطِّرِ اللّٰهُمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْم)

* * *

(١) قوله: (**حائد**) وفي دلائل النبوة لأبي نعيم: «عانِد».

(٢) قوله: (**لا يضرونه**) وفي دلائل النبوة: «لا يطرُدونه ولا يضرونه».

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ

وَلَمَّا تَمَّ مِنْ حَمْلِهِ شَهْرَانِ عَلٰى مَشْهُوْرِ الْأَقْوَالِ الْمَرْوِيَّةِ * تُوُفِّيَ بِالْمَدِيْنَةِ الشَّرِيْفَةِ أَبُوْهُ عَبْدُ اللهِ * وَكَانَ قَدِ اجْتَازَ بِأَخْوَالِهِ بَنِيْ عَدِيٍّ مِنَ الطَّائِفَةِ النَّجَّارِيَّةِ * ....

(اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْه)

(**ولما تمّ من حمله**) ﷺ (**شهران على مشهور الأقوال**) المختلفة (**المروية**) عن المحدثين هكذا في كثير من النسخ بصيغة المفعول، وفي نسخة «أشهر» بصيغة التفضيل (**توفي**) بالبناء للمفعول (**بالمدينة الشريفة أبوه**) ﷺ (**عبد اللّه**) وعمره خمس وعشرون، وقيل: ثمان وعشرون سنة، وقيل: ثلاثون سنة، وقيل: ثمانية عشر سنة، وذكر السمنودي: أنه مات وأمه ﷺ حبلى به ﷺ في سادس شهور الحمل، وقال الدولابي: وهو ﷺ في المهد، وقال ابن أبي خيثمة: وهو ابن شهرين، وقيل: هو ابن سبعة أشهر، وقيل: وهو ابن ثمانية وعشرين شهرا. (**و**) سبب موته بالمدينة أنه (**كان**) أتى المدينة بأمر عبد المطلب ليشتري تمرا وزبيبا ليصنع وليمة كما قاله السمنودي وكما نقله ابن وهب عن الزهري، أو أنه سافر إلى غزة مع قريش للتجارة كما قاله الواقدي، فرجع ضعيفا معهم إلى مكة و(**قد اجتاز**) أي: مر على المدينة وتخلف عنهم ونزل (**بأخواله**) أي: عبد اللّه، وهذا بحذف مضاف، أي: بأخوال أبيه (**بني عدي من الطائفة**) أي: القبيلة (**النجارية**) أي: المنسوبة إلى تَيْم النجار، وقيل له «النجار» لأنه اختتن بقدوم، أي: بآلة النجار، وقيل: لأنه نجر وجه رجل بقدوم، وإنما كان بنو عدي بن النجار أخوال عبد المطلب لأن أباه هاشم تزوج سلمى وهي امرأة من بني عدي بن النجار فولدت له عبد المطلب، وأما أخوال عبد اللّه فإنما هم من

وَمَكَثَ فِيْهِمْ شَهْرًا سَقِيْمًا يُعَانُوْنَ سُقْمَهُ وَشَكْوَاهُ * وَلَمَّا تَمَّ مِنْ حَمْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّاجِحِ تِسْعَةُ أَشْهُرٍ قَمَرِيَّةٍ * ....

قريش من بني مخزوم (**ومكث فيهم**) أي: أقام عبد اللّه عندهم (**شهرا**) كاملا (**سقيما**) أي: مريضا، حال من الضمير في «مكث» (**يُعانون**) أي: يشتغلون بالتعب (**سقمه**) بفتحتين مصدر قياسي أو بضم فسكون مصدر سماعي، أي: مرضه الطويل (**وشكواه**) أي: ما يشكوه إليهم من مرضه الأليم، فلما قدم أصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه، فقالوا: خلّفناه مريضا، فبعث إليه أخاه الحارث وهو أكبر أولاد عبد المطلب، فوجده قد توفي ودفن في دار التَّابِعَة، وقيل: دفن بالأبواء، فلما جاء الخبر إلى أبيه عبد المطلب بكى[١] وجعل يقول شعرا:

أَحِبَّتِيْ هَانَ كُلُّ الشَّيْءِ فِيْ نَظَرِي ۞ لَمَّا رَحِلْتُمْ وَلَمْ أَقْضِ لَكُمْ وَطَرِي
غِبْتُمْ عَنِ الْعَيْنِ فِي قَلْبِي لِبُعْدِكُمُ ۞ نَارٌ تَلَهُّبُهَا يَغْشَى عَلَى بَصَرِي
لَكِنْ قَضَا اللّٰهِ رَبِّي لَا مَرَدَّ لَهُ ۞ فَلَا حِذَارَ لِمَا يَجْرِي مِنَ الْقَدَرِ

ولقد أحسن من قال في حكمة يتمه ﷺ من بحر الكامل:

أَخَذَ الْإِلٰهُ أَبَا الرَّسُوْلِ وَلَمْ يَزَلْ ۞ بِرَسُوْلِهِ الْفَرْدِ الْيَتِيْمِ رَحِيْمَا
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمُفْرِدٍ فِي يُتْمِهِ ۞ وَالدُّرُّ أَحْسَنُ مَا يَكُوْنُ يَتِيْمَا

(**ولما تم من حمله ﷺ على**) القول (**الراجح تسعة أشهر قمرية**) وقيل: ثمانية، وقيل:

---

(١) فلما جاء الخبر إلى أبيه عبد المطلب بكى، فلما مات عبد اللّه والد رسول اللّه ﷺ ضجت الملائكة لخالقها عَزَّوَجَلَّ، وقالت: يا رب بقي حبيبك ونبيك محمد يتيما، فأوحى اللّه تعالى إليهم: يا ملائكتي أنا أولى به من أمه وأبيه، وأنا خالقه وكافيه وحافظه ومربيه وناصره على من يعاديه، فلا يحتاج إلى سواي، ولا يعتز بأعز مني، وأنا حافظه وحارسه. كذا في ترغيب المشتاقين.

وَآنَ لِلزَّمَانِ أَنْ يَنْجَلِيَ عَنْهُ صَدَاهُ * حَضَرَ أُمَّهُ لَيْلَةَ مَوْلِدِهِ آسِيَةُ وَمَرْيَمُ فِيْ نِسْوَةٍ مِنَ الْحَظِيْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ * ....

عشرة، وقيل: سبعة، وقيل: ستة (وآن) أي: قرب (للزمان أن ينجلي) أي: يذهب (عنه) أي: الزمان (صداه) أي: عطشه، وفي هذا تشبيه الزمان بالعطشان في ضعفه بفقدان الدين الصحيح كما أن العطشان ضعيف بفقدان الري، وتشبيه رسول اللّه ﷺ بالماء في كون كل سببا للحياة، فرسول اللّه ﷺ سبب لحياة الدين، والماء سبب لحياة كل شيء من الحيوان والنبات (حضر) بالتذكير والتأنيث ولو كان فاعله مؤنثا حقيقيا لوجود الفصل بينه وبين فاعله، لكن التأنيث أولى، وهو جواب «لما» الرابطة (أمّه) ﷺ آمنة (ليلة مولده) أي: ولادته (آسية) بمد الهمزة وكسر السين وتخفيف الياء، بنت مزاحم الإسرائيلية، وهي بنت عم موسى (ومريم) هي بنت عمران، وهذا الاسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة والتأنيث، ففيه ثلاث علل، ومعنى هذا الاسم بالعربية: أمة اللّه، وقيل: معناه: خادمة بيت اللّه، وهو بيت المقدس، وهي من ذرية سليمان، بينها وبينه أربعة وعشرون أبا.

ولعل حكمة شهود آسية ومريم لولادته ﷺ كونهما تصيران زوجين له ﷺ في الجنة مع كلثم أخت موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ففي الجامع الصغير: «إن اللّه تعالى زوّجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى» فمعنى «زوجني» أي: حكم لي بجعلهن زوجاتي فيها، وأخت موسى هي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١].

(في نسوة) أي: معهن، وهن الحور الحسان الكرام، فـ«في» بمعنى «مع» (من الحظيرة القدسية) أي: المطهرة من الأكدار، وحظيرة القدس هي الجنة، والحظيرة هي بالظاء المشالة كما في الصحاح والقاموس، والسبب في حضورهن كثرة الحور له ﷺ في الجنة،

وَأَخَذَهَا الْمَخَاضُ فَوَلَدَتْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُوْرًا يَتَلَأْلَأُ سَنَاهُ ❊

وَمُـحَيًّا كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُضِيْءٌ ❁ أَسْـفَـرَتْ عَـنْـهُ لَـيْـلَـةٌ غَرَّاءُ

فأشرق المكان بنورهن، وذهب عن آمنة الحزن والألم بمجيئهن وكلمنها وسلمن عليها، (**وأخذها**) أي: آمنة (**المخاضُ**) بفتح الميم وكسرها، أي: وجع الولادة، أي: تحرك الولد في بطنها للخروج (**فولدته ﷺ**) حال كونه (**نورا يتلألأ سَناه**) أي: ضوؤه أضاء ما بين المشرق والمغرب، وقال بعضهم من بحر الطويل:

مَحَا ظُلَمَ الْإِشْرَاكِ نُوْرُ وِلَادَة ❁ وَلَا عَجَبَ فَاللَّيْلُ بِالصُّبْحِ يُهْزَمُ

مُنَى كُلِّ نَفْسٍ لَثْم آثَارِ نَعْلِهِ ❁ وَفِي النَّاسِ مَنْ يُعْطَى مُنَاهُ وَيُحْرَمُ

ولما ولد ﷺ اهتز العرش طربا وزها الكرسي عجبا ومنعت الجن من السماء، وقالوا: قد لقينا في طريقنا نصَبا، وضجت الملائكة بالتسبيح رغبا ورهبا، ونشرت الرياح، وأبدت سحبا، وأمالت في الحدائق من الغصون قضبا، ونادت الكائنات من جميع الجهات أهلا وسهلا ومرحبا، ثم نقل المصنف من القصيدة الهمزية ستة أبيات مع تغيير ترتيبها الأصلي فقال:

(**وَمُحَيًّا كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُضِيْءٌ ❁ أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةٌ غَرَّاءُ**)

فقوله: «**مُحَيًّا**» بضم الميم وبالتنوين على الياء المشددة، أي: وجه، وهو مبتدأ لأنه مستأنف عما قبله، وخبره جملة قوله: «أسفرت» ... إلخ، وأما قول الشنواني هو عطف على «عقد»، أي: وحبذا أيضا محيا، فيكون «حبذا» مسلطا عليه فهو صحيح إذا كان الكلام غير مقطوع. قوله: «**كَالشَّمْسِ**» الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لـ«محيا»، أي: ومحيا كائن كالشمس في الضياء والإشراق والنور، وإنما شبه وجهه ﷺ بالشمس لأن النور الكائن

في وجهه وإن فاق جميع الأنوار لكن لا يمنع من النظر إلى وجهه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بخلاف نور الشمس فإنه يمنع من النظر إليها ويضعف البصر، فصح التشبيه بهذا الاعتبار، وفي هذا إشارة إلى حديث أبي هريرة: ما رأيت شيئا أحسن منه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كأن الشمس تجري في وجهه. والشمس في السماء الرابعة، وهي قدر الدنيا مائة وستين مرة، بخلاف القمر فإنه قدرها مائة وعشرين مرة، وقيل: كل منهما قدر الدنيا مائة وعشرين فيتساويان، قوله: «**مِنْكَ**» الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة ثانية لـ«محيا» أو حال منه لا غير لأنه قد تخصص بالصفة، وقوله: «**مُضِيْءٌ**» أي: مشرق ومنير، صفة ثالثة لـ«محيا»، قوله: «**أَسْفَرَتْ**» أي: كشفت وأوضحت، «**عَنْهُ**» أي: ذلك المحيا بمعنى الوجه المنير، وقوله: «**ليلة**» فاعل «أسفرت»، وقوله: «**غَرَّاءُ**» صفة لـ«ليلة» أي: مضيئة ومنيرة لحصول وجهه الشريف فيها لا لحصول القمر فيها بناء على القول بأنه ولد ليلة اثني عشر من شهر ربيع الأول، لكنه اختلف: هل ولد ليلا أو نهارا، قال بعضهم: إنه ولد بعيد الفجر، وهو المشهور عندهم، ويمكن حمل كلام الناظم على هذا القول فإنه يجعل في كلامه مجازا مرسلا، علاقته المجاورة لحصول الظلمة في ذلك، لأن ما قارب الشيء يعطي حكمه لأن بعيد الفجر قريب من الليل، ومعلوم أن في ذلك ظلمة.

(لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ الَّذِيْ كَانَ لِلدِّيْـ ۞ ـنِ سُرُوْرٌ بِيَوْمِهِ وَازْدِهَاءُ)

قوله: «**الْمَوْلِدِ**» بكسر اللام أو بفتحها، والمراد هنا نفس الحدث، أي: ليلة الولادة، وقوله: «**الَّذِيْ كَانَ**» أي: وجد، ولم يزل كذلك مستمرا، فـ«كان» تامة تكتفي بالمرفوع، قوله: «**لِلدِّيْنِ**» أي: للأحكام الشرعية، وقوله: «**سُرُوْرٌ**» أي: فرح عظيم وابتهاج، وفي إسناد السرور للدين مجاز عقلي لأن الذي يسر حقيقة إنما هو أهل الدين، ويصح أن يكون في

يَوْمَ نَالَتْ بِوَضْعِهِ ابْنَةُ وَهْبٍ ۞ مِنْ فَخَارٍ مَا لَمْ تَنَلْهُ النِّسَاءُ
وَأَتَتْ قَـوْمَـهَـا بِأَفْضَلَ مِمَّا ۞ حَـمَلَتْ قَبْلُ مَرْيَمُ الْعَذْرَاءُ

الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الدين بشخص ذي سرور تشبيها مضمرا في النفس، وإثبات السرور تخييل، قوله: «بِيَوْمِهِ» أي: في يوم مولده عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو يوم الإثنين، وقوله: «وَازْدِهَاءُ» أي: زيادة افتخار وبـهاء.

(يَوْمَ نَالَتْ بِوَضْعِهِ ابْنَةُ وَهْبٍ ۞ مِنْ فَخَارٍ مَا لَمْ تَنَلْهُ النِّسَاءُ)

قوله: «يَوْمَ» مبني على الفتح لإضافته إلى فعل مبني وهو «نالت» وهو في محل رفع بدل من «ليلة» أو في محل جر بدل من «المولد» أو في محل رفع خبر مبتدإ محذوف، ويجوز على لغة قليلة أن يعرب بالكسر أو بالضم مضافا للجملة التي بعده، وعلى كل حال فهو بمعنى وقت، قوله: «نَالَتْ» بمعنى أعطيت، وقوله: «بِوَضْعِهِ» أي: بسبب ولادته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو متعلق بـ«نالت»، قوله: «ابْنَةُ وَهْبٍ» صفة لموصوف محذوف، أي: آمنة ابنة وهب، وهو فاعل «نالت»، قوله: «مِنْ فَخَارٍ» أي: تمدح بالخصال العلية والصفات المرضية، وهو بيان لما بعده، وقدم على المبين للضرورة كذا قاله الشيخ محمد الشنواني، أو للإجراء على القول بجواز تقديم البيان على المبين، ومعنى البيت: أن آمنة بنت وهب أعطاها اللّٰه تعالى بسبب ولادته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الفخار كمالا لم يعطه للنساء غيرها.

(وَأَتَتْ قَوْمَهَا بِأَفْضَلَ مِمَّا ۞ حَمَلَتْ قَبْلُ مَرْيَمُ الْعَذْرَاءُ)

قوله: «وَأَتَتْ» معطوف على «نالت»، قوله: «قَوْمَهَا» مفعول «أتت»، والقوم هنا شامل للنساء، قوله: «بِأَفْضَلَ» أي: بمولود أفضل وهو النبي الذي فضله اللّٰه على جميع الخلق إجماعا، قوله: «مِمَّا حَمَلَتْ» أي: من مولود حملت بذلك المولود وهو عيسى، وفي نسخة: «مما قد أتت»، قوله: «قَبْلُ» أي: قبل حمل آمنة بالنبي ﷺ، وقد كان قدر ما بين

مَوْلِدٌ كَانَ مِنْهُ فِيْ طَالِعِ الْكُفْـ ۞ ـــرِ وَبَالٌ عَلَيْهِمُ وَوَبَاءُ

النبي وعيسى نحو ستمائة سنة، قوله: «**مَرْيَمُ**» وهي التي أحصنت فرجها، وقوله: «**الْعَذْرَاءُ**» أي: البكر التي لم تتزوج، وإنما ولدت عيسى بدون تزوّج ومس ذكر لها لأن جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ نفخ في جيب درعها بإذن اللّه تعالى فحملت به ووضعته في الحال على الأشهر كرامة لها وإرهاصا لعيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وإنما أتى الناظم بـهذا البيت وإن كان تفضيل النبي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على عيسى قد علم مما قبله لأن عيسى لما ولد بغير أب ولم يمكث في بطن أمه مدة الحمل المعلومة ولم يمسه الشيطان ربما يتوهم من ذلك أفضلية عيسى على نبينا فنفى ذلك التوهم على الوجه الأكمل لأنه قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل.

ومعنى هذا البيت: أن آمنة بنت وهب جاءت إلى قومها بالنبي ﷺ وهو أفضل من المولود الذي حملت به مريم العذراء قبلها وهو عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بل هو أفضل من سائر المخلوقين من بشر وجن ومَلَك بالإجماع.

(مَوْلِدٌ كَانَ مِنْهُ فِيْ طَالِعِ الْكُفْـ ۞ ـــرِ وَبَالٌ عَلَيْهِمُ وَوَبَاءُ)

قوله: «**مَوْلِدٌ**» إما بالجر بدل من «المولد» الذي هو المضاف إليه، وإما بالرفع بدل من «ليلة» الذي هو مضاف، أو خبر مبتدإ محذوف، وعلى رفعه يكون بمعنى زمان ولادة، بخلافه على الجر فإن المراد به نفس الولادة، والتنكير فيه للتعظيم، أي: مولد عظيم مفتخر، قوله: «**كَانَ**» أي: وجد على الدوام والاستمرار، قوله: «**مِنْهُ**» أي: لأجله، فـ«مِن» تعليلية بمعنى اللام، ويصح أن تكون لابتداء الغاية، وعلى كل حال فالضمير عائد على «المولد» لأنه المذكور في العبارة، ويصح رجوعه لـ«المولود» وهو النبي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ المأخوذ من لفظ «مولد» أو من سياق الكلام، قوله: «**فِي طَالِعِ الْكُفْرِ**» على حذف مضاف، أي: في

طالع أهل الكفر، وأراد بأهل الكفر نفس الفُرْس بدليل سياق الكلام[1]، أو ما هو أعم نظرا للواقع ونفس الأمر، قوله: «**وَبَالٌ**» أي: همّ شديد وتوبيخ شديد، قوله: «**عَلَيْهِم**» أي: أهل الكفر، وهو بضم الميم مع الإشباع للوزن، قوله: «**وَوَبَاءُ**» أي: مرض شديد عام كالحمى.

ومعنى هذا البيت: أن مولده عَلَيْهِ السَّلَامُ، أي: ولادته أو زمانها وجد منه واستمر لأهل العقول أن أهل الكفر سيحل بهم الوبال والوباء، وقد حصل ذلك بالفعل.

(وَتَوَالَتْ بُشْرَى الْهَوَاتِفِ أَنْ قَدْ ۞ وُلِدَ الْمُصْطَفٰى وَحَقَّ الْهَنَاءُ)

قوله: «**الْهَوَاتِفِ**» جمع «هاتف» وهو في الأصل: الجني الذي يهتف بصوت خفي ولا يرى شخصه، والمناسب حمل كلام الناظم على هذا المعنى لأن الذي هتف في ليلة الولادة إنما هو خصوص الجن كذا أفاده الشنواني، قوله: «**أَنْ قَدْ**» أي: بأن قد، فحذفت الباء الداخلة على «أن» المخففة من المثقلة المتعلقة بـ«بشرى» لضرورة النظم، قوله: «**الْمُصْطَفَى**» أي: المختار من جميع الخلق للتبليغ، قوله: «**حَقَّ**» بفتح الحاء المهملة بمعنى «ثبت»، وقوله: «**الْهَنَاءُ**» أي: الفرح والسرور بولادته ﷺ. ومعنى هذا البيت: وتتابعت بشارة الجن بولادته ﷺ وثبت الفرح والابتهاج للناس بولادته لكونه رحمة للعالمين.

---

(١) قوله: (**وأراد بأهل الكفر نفس الفرس بدليل سياق الكلام**) والبيت الذي قبل هذا هو:

وَعُيُوْنٌ لِلْفُرْسِ غَارَتْ فَهَلْ كَا ۞ نَ لِنِيْرَانِهِم بِهَا إِطْفَاءُ

و«الفرس» بضم الفاء وسكون الراء جمع «فارسي» كما في معجم المعاني، وفي النفحات اللطيفة: الفرس هم أهل مملكة فارس سموا بذلك لكمال شجاعتهم وتمام فراستهم اهـ، وكان مسكنهم في شمال العراق.

هٰذَا وَقَدِ اسْتَحْسَنَ الْقِيَامَ عِنْدَ ذِكْرِ مَوْلِدِهِ الشَّرِيْفِ أَئِمَّةٌ ذَوُوْ رِوَايَةٍ وَرَوِيَّةٍ * فَطُوْبٰى لِمَنْ كَانَ تَعْظِيْمُهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَايَةَ مَرَامِهِ وَمَرْمَاهُ *

(**هذا**) أي: افهم هذا، أو التقدير: هذا حاصل ما ذكرت، فهو مفعول أو مبتدأ (**وقد استحسن القيام**) أي: عده حسنا (**عند**) انتهاء المدح إلى (**ذكر مولده**) أي: ولادته (**الشريف**) أي: العالي على مولد غيره من الأنبياء والمرسلين (**أئمة ذوو رواية**) أي: نقل عن العلماء والصلحاء المتقدمين (**ورَوِيّة**) أي: تَفكُّر، وذلك لما فيه من إظهار الفرح والسرور والتعظيم، واستشهد لاستحباب القيام بقول يحيى الصرصري من بحر الطويل نفعنا اللّٰه تعالى به:

قليلٌ لمدح المصطفى الخطُّ بالذَّهَب ۞ على فضةٍ من خطّ أحسن من كَتَبْ
وأن تنهضَ الأشرافُ عند سماعه ۞ قياما صفوفا أو جِثِيًّا على الرُّكَبْ
أما اللّٰه تعظيما له كتب اسمَه ۞ على عرشه يا رتبة سمت الرتب

وقد قام الشيخ تقي الدين السبكي حالا عند سماعه منشدا لهذه الأبيات لما وصل المنشد للبيت الثاني، والقضاة والأعيان بين يديه، وذلك عند ختم درسه رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، وقال الشبراملسي: جرد عادة كثير من المحبين إذا سمعوا بذكر وضعه أن يقوموا تعظيما له ﷺ، وهذا القيام بدعة لا أصل له.

(**فطوبى**) أي: فالخير الكثير أو الشجرة التي في الجنة التي تخرج منها ثياب وحلى (**لمن**) أي: لشخص (**كان تعظيمه ﷺ غاية مرامه**) أي: مطلوبه (**ومرماه**) أي: مبلغ قصده، أي: ذلك الشخص، فالثواب لمن جعل تعظيمه له ﷺ مقصودا بقلبه دائما ومنصوبا بين عينيه، وقوله: «تعظيمه» خبر «كان» مقدم وهو مضاف إلى مفعوله، أي: تعظيمه إياه ﷺ،

عَـطِّـرِ اللّٰـهُـمَّ قَبْرَهُ الْكَـرِيْـمَ ❊ بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمِ

وقوله: «غاية» اسمها مؤخرا، وهذا الإعراب أسهل من غيره في إعادة الضمير وفي حصول الفهم.

واعلم: أن الاعتناء بمولده ﷺ من أعظم القربات، وذلك يحصل بإطعام الطعام وقراءة القرآن وذكر القصائد النبوية، فلابد من قصد اليوم الذي ولد ﷺ فيه بعينه أو الليلة التي ولد ﷺ فيها من عدد أيام ذلك الشهر بعينه، قال ﷺ: من عظم مولدي كنت شفيعا له يوم القيامة، ومن أنفق درهما في مولدي فكأنما أنفق جبلا من ذهب في سبيل اللّه تعالى. وقال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أنفق درهما في مولد النبي ﷺ كان رفيقي في الجنة. وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من عظم مولد النبي ﷺ فقد أحيا الإسلام. وقال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أنفق درهما على قراءة مولد النبي ﷺ فكأنما شهد يوم وقعة بدر وحُنَين. وقال علي كرّم اللّه وجهه ورضي عنه: من عظم مولد النبي ﷺ لا يخرج من الدنيا إلا بالإيمان. وقال الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من جمع لمولد النبي ﷺ إخوانا وهيأ لهم طعاما وعمل إحسانا بعثه اللّه يوم القيامة مع الصديقين والشهداء والصالحين، ويكون في جنات النعيم.

وقال السري السقطي: من قصد موضعا يقرأ فيه مولد النبي ﷺ فقد أعطي روضة في الجنة، لأنه ما قصد ذلك الموضع إلا لمحتبه ﷺ، وقد قال ﷺ: من أحبني كان معي في الجنة.

(عَطِّرِ اللّٰـهُـمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْـمَ ❊ بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْم)

❊ ❊ ❊

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ

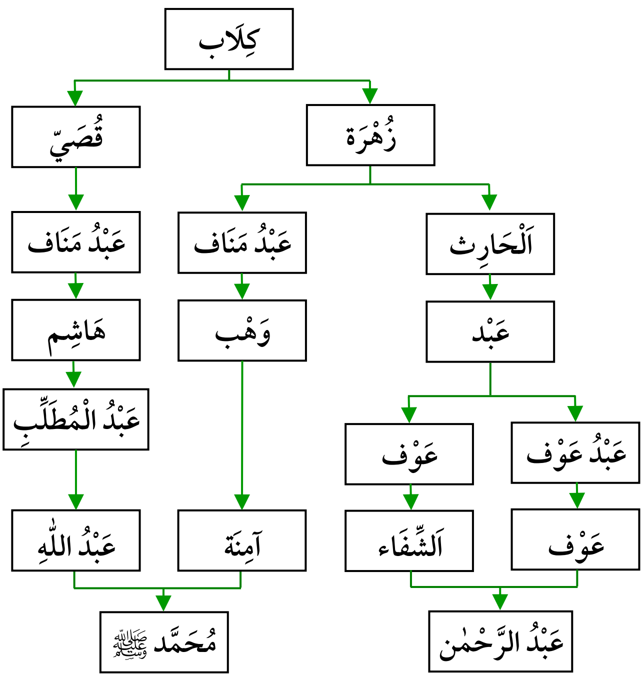
وَبَرَزَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ ....

(اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ)

(**وبرز**) أي: خرج (ﷺ) من بطن أمه (**واضعا يديه**) أي: كفيه منشورتين (**على الأرض**) بعد وضع الركبتين، وهو بعد وقوعه على يدي الشفاء[1]، فيكون أوّلا وقع على

---

(١) قوله: (**الشفاء**) بكسر الشين وتخفيف الفاء مع المد أو مع القصر، اهـ الباجوري، وهي الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب، وهي أم عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب: وفي مولد أبي البركات: عن عبد الرحمن بن عوف عن أمه الشفاء قالت: لما ولدت آمنة رسول اللّه ﷺ وقع على يدي فاستهل فسمعت قائلا يقول: رحمك اللّه، قالت الشفاء: وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى بعض قصور الشام.



رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ الْعَلِيَّةِ * مُوْمِيًا بِذٰلِكَ الرَّفْعِ إِلٰى سُؤْدَدِهِ وَعَلَاهُ * وَمُشِيْرًا إِلٰى رِفْعَةِ قَدْرِهِ عَلٰى سَائِرِ الْبَرِيَّةِ * وَأَنَّهُ الْحَبِيْبُ الَّذِيْ حَسُنَتْ طِبَاعُهُ وَسَجَايَاهُ * ....

يديها ثم بعد ذلك وقع على ركبتيه، وفي رواية ابن سعد عن محمد بن عمر الأسلمي: ثم وقع جاثيا على ركبتيه معتمدا على الأرض بيديه ثم أخذ قبضة من تراب، وروي أنه هوى، أي: نزل ساجدا (**رافعا رأسه إلى السماء العلية**) شاخصا ببصره إليها (**موميا بذلك الرفع**) أي: رفع رأسه (**إلى سؤدده**) أي: سيادته على الخلق أجمعين (**و**) إلى (**عَلاه**) في المكارم فلا يتوجه قصده إلا إلى جهات العلو دون غيرها مما لا يناسب قصده، و«العلا» بفتح العين أصله «علائه» بالمد ثم جعل مقصورا للسجع، وهو مصدر «عَلِيَ يَعْلَى» من باب «تعب» كما في المصباح، وأما «العُلَى» بضم العين فهو جمع «عُلْيَا» مؤنث «أعلى»، وذلك مثل «كبرى» و«كُبَر»، (**ومشيرا**) برفع بصره في تلك الحالة (**إلى رفعةِ**) بكسر الراء (**قدره**) وعلو شأنه (**على سائر البرية**) أي: باقي الخلق، وهو بتخفيف الراء، وذلك من آياته ﷺ، وهو أول فعل وجد منه في أول ولادته، وفيه إيماء لمن له تأمل إلى أن جميع ما يقع له من حين يُولد إلى حين يُقبض ما يدل عليه العقل[١]، فإنه لا يزال متزايد الرفعة في كل وقت وحينٍ عاليَ الشأن على المخلوقين (**و**) مشيرا إلى (**أنه الحبيب**) للّه تعالى (**الذي حسنت طباعه**) بكسر الطاء، أي: أمزجته المركبة من الإخلاط (**وسجاياه**) أي: صفاته الخلقية الثابتة، قال بعض أهل الإشارات: لما ولد عيسى قال: إني عبد اللّه آتاني الكتاب وجعلني نبيا، فأخبر عن نفسه بالعبودية والرسالة، ولما ولد نبينا وقع ساجدا، فكانت عبودية عيسى بالمقال،

(١) قوله: (**ما يدل عليه العقل**) وفي مطبعة طه فوترا القديمة: (**يدل على العقل**) من غير «ما» النافية وغير هاء الضمير في «على»، وفي المطبعة العامرة: (**ما يدل على العقل**) من غير هاء الضمير في «على»، والذي أثبته هو من سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج: ١/ ص: ٣٤٣

وَدَعَتْ أُمُّهُ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ يَطُوْفُ بِهَاتِيْكَ الْبَنِيَّةِ * فَأَقْبَلَ مُسْرِعًا وَنَظَرَ إِلَيْهِ وَبَلَغَ مِنَ السُّرُوْرِ مُنَاهُ * وَأَدْخَلَهُ الْكَعْبَةَ الْغَرَّاءَ وَقَامَ يَدْعُوْ ....

وعبودية نبينا بالفعال، وفي سجوده عند وضعه إشارة إلى أن مبدأ أمره على القرب من ربه قرب مكانة، أي: ارتفاع، فحال عيسى يشير إلى مقام العبودية، وحال سيدنا محمد ﷺ يشير إلى مقام القرب من الحضرة الإلهية. (**ودعت أُمّه**) ﷺ (**عبدَ المطلب**) أي: طلبت من البشير بولادتِها له ﷺ أن ينادي جده عبد المطلب ويطلب إقباله إليها (**وهو**) أي: عبد المطلب (**يطوف بهاتيك البنية**) بفتح الموحدة وكسر النون وشد التحتية، أي: الكعبة، والإشارة بالبعيد للدلالة على بعدها عن غيرها من المساجد في الشرف، ولما جاء البشير بولادة آمنة له ﷺ إلى جده عبد المطلب قام هو ومن كان معه من أشراف قومه (**فأقبل مسرعا**) حتى دخل على آمنة، وكانت وضعته تحت بُرمة، أي: قِدْر كفأتها عليه كما هو عادة العرب فيمن ولد من قريش ليلا، وأرادت أن يكون جده أول من يراه، فوجدت البرمة قد انفلقت عنه فرقتين[1] (**ونظر**) أي: عبد المطلب (**إليه**) ﷺ، وإذا به قد شق بصره ينظر إلى السماء ويمص إبهامه فتَشْخَب[2] لبنا فأومأ إلى جده كالمسلم (**وبلغ**) أي: عبد المطلب (**من السرور مناه**) أي: ما يقدر حصوله، كذا في المصباح، فقوله: «من السرور» بيان لـ«مناه» أي: فرح بذلك فرحا شديدا فأخذه (**وأدخله الكعبةَ الغَرَّاء**) أي: الشريفة المعظمة (**وقام يدعو**) اللّه تعالى، والظاهر من هذا التركيب أنّ «قام» هنا من أفعال الشروع بمعنى «شرع» لأنها لا تنحصر، كما قاله النحاة، فتنصب الاسم وترفع الخبر، واسمها

---

(١) قوله: (**فوجدت البرمة قد انفلقت عنه فرقتين**) قال بعض أهل الإشارات: في انفلاق البرمة عنه إشارة إلى ظهور أمره وانتشاره، وأنه يفلق ظلمة الجهل ويزيلها. كذا في سبل الهدى والرشاد.

(٢) قوله: (**فتشخب**) أي: تسيل.

بِـخُلُوْصِ النِّيَّةِ * وَيَشْكُرُ اللهَ تَعَالَى عَلَىٰ مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ * وَوُلِدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظِيْفًا مَـخْتُوْنًا ....

ضمير عائد إلى «عبد المطلب»، وجملة ما بعدها خبرها، أي: أنشأ يدعو اللّه تعالى (**بخلوص النية**) من نحو الرياء (**ويشكر اللّه تعالى على ما مَنّ**) أي: أنعم (**به**) ﷺ (**عليه وأعطاه**) فـ«على» للتعليل، وأنشد يقول:

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الّذِي أَعْطَانِي ۞ هٰذَا الْغُلَامَ الطّيّبَ الْأَرْدَانِ
قَدْ سَادَ فِي الْمَهْدِ عَلَى الْغِلْمَانِ ۞ أُعِيذُهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ
لِأَنْ يَكُونَ بُلْغَةَ الْفِتْيَانِ ۞ حَتّى أَرَاهُ بَالِغَ الْأَمانِي
أُعِيذُهُ مِنْ كُلّ ذِي شَنَآنِ ۞ وَحَاسِدٍ مُضْطَرِبٍ مِعْيَانِ
ذِي هِمّةٍ لَيْسَ لَهُ عَيْنَانِ ۞ حَتّى أَرَاهُ عَالِيَ الْبُنْيَانِ
هٰذَا الَّذِي سُمِّيَ فِي الْفُرْقَانِ ۞ وُكُلِّ كُتْبٍ ثَابِتِ الْمَثَانِي
أَحْمَد مَكْتُوْبًا عَلَى الْأَسَانِي ۞ لِلّٰهِ دَرُّ سَيِّد مَعَانِي

قوله: «الأساني» أي: المحال العالية.

(**وولد ﷺ نظيفا**) من قذر (**مختونا**) أي: على صفة المختون كما في أكثر الأخبار، وجملة مَن وُلِدَ مختونا سبعة عشر، ونظمهم العلامة عبد الباسط البلقيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال:

وَفِي الرُّسْلِ مَخْتُوْنٌ لَعَمْرُكَ خِلْقَةً ۞ ثَمَانٍ وَتِسْعٌ طَيِّبُوْنَ أَكَارِمُ
وَهُمْ زَكَرِيَّا شِيْثُ إِدْرِيْسُ يُوْسُفُ ۞ وَحَنْظَلَةُ عِيْسَى وَمُوْسَى وَآدَمُ
وَنُوحٌ شُعَيْبٌ سَامُ لُوْطٌ وَصَالِحُ ۞ سُلَيْمَانُ يَحْيَى هُوْدُ أَحْمَدُ خَاتَمُ

مَقْطُوْعَ السُّرِّ بِيَدِ الْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ * طَيِّبًا مَدْهُوْنًا مَكْحُوْلَةً بِكُحْلِ الْعِنَايَةِ عَيْنَاهُ * وَقِيْلَ خَتَنَهُ جَدُّهُ بَعْدَ سَبْعِ لَيَالٍ سَوِيَّةٍ * وَأَوْلَمَ وَأَطْعَمَ وَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ *

(**مقطوع السُّرّ**) بضم السين وشد الراء من غير تاء، وهو ما تقطعه القابلة من سرة الصبي، تقول: عرفتك قبل أن يقطع سُرّك، ولا تقل: «سرتك» بالتاء لأن «السرة» بالتاء لا تقطع، وقول بعضهم «مقطوع السرة» بالتاء يقدر في الكلام حذف، أي: مقطوع منه ما يتصل بالسرة أو نحو ذلك، أو يحمل على أن المراد به السُّرّ على سبيل المجاز للمجاورة، (**بيد القدرة الإلهية**) أي: بتصريف القدرة المعبودية، فالجار والمجرور متعلق بكل من «نظيفا» و«مختونا» و«مقطوع السر»، (**طيبا**) وكل من دخل عليه ﷺ ونظر إليه ثم أتى منزله تقول له زوجته: هل تطيبت بالطيب؟ فيقول: لا، وإنما كنت عند محمد بن عبد اللّه، (**مدهونا**) أي: كأنه مدهون لرونق جسمه (**مكحولة بكُحل العناية**) الربانية (**عيناه**) نائب الفاعل لـ«مكحولة»، و«الكحل» بالضم: شيء يجعل في العين، وبالفتح: مصدر، وهو فعل الكاحل، وهذا أنسب لما قبله. (**وقيل: ختنه جده**) ﷺ (**عبد المطلب بعد سبع ليال سوية**) أي: تامة، وذلك في ثامن يوم ولادته يوم الإثنين (**وأولم**) عبد المطلب وليمة جمع فيها أهل مكة وذبح الجزر والغنم، (**وأطعم**) أي: عمل طعاما ثم شوى قديدا وحمله للوحوش في البرية، فلم يكن للناس حديث إلا وليمة عبد المطلب التي أولمها لرسول اللّه ﷺ فرحا بمولده، وحصل لأهل مكة السرور والهنا، وزال عنهم التعب والعنا، وتم القصد ونالوا المنى (**وسماه محمدا وأكرم مثواه**) أي: منزله، وكان يبره ويكرمه ويحبه أكثر من أولاده،وكان يقول: أرجو أن يبلغ من الشرف ما لا يبلغه أحد قبله ولا بعده.

وروي أن عبد المطلب قال: بينما أنا نائم في الحجر رأيت رؤيا هالتني ففزعت منها فزعا شديدا، فأتيت كاهنة قريش وعليّ مرط من خز، فلما نظرَتْ إليّ عرفتني ورأت في

وجهي تغيرا، وأنا حينئذ سيد قومي، فقالت: ما بال سيدنا قد أتانا متغيرا، هل رابك من حادث الزمن شيء، وكان لا يكلمها أحد من الناس حتى يقبل يدها اليمنى ويضع يده على رأسها ثم يذكر حاجته، قال: فلم أفعل ذلك لأني كبير قومي، فجلست وقلت: إني رأيت الليلة رؤيا وأنا نائم في الحجر رأيت كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهري، لها أربعة أطراف: طرف منها قد بلغ مشارق الأرض، وطرف قد بلغ مغاربَها، وطرف قد بلغ عنان السماء، وطرف قد جاوز الثرى، فبينما أنا أنظر إليها إذ صارت في أسرع من طرفة عين شجرة خضراء لم ير الراؤون مثلها ولا أنور منها ولا أحسن منها، فبينما أنا كذلك إذا أنا بشخصين واقفين، أحدهما أسود الرأس واللحية، والآخر أبيض الرأس واللحية، فقلت للأسود الرأس واللحية: من أنت؟ فقال: أما تعرفني؟ فقلت: اللهم لا، فقال: أنا نوح نبي رب العالمين، وقلت للآخر: من أنت؟ فقال: أنا إبراهيم خليل رب العالمين، ثم انتبهت، فقالت الكاهنة: إن صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به أهل السموات والأرض وليكونن في الناس علما مبينا.

(عَطِّرِ اللّٰهُمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْم)

* * *

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ

وَظَهَرَ عِنْدَ وِلَادَتِهِ خَوَارِقُ وَغَرَائِبُ غَيْبِيَّةٌ * إِرْهَاصًا لِنُبُوَّتِهِ وَإِعْلَامًا بِأَنَّهُ مُـخْتَارُ اللّٰهِ تَعَالٰى وَمُـجْتَبَاهُ * فَزِيْدَتِ السَّمَاءُ حِفْظًا وَرُدَّ عَنْهَا الْمَرَدَةُ وَذَوُو النُّفُوْسِ الشَّيْطَانِيَّةِ * وَرَجَـمَتْ رُجُوْمُ النَّيِّرَاتِ ....

(اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْه)

(وظهر عند ولادته) ﷺ (خوارق) أي: أمور مخالفة للعادات (وغرائب) أي: أمور بعيدة عن الفهم (غيبية) أي: خفية عن العقول (إرهاصا) أي: تأسيسا (لنبوته) ﷺ، وهو ما تقدم على النبوة فإنـها بعد الأربعين سنة (وإعلاما) للخلائق (بأنه مختار اللّٰه تعالى ومجتباه) أي: مصطفاه (فزيدت السماء) التي هي محل تنزل أمر اللّٰه بالقضاء والقدر وإنزال القرآن (حفظا) أي: حراسة من الجن المسترقين للسمع، فإن الجن كانت تصعد السموات حتى السابعة، فتسمع الأحكام والمغيبات التي تكتبها الملائكة وتتكلم بها وتنزل بها إلى الأرض، فتخبر بـها الكهان وتزيد على الكلمة الحقيقة مائة كذبة، فلما ولد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ منعوا من ثلاث سموات بلا شهب، أي: أعجزهم اللّٰه تعالى عن صعودها، فلما ولد سيدنا محمد ﷺ منعوا من البقية بالشهب، لكن صاروا يصعدون ويصلون إلى أماكن قريبة من أبواب السماء، فيستمعون منها، فلما بعث ﷺ زيد المنع والطرد والحراسة، وكثرت الشهب، فصاروا لا يصعدون أصلا، (ورُدَّ) أي: في تلك الليلة (عنها) أي: السماء (المَرَدَة) جمع «مارد» (وذوو النفوس الشيطانية) أي: المسترقون لسماع كلام الملائكة فيخبرون به من في الأرض ليقع كما يقولون، وحجب إبليس عن خبر السماء (ورجمت رجوم النيرات)

كُلَّ رَجِيْمٍ فِيْ حَالِ مَرْقَاهُ * وَتَدَلَّتْ إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَنْجُمُ الزُّهْرِيَّةُ * وَاسْتَنَارَتْ بِنُوْرِهَا وِهَادُ الْحَرَمِ وَرُبَاهُ * ....

فـ«رجوم» بالراء المضمومة جمع «رجم» مصدر، وهو إما بمعنى اسم المفعول، والإضافة من إضافة الصفة للموصوف، فـ«النيرات» بمعنى «الكواكب»، أي: رجمت الكواكب المرجومات، وإما باق على مصدريته فيقدر مضاف، أي: ذوات رجوم، فالإضافة بيانية، أي: رجمت ذوات الرجوم التي هي النيرات، وفي بعض النسخ: «نجوم النيرات» بالنون بدل الراء، وحينئذ فالإضافة بيانية أو من إضافة الصفة للموصوف، فـ«النيرات» حينئذ بمعنى المضيآت، والمراد بذلك شعلة نار تنفصل من الكوكب تحرق الشيطان المسترق للسمع، فالكوكب نفسه لا ينفصل عن محله، وقيل: ينفصل من محله فيحرق الشيطان ثم يرجع إلى مكانه، وإذا انفصلت الشعلة فتسقط على المسترق منهم فلا تختطئ أبدا، فمنهم من تقتله، ومنهم من تحرق وجهه، ومنهم من تخبله، فيصير غولا يضل الناس في البراري (**كلَّ رجيم**) أي: مرجوم (**في حال مرقاه**) بفتح الميم مصدر ميمي، أي: صعوده لاستراق السمع (**وتدلّت**) بتشديد اللام، أي: قربت قربا شديدا كما فسر بمثل ذلك الشربيني في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨]. (**إليه ﷺ الأنجم الزهرية**) أي: المضيئة، وهي بضم الزاي وسكون الهاء، نسبة إلى زهرة كذلك كما في الصحاح من نسبة الموصوف إلى صفته، وروى البيهقي عن فاطمة الثقفية أنها قالت: لما حضرت ولادة النبي ﷺ رأيت البيت حين وقع قد امتلأ نورا، ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع عليّ، انتهى. وكان كل واحد من النجوم قدر الجبل لأن العظيم إذا بعد يرى في عين الرائي صغيرا، (**واستنارت**) أي: أضاءت (**بنورها**) أي: الأنجم (**وِهَاد الحرم ورباه**) و«الوهاد» بكسر الواو جمع «وهدة» وهي الأرض المنخفضة، و«الربا» جمع «ربوة» بتثليث الراء لكن الضم لغة الأكثر، والفتح

وَخَرَجَ مَعَهُ نُوْرٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُوْرُ الشَّامِ الْقَيْصَرِيَّةُ * فَرَآهَا مَنْ بِبِطَاحِ مَكَّةَ دَارُهُ وَمَغْنَاهُ * ....

لغة بني تميم، والكسر لغة قليلة، وهي الأرض المرتفعة، والجمع «ربا» بضم الراء وكسرها مثل «غرفة» و«غرف» و«سدرة» و«سدر» كما في المصباح (**وخرج معه**) ﷺ وقت ولادته (**نور أضاءت له قصور الشام القيصرية**) أي: المنسوبة إلى قيصر لقب من ملك الروم، و«القصور» جمع «قصر» وهو كل بيت من حجر، و«الشام» بالهمز وتركه وطوله ما بين العريش والفرات، وعرضه ما بين جبل طيء جهة المدينة وبحيرة الروم، وفي رواية «قصور بصرى»، وفي تخصيص بصرى: لطيفة، وهي أنـها أول موضع من بلاد الشام دخلها ذلك النور المحمدي، ولذلك كانت أول ما افتتح من بلاد الشام، وقال بعضهم: في إضاءة قصور بصرى إشارة إلى أنه ﷺ ينور البصائر ويحيي القلوب الميتة. وعن همام بن يحيى: أن أم النبي ﷺ قالت لما ولدته: خرج من فرجي نور أضاءت له قصور الشام، وعن أم سلمة قالت آمنة: لقد رأيت ليلة وضعه نورا أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها. هذا ويجوز أن يكشف اللّه عن بصر آمنة، فرأت قصور الشام مضيئة بذلك النور، ويجوز أنـها رأت النور ظاهرا ولم تعلم حين خروجه منتهاه لكن أشيع أمره بعد، وأنه كان في يوم كذا نور أضاءت له تلك القصور، فكان ذلك اليوم يوم ولادته. (**فرآها من ببطاح مكة داره ومغناه**) بفتح الميم وسكون الغين المعجمة، أي: محل إقامته، فقوله «داره» مبتدأ مؤخر، و«مغناه» معطوف عليه، وقوله «ببطاح» خبر مقدم عليه، والجملة من المبتدإ والخبر صلة «مَن»، و«بطاح مكة» هو المحصب المسمى الآن بالمعابدة، وإضاءة قصور الشام بذلك النور إشارة إلى أنه يصلها بنفسه، وأن الإسراء يكون إليها ثم منها إلى السماء، وأنـها دار ملكه، وأنـها مهاجر

وَانْصَدَعَ الْإِيْوَانُ بِالْمَدَائِنِ الْكِسْرَوِيَّةِ * الَّذِيْ رَفَعَ أَنُوْشَرَوَانَ سَمْكَهُ وَسَوَّاهُ * وَسَقَطَ أَرْبَعَ عَشَرَةَ مِنْ شُرُفَاتِهِ الْعُلْوِيَّةِ * ....

الأنبياء، وأنه ما من نبي إلا وهو فيها أو هاجر إليها أو هو منها، وبها ينزل عيسى، وهي أرض المحشر والمنشر.

(**وانصدع الإيوان**) أي: انشق انشقاقا ظاهرا لكل من يراه، وارتجس حتى سمع صوته، وهو بكسر الهمزة وسكون الياء كـ«ديوان»، ويقال فيه «إوان» بوزن «كتاب» وهو أزج بفتح الهمزة والزاي وبالجيم: بيت يبنى طولا لم يسد وجهه وهو بيت المملكة الذي كان الملك يجلس فيه مع أهل مملكته لتدبير الحكم (**بالمدائن**) أي: هو بناء مشهور في المدائن، وهو بلدة من أرض العراق، وبين ذلك الإيوان وبغداد مرحلة، وهو باق إلى الآن (**الكسروية**) أي: المنسوبة إلى كسرى (**الذي رفع أنوشروان سمكه**) أي: ارتفاعه، وكان سمكه مائة ذراع في طول مثلها، وكان بناء محكما مبنيا بالآجُرّ[1] الكبار والجص، وهو من أعاجيب الدنيا بناء وسعة وإحكاما، أي: إتقانا، وليس السبب في الانشقاق خللا في بنائه في نفسه، وإنما أراد اللّه تعالى أن يكون ذلك آية باقية على وجه الأرض مدى الدهر لنبيه ﷺ (**وسَوّاه**) أي: أقامه وأحكم بناءه.

(**وسقط أربع عشرة من شرفاته**) بضم الشين المعجمة والراء وقد تفتح وحكي سكونـها، جمع «شرفة» بضم فسكون مثل «غرفة»، وهي ما يبنى على أعلى الحائط منفصلا بعضه عن بعض على هيئة معروفة، وكان لذلك الإيوان اثنتان وعشرون شرفة (**العلوية**) أي: المنسوبة إلى العلو، وطول كل شرفة خمسة عشر ذراعا، وفي سقوط تلك الأربع عشرة

---

(١) قوله: (**الآجر**) بضم الجيم وتشديد الراء، أي: اللَّبِن المُحْرَق المُعَدُّ للبناء، كذا في معجم المعاني.

وَكُسِرَ مُلْكُ كِسْرَى لِهَوْلِ مَا أَصَابَهُ وَعَرَاهُ * ....

إشارة إلى أنه يملك منهم ملوك بعددها، وهم اثنا عشر رجلا وامرأتان، عشرة في عشر سنين(١)، وأربعة في خلافة عثمان وفتح المسلمين هكذا قيل، والسديد أن ملك العشرة كان في زمن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (وكسر) بالبناء للمفعول، أي: هلك (ملك كسرى) بكسر الكاف وفتحها، والكسر أفصح، والنسبة إليه «كسري» و«كسروي» بالواو وبحذفها كما في القاموس، ومعناه بالعربية: مجدد الحكم وواسعه، وهو عَلَم لكل من ملك الفرس كـ«قيصر» ملك الروم، و«تُبَّع» ملك اليمن، و«النعمان» ملك العرب من جهة العجم، و«النجاشي» ملك الحبشة، و«جالوت» ملك البربر، و«خاقان» ملك الترك، و«فرعون» ملك القبط، و«العزيز» ملك مصر، (لهول ما) أي: للفزع الذي (أصابه) أي: ملك كسرى (وعراه) أي: أتاه، وقد ورد في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده»، وقد دعا ﷺ عليه بهلاك ملكه حين أتاه مكتوبه ومزقه فمزقه اللّه كل ممزق، لأن دعاءه مستجاب سواء كان الدعاء بخير أو شر، وما أحسن قول بعضهم:

يا أيها المغرور بالدنيا اعْتَبِرْ ❁ بِدِيَارِ كِسرى فَهْيَ مُعتَبَر الْوَرَى
كانَتْ مَنازِلَ للملوك فأصبحَتْ ❁ من بعدِ حادثةِ الزمان كما تَرى

وروي أنه اجتمع عند كسرى أربعة من الحكماء عراقي وهندي ورومي وسوداني، فقال لهم: كل واحد منكم يصف لي الدواء الذي لا داء معه، فقال العراقي: أن تشرب كل يوم على الريق ثلاث جرعات من الماء المسخن، وقال الرومي: أن تسفّ كل يوم قليلا من حب الرشاد، وقال الهندي: أن تأكل كل يوم ثلاث حبات إهليلج وهو الشعير الهندي

(١) قوله: (عشرة في عشر سنين) وفي المواهب اللدنية للقسطلاني: وقد ملك منهم عشرة في أربع سنين، وملك الباقون إلى خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَخَمَدَتِ النِّيْرَانُ الْمَعْبُوْدَةُ بِالْمَمَالِكِ الْفَارِسِيَّةِ * لِطُلُوْعِ بَدْرِهِ الْمُنِيْرِ وَإِشْرَاقِ مُحَيَّاهُ * ......

المعروف في الأدوية[١] أسود اللون، والسوداني ساكت، وكان أحذقهم وأصغرهم سنا، فقال الملك: لم لا تتكلم؟ فقال: يا مولانا، الماء المسخن يذيب لحم الكُلَى[٢] ويرخي المعدة، وحب الرشاد يهيج الصفراء، والإهليلج يهيج الصفراء[٣]، ثم قال: الدواء الذي لا داء معه أن لا تأكل إلا بعد جوع، فإن أكلت فارفع يدك قبل الشبع فإنك لا تشكو علة إلا الموت، فصدقوه كلهم، قال: والاحتماء في وقت الصحة خير من شرب الأدوية في وقت المرض، والمراد بالاحتماء: قلة الأكل.

(**وخمدت**) بفتح الميم ويجوز كسرها (**النيران**) أي: انطفأ لهبها تلك الليلة (**المعبودة بالممالك الفارسية**) أي: وهي التي كانوا يعبدونها لأنهم كانوا مجوسا، وكان لبيوت النيران سدنة يقومون عليها ويتناوبون إيقادها، ولم تخمد قبل ذلك بألفي عام بل كانت توقد وتضرم أشد الإيقاد والإضرام ليلا ونهارا إلى ليلة مولد النبي ﷺ فلم يقدر أحد تلك الليلة على إيقاد شيء منها (**لطلوع**) أي: ظهور (**بدره**) أي: نوره ﷺ الكامل (**المنير**) أي: الذي يضيء ويظهر على غيره (**وإشراق**) أي: إضاءة (**مُحَيَّاه**) أي: وجهه ﷺ، وفي خمود لهب تلك النيران إشارة إلى أنه ﷺ بعد ظهوره لا ملك ولا عز لأحد بعده بل الملك الحق

(١) قوله: (**الأدوية**) بفتح الهمزة وسكون الدال المهملة، جمع «دواء».

(٢) قوله: (**يذيب لحم الكلى**) لعل الصواب: «يذيب شحم الكلى» بالشين المعجمة، كما ذكر د. عبد الرزاق الزهراني، ويبدو أن شحم الكلى في زمنه كان قليلا وليس مثل اليوم الذي تغيَّرت فيه تضاريس الأجسام، ولا يزال الإندونيسيون يقدمون لضيوفهم الماء الساخن، ويضعون في غرف الفنادق حافظات (ترامس Termos) تحفظ الماء حارا.

(٣) قوله: (**والإهليلج يهيج الصفراء**) لعل الصواب: «يهيج السوداء»، كما ذكر د. عبد الرزاق الزهراني.

وَغَاضَتْ بُـحَيْرَةُ سَاوَةَ وَكَانَتْ بَيْنَ هَمَذَانَ وَقُمٍّ مِنَ الْبِلَادِ الْعَجَمِيَّةِ * وَجَفَّتْ إِذْ كَفَّ وَاكِفُ مَوْجِهَا الثَّجَّاجِ يَنَابِيْعُ هَاتِيْكَ الْمِيَاهِ * ....

والعز الحق له ﷺ (**وغاضت**) أي: نشفت بالكلية (**بحيرة**) تصغير «بحرة» لا «بحر» (**ساوه**) بالهاء وصلا ووقفا كـ«ابن ماجه» و«ابن منده»، وهي قرية من قرى بلاد فارس (**وكانت**) بحيرة ساوه، وتسمى أيضا بعين ساوه (**بين هَمَذان**) بفتح الميم والذال المعجمة بلدة بخرسان في عراق العجم سمي باسم بانيه همذان بن الفَلُّوْج بن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ (**وقمّ**) بضم القاف وتشديد الميم، قال الشاعر:

أيها القاضي بقُمّ ۞ قد عزلناك فَقُمْ

وهي اسم بلدة (**من بلاد العجمية**)، قال الشيخ خالد: وساوه هي مدينة في طريق همذان بينها وبين الري اثنان وعشرون فرشخا تقريبا، وفي المصباح: و«الري» بفتح الراء من عراق العجم، وبها قبر الكسائي ومحمد بن الحسن (**وجَفَّتْ إذ كَفَّ وَاكِفُ مَوْجِهَا الثَّجَّاج ينابيعُ هاتيك المياه**) قوله «وجفت» فعل ماض، وقوله «ينابيع» فاعله وهو بمعنى «عيون» وهي تطلق على محل خروج الماء وقد يراد بها نفس الماء الخارج، وقوله «إذ» ظرف لما مضى، وقوله «كف» فعل ماض لازم بمعنى «امتنع»، وقوله «واكف» فاعله وهو بمعنى «تقاطر»، وقوله «موجها» بمعنى «اضطرابها» والضمير عائد على «ينابيع» لأنه وإن كان متأخرا لفظا متقدم حكما، وقوله «الثجاج» صفة للموج وهو بمعنى «كثير الانصباب».

والمعنى: وجفت بالكلية ينابيع هاتيك المياه في وقت امتناع تقاطر اضطرابها الكثير السيلان، وكان طول تلك البحيرة ستة أميال، وعرضها كذلك، وكان يركب فيها السفن ويسافر إلى ما حولها من البلدان، فأصبحت ليلة مولده كأن لم يكن فيها ماء قط، ثم بني في

وَفَاضَ وَادِي سَمَاوَةَ وَهِيَ مَفَازَةٌ فِيْ فَلَاةٍ وَبَرِّيَّةٍ * لَمْ يَكُنْ بِهَا مِنْ قَبْلُ مَاءٌ يَنْقَعُ لِلظَّمْآنِ اللَّهَاةِ * وَكَانَ مَوْلِدُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَوْضِعِ الْمَعْرُوْفِ بِالْعِرَاصِ الْمَكِّيَّةِ * وَالْبَلَدِ الَّذِيْ لَا يُعْضَدُ شَجَرُهُ وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهُ * ....

محلها مدينة تسمى ساوه، وفي تلك الليلة أيضا نقص ماء بحيرة طبرية التي كانت بالشام وكانت تسعة فراسخ، ويكون ذهاب مائها بالكلية عند خروج يأجوج ومأجوج، وفي تلك الأمور أمارات على نفاد ملكهم وانطفاء دولتهم.

(**وفاض وادي سماوه**) بالهاء الساكنة في آخره أو بالألف المقصورة، أي: سال ماؤه، وهي، أي: سماوه موضع بين الشام والكوفة (**وهي مفازة**) أي: موضع مهلك (**في فلاة**) أي: أرض لا ماء فيها (**وبرية**) أي: صحراء، وهو بشد الراء (**لم يكن بها**) أي: لم يوجد في وادي سماوه (**قبل**) أي: قبل ذلك الوقت (**ماء ينقع**) أي: يسكن (**للظمآن**) أي: للعطشان (**اللهاة**) بفتح اللام، وهي اللحمة العالية على الحلق في أقصى الفم، وهذا إما مفعول به لـ«ينقع» أو بدل من «الظمآن» بدل بعض من كل على أنه مفعول بزيادة اللام، وفي بعض النسخ «للظمإ» بفتح الظاء والميم مصدر «ظمئ» على وزن «فرح»، وعلى هذا فاللام بمعنى «من»، و«اللهاة» مفعول به، وقوله «ماء» بالرفع الظاهر على الهمزة لأنه فاعل «يكن»، وهذه أمارات لظهور دين الحق عليهم.

(**وكان مولده**) أي: محل ولادته ﷺ (**بالموضع المعروف**) بين الناس (**بالعراص**) بكسر العين، أي: البقاع (**المكية والبلد الذي لا يعضد**) أي: لا يقطع (**شجره**) الذي نبت بنفسه (**ولا يختلى**) أي: لا يقطع (**خلاه**) بفتح الخاء المعجمة، وهو مقصور جمع «خلاة» بالتاء، وهي النباتات الرطبة، إلا لدواء فيحل قطعها، وهو محل مشهور بسوق الليل في آخر شعب بني هاشم، وهو بزقاق الذكك بالدال المهملة بدار كانت بيد عقيل بن أبي طالب لما

وَاخْتُلِفَ فِيْ عَامِ وِلَادَتِهِ وَفِيْ شَهْرِهَا وَفِيْ يَوْمِهَا عَلَىٰ أَقْوَالٍ لِلْعُلَمَاءِ مَرْوِيَّةٍ * وَالرَّاجِحُ أَنَّهَا قُبَيْلَ فَجْرِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَانِيْ عَشَرَ شَهْرِ رَبِيْعٍ الْأَوَّلِ ....

هاجر ﷺ ثم باعها ولده من أخي الحجاج كليب بن يوسف ثم استرتـها الخيزران أم هارون الرشيد أو زبيدة زوجة الرشيد، وجعلتها مسجدا يصلى فيه، ثم لا يزال الخلفاء والسلاطين يتعاهدونـها بالبناء والتجديد إلى الآن، وهو المشهور الآن بمسجد المولد.

(**واختلف**) بالبناء للمفعول (**في عام ولادته**)، والمشهور أنه بعد الفيل بخمسين يوما، وقيل: بعده بخمسة وخمسين يوما، وقيل: بشهر، وقيل: بأربعين يوما، وقيل: بعد الفيل بعشر سنين، وقيل: قبل الفيل بخمس عشرة سنة (**وفي شهرها**) فقيل: في ربيع الأول وهو المشهور، وقيل: ولد في المحرم، وقيل: في صفر، وقيل: في ربيع الثاني، وقيل: في رمضان، وقيل: في رجب (**وفي يومها**) قيل: في ثمانية، وقيل: عشرة، وقيل: اثنتين ، وقيل: ثمانية عشر، وقيل: اثنين وعشرين (**على أقوال للعلماء**) أي: علماء السير والتاريخ (**مرويةٍ**) أي: محكية عنهم، (**والراجح أنها**) أي: الولادة (**قبيل فجر**) بصيغة التصغير، أي: في الليل قرب الفجر، وهذه الساعة يستجاب الدعاء فيها في كل ليلة (**يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول**) والمشهور أنـها بعيد الفجر كما في نسخة الشارح السيد جعفر، أي: والأصح أنـها نـهارا، وأنه ﷺ ولد في أوله عند طلوع فجره، أي: عقبه، وهو وقت البركة كما ورد في الحديث: «بورك لأمتي في بكورها»، ولا مانع من تساقط النجوم نـهارا خرقا للعادة أو لأنه كان عقب الفجر، وللنجوم حينئذ سلطان، أي: قوة، فهو ﷺ ربيع الخلق وربيع الفؤاد، وفي ولادته في فصل الربيع الذي هو أعدل الفصول وأحسنها رمز إلى أن شريعته أعدل الشرائع وأحسنها، ولذا قال بعضهم من بحر الوافر:

مِنْ عَامِ الْفِيْلِ الَّذِيْ صَدَّهُ اللهُ عَنِ الْحَرَمِ وَحَـمَاهُ *

لِهذا الشَّهْرِ في الإسلام فَضْل ۞ وَمَنْقَبَة تَفُوْقُ عَلَى الشُّهُوْرِ
فَمَوْلُوْدٌ بِهِ وَاسْمٌ وَمَعْنًى ۞ وَآيَاتٌ بَهَرْنَ لَدَى الظُّهُوْرِ
ربيعٌ في ربيعٍ في ربيعٍ ۞ ونورٌ فوقَ نورٍ فوق نُوْرِ

فقوله: «فمولود به» هو النبي، وقوله: «واسم» المراد به شهر ربيع الأول، وقوله: «ومعنى» المراد به زمن الربيع وهو فصل الربيع، وقوله: «ربيع» المراد به النبي لأنه ربيع الفؤاد، والمراد بـ«ربيع» الثاني: شهر ربيع، وبـ«ربيع» الثالث: زمن الربيع، وقوله: «ونور» المراد به النبي، وقوله: «فوق نور» الثاني والأخير المراد بهما الإرهاصات (من عام الفيل الذي صدّه اللّه) أي: منعه (عن) الوصول إلى (الحرام وحَماه) أي: حفظه.

وكانت قصة الفيل ما روي أن أبرهة ملك اليمن بَنَى كنيسة بصنعاء رفيعة البناء مزخرفة، وسماها «قُلَّيْس»، وأراد أن يصرف إليها الحاج وكتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن الملك مثلها حتى أصرف إليها حج العرب، فسمع بذلك رجل من بني مالك بن كنانة، فخرج إليها فدخلها ليلا فقعد فيها ولطخ بالعذرة قبلتها، فبلغ ذلك أبرهة فغضب وحلف عند ذلك ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها حجرا حجرا، فكتب إلى النجاشي يخبره بذلك، وسأله أن يبعث إليه بفيله، وكان له فيل يقال له: «محمود»، وكان فِيْلًا عظيما، فبعث به إليه، ثم سار في ستين ألفا إلى مكة، فلما سمعت العرب بذلك فظعوه ورأوا جهاده حقا عليهم، فخرج رجل من أشراف اليمن يقال به «ذو نفر» بمن أطاعه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، فقاتله فهزمه أبرهة وحبس عند أبرهة في وثاق، ثم سار أبرهة حتى إذا دنا من بلاد خثعم خرج له نفيل بن حبيب في قومه ومن أطاعه من قبائل اليمن

....

فقاتلوه، فهزمهم وأخذ نفيلا أسيرا وأراد قتله فقال له: لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب، فخلى سبيله، فخرج أبرهة يريد مكة حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن مغيث[١]، فقال له: أيها الملك نحن عبيدك نحن نبعث معك من يدلك فبعثوا أَبَا رِغَالٍ مولى لهم، فخرج حتى إذا كان بالمُغَمِّس موضع بطرف الحرم مات أبو رغال وهو الذي يرجم قبره، وبعث أبرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له: الأسود بن مسعود[٢] على مقدمة خيله، وأمره بالغارة على نعم الناس فاستاق إبل قريش وغنمها، وكان لعبد المطلب فيها أربعمائة ناقة، ثم إن أبرهة بعث بحناطة إلى أهل مكة، فقال له: سل عن سيد أهل [هذا][٣] البلد ثم قل له: إن الملك يقول: لم آت لقتال، إنما جئت لهدم هذا البيت، فانطلق حتى دخل مكة، فلقي عبد المطلب بن هاشم، فقال: إن الملك أرسلني إليك لأُخبرك أنه لم يأت لقتال وإنما جاء لهدم هذا البيت ثم ينصرف عنكم، فقال عبد المطلب: واللّه ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت اللّه الحرام وبيت خليله إبراهيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، فإنْ يمعنه عنه فهو بيته وحرمه وإن يخل بينه وبين ذلك فواللّه ما عندنا دفع عنه، فقال له حناطة: فانطلق معي إلى الملك فإنه قد أمرني أن آتيه بك، فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعض بنيه حتى أتى المعسكر فسأل عن ذي نفر وكان صديقا له فدخل عليه وذكر له أمره، فبعث إلى أنيس - بصيغة التصغير- سائس الفيل ليوصل عبد المطلب إلى الملك فذهب به إلى أبرهة، وقال له: هذا سيد قريش ببابك وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك في حاجته، فأذن له، وكان

---

(١) قوله: (**مسعود بن مغيث**) وفي البداية والنهاية لابن كثير: «مسعود بن مُعَتِّب».

(٢) قوله: (**الأسود بن مسعود**) وفي البداية والنهاية: «الأسود بن مقصود».

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من البداية والنهاية.

....

عبد المطلب أجمل الناس، فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه وكره أن يجلس معه على السرير وأن يجلس تحته، فهبط إلى البساط فجلس عليه، وأجلس عبد المطلب إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له: ما حاجتك إلى الملك؟ فقال الترجمان ذلك، فقال عبد المطلب: حاجتي إلى الملك أن يرد إلى إبلي، فقال أبرهة لترجمانه قل له: قد كنتَ أعجبتَني حين رأيتك ثم زهدت فيك، قال: لم؟ قال: جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك لأهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في شأن الإبل، قال عبد المطلب: أنا رب الإبل وإن للبيت ربا يمنعه، قال: ما كان ليمنعه مني، قال: أنت وذاك، فرد عليه إبله ثم انصرف عبد المطلب فقلد إبله وجعلها هدايا للبيت وبثها في الحرم، وأتى عبد المطلب الكعبة فأخذ بحلقة الباب ومعه نفر من قريش يدعون اللّه تعالى ويستنصرونه على أبرهة، فأصبح أبرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول، فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم ثم أخذ بأذنه، وقال: ابرك يا محمود وارجع راشدا من حيث جئت، فبرك الفيل فبعثوه فأبى فضربوه بالمعول في رأسه فأبى فوجهوه راجعا إلى اليمن فقال مُهَرْوِلًا فوجهوه إلى الشام كذلك فوجهوه إلى المشرق كذلك فوجهوه إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم، فأسل اللّه تعالى على أبرهة وجيشه قبل دخولهم الحرم على الأصح طيورا سودا فوجا فوجا، أمام كل فرقة منها طائر يقودها، منقاره أحمر، ورأسه أسود، وعنقه طويل، مع كل طائر ثلاثة أحجار، واحد في منقاره، واثنان في رجليه، وهي أصغر من الحمص، مكتوب على كل حجر اسم صاحبه، وكان قتيل الطائر ثلاثة نفر بثلاثة أحجار، وكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرق البيضة التي فوق رأسه إلى أن يصل إلى رأسه فيخرج من دبره، وليس كلهم أصابه العذاب، فعن عائشة قالت: رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان الناس، وأما أبرهة فتساقطت أنامله كلها كلما سقطت أنملة

تبعها مدة ودم فانتهى إلى صنعاء، وهو مثل فرخ الطير وما مات حتى انصدع صدره وانفلت وزيره أبو يكسوم، وطائر يحلق فوقه، حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة، فما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه، والله أعلم.

(عَـطِّـرِ اللّٰـهُـمَّ قَـبْـرَهُ الْكَـرِيْـمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْم)

* * *

اَللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ — اللهُ ﷻ — مُحَمَّدٌ ﷺ

وَأَرْضَعَتْهُ أُمُّهُ أَيَّامًا ثُمَّ أَرْضَعَتْهُ ثُوَيْبَةُ الْأَسْلَمِيَّةُ * الَّتِيْ أَعْتَقَهَا أَبُوْ لَهَبٍ حِيْنَ وَافَتْهُ عِنْدَ مِيْلَادِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِبُشْرَاهُ * ....

(اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ)

(**وأرضعته**) ﷺ (**أمه**) آمنة (**أياما**) سبعة أيام أو تسعة (**ثم أرضعته ثويبة**) بضم المثلثة وفتح الواو وسكون المثناة التحتية بعدها باء موحدة، توفيت بمكة سنة سبع من الهجرة (**الأسلمية**) أي: المنسوبة إلى أسلم، قبلية من اليمن (**التي أعتقها أبو لهب**) اسمه عبد العزى، وأبو لهب مشعر بالذم، وقيل: بالمدح، لأن معنى ذلك: «أبو جمرة»، شبه باللهب لأن وجهه كان أحمر كاللهب (**حين وافته**) أي: أتت أبا لهب (**عند ميلاده**) أي: بعد ولادته (**عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بشراه**) أي: ببشارتها إياه به ﷺ، فقالت له: أشعرت أن آمنة ولدت غلاما لأخيك عبد اللّه؟ فقال لها: اذهبي فأنت حرة، أي: والصحيح أن أبا لهب أعتقها في الحال عتقا منجزا ثم جعلها ترضعه ﷺ، فخفف اللّه عنه من عذابه كل ليلة اثنين جزاء لفرحه فيها بمولده ﷺ أو جزاء لأمره لها بإرضاعه ﷺ، وقد روي أن أخاه العباس رآه بعد سنة من موته فقال: ما حالك؟ قال: في عذاب إلا أنه يخفف عني كل ليلة اثنين وأمص من بين أصبعي ماء بقدر هذا، وأشار إلى نقرة إبهامه، وإن ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة محمد ﷺ وبأمري بإرضاعها له. وإذا كان هذا حال أبي لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد المختار، فما حال المسلم الموحد من أمة محمد ﷺ الذي يسر بمولده ويعطي بسماحة ما تصل إليه القدرة من الصدقات في محبته

فَأَرْضَعَتْهُ مَعَ ابْنِهَا مَسْرُوْحٍ وَأَبِيْ سَلَمَةَ وَهِيَ بِهِ حَفِيَّةٌ * وَأَرْضَعَتْ قَبْلَهُ عَمَّهُ حَمْزَةَ الَّذِيْ حُمِدَ فِيْ نُصْرَةِ الدِّيْنِ سَرَاهُ * وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَبْعَثُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَدِيْنَةِ بِصِلَةٍ وَكِسْوَةٍ...

ﷺ ما يكون جزاؤه من اللّه الكريم إلا أن يدخله بفضله جنات النعيم، وما أحسن قول الحافظ الشمس الدمشقي من بحر الطويل:

إذا كان هذا كافرا جَاءَ ذَمُّه ۞ وتبت يداه في الجحيم مُخَلَّدَا
أتى أنه في يومِ الاثنين دائما ۞ يُخَفَّفُ عنه للسرور بأَحْمَدَا
فما الظنُّ بالعبد الذي كَانَ عُمْرُهُ ۞ بأحمد مسرورًا وماتَ مُوَحِّدَا

(**فأرضعته**) ﷺ أياما قلائل قبل أن تقدم حليمة (**مع ابنها مسروح**) فتح الميم وسكون السين المهملة ثم راء مضمومة وآخره حاء مهملة (**وأبي سلمة**) عبد اللّه بن عبد الأسد المخزومي، أرضعته بعد إرضاعها النبي المصطفى ﷺ، وكني بابن له من أم سلمة التي صارت بعد موته زوجة رسول اللّه وهي آخر أمهات المؤمنين توفيت في إمارة يزيد، وكان أبو سلمة هذا من أكابر الصحابة وهو أول من يأخذ الكتاب باليمين بعد سيدنا عمر بن الخطاب، وكانت أمه برة بنت عبد المطلب عمة رسول اللّه ﷺ (**وهي**) أي: ثويبة (**به**) ﷺ (**حفية**) بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء وشد التحتية، أي: مبالغة في الإكرام والإلطاف (**وأرضعت**) أي: ثويبة (**قبله**) ﷺ (**عمَّه حمزةَ**) وكان أسن منه ﷺ بسنتين (**الذي حمد**) بالبناء للمفعول (**في نصرة الدين سراه**) أي: عمله، قال رسول اللّه ﷺ: «والذي نفسي بيده إنه لمكتوب عند اللّه عَزَّوَجَلَّ في السماء السابعة: حمزة أسد اللّه وأسد رسول اللّه».

(**وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يبعث إليها**) أي: ثويبة (**من المدينة**) إلى مكة (**بصلة**) أي: نفقة، بكسر الصاد المهملة، ونقل عن التلمساني ضمها (**وكسوة**) بضم الكاف وكسرها،

هِيَ بِهَا حَرِيَّةٌ * إِلَى أَنْ أَوْرَدَ هَيْكَلَهَا رَائِدُ الْمَنُوْنِ الضَّرِيْحَ وَوَارَاهُ * قِيْلَ: عَلَى دِيْنِ قَوْمِهَا الْفِئَةِ الْجَاهِلِيَّةِ * وَقِيْلَ: أَسْلَمَتْ، أَثْبَتَ الْخِلَافَ ابْنُ مَنْدَهْ وَحَكَاهُ * ....

جمع «كسى» مثل «هدى» (**هي**) أي: الكسوة (**بها**) أي: ثويبة (**حرية**) بفتح الحاء وتخفيف الراء وشد التحتية، أي: لائقة باستعمالها (**إلى أن أورد هيكلَها رائدُ المَنُوْنِ الضريحَ وواراه**)، ومعنى «أورد» أي: أحضر، ومعنى «هيكلها» أي: بدنها، مأخوذ من قول الصحاح: البناء العالي، ومعنى «رائد»: طاحون[١]، و«الضريح»: القبر إما الشق وإما اللحد كما في الصحاح، و«المنون»: الدهر أو الموت، ومعنى «واراه» أي: أخفاه.

وحاصل المعنى أن رسول اللّه ﷺ لم يزل مرسلا إلى ثويبة بالنفقة والكسوة إلى أن حضر بدنَها طاحونُ الزمان أو الموت قبرها وإلى أن أخفى القبر بدنها، فقوله: «هيكلها» مفعول أول لـ«أورد»، و«الضريح» مفعول ثان، و«رائد» فاعل متوسط بين المفعولين، فلما فتح رسول اللّه ﷺ مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح فقيل: ماتا.

(**قيل**): إن ثويبة ماتت (**على دين قومها الفئة**) أي: الجماعة (**الجاهلية**) كما قال الحافظ: لم أقف في شيء من الطرق على إسلامها مع ابنها مسروح، وهو محتمل (**وقيل: أسلمت، أثبت الخلافَ**) في إسلام ثويبة وعدمه الإمامُ الحافظ الأكثر معرفةً في الحديث أبو عبد اللّه محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى (**ابنُ منده**) بفتح الميم وسكون النون وفتح الدال المهملة وبالهاء الساكنة، وهو من أهل أصبهان، مات سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، (**وحكاه**) أي: الخلاف، وقال أبو نعيم: لا أعلم أحدا ذكر إسلامها إلا ابن منده، والصحيح: أن كل من أرضعته عَلَيْهِ السَّلَامُ أسلمت.

---

(١) قوله: (**ومعنى رائد: طاحون**) وفي القاموس: و«الرائد»: يد الرحا، والمرسل في طلب الكلإ، فتفسير «الرائد» بـ«المرسل» أنسب بالمقام، اهـ

ثُمَّ أَرْضَعَتْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْفَتَاةُ حَلِيْمَةُ السَّعْدِيَّةُ * وَكَانَ قَدْ رَدَّ كُلٌّ مِنَ الْقَوْمِ ثَدْيَهَا لِفَقْرِهَا وَأَبَاهُ * فَأَخْصَبَ عَيْشُهَا بَعْدَ الْمَحْلِ قَبْلَ الْعَشِيَّةِ * وَدَرَّ ثَدْيَاهَا بِدُرِّ دَرٍّ لَبَنَهُ الْيَمِيْنُ مِنْهُمَا وَلَبَنَ الْآخَرُ أَخَاهُ * وَأَصْبَحَتْ بَعْدَ الْهُزَالِ ....

(**ثم أرضعته عليه الصلاة والسلام الفتاةُ**) أي: الشابة القوية كما في المصباح (**حليمةُ**) زوجة الحارث بن عبد العزى (**السعدية**) أي: المنسوبة إلى سعد بن بكر وهو الجد التاسع لها، وإنما نسبت إليه لأنه الأشهر (**وكان**) أي: الشأن (**قد رد كلٌّ من القوم**) الذين لهم أولاد رضعاء من أهل مكة (**ثديها لفقرها**) المستلزم قلة الطعام المستلزم قلة اللبن المستلزم مضرة الرضيع (**وأباه**) أي: كره كل من القوم ثديها لذلك (**فأخصب عيشها**) فالهمزة للصيرورة، أي: صار عيشها إلى الخصب بكسر الخاء، أي: الكثرة والاتساع (**بعد المَحْلِ**) بفتح الميم وسكون الحاء، أي: بعد إصابة المحل، أي: الضيق باحتباس المطر ويبس الأرض (**قبل العشية**) أي: قبل دخول الليل بعد أخذها له ﷺ في النهار (**ودَرَّ**) أي: امتلأ (**ثدياها بدُرّ دَرّ**) فـ«الدر» الأول بضم الدال بمعنى اللؤلؤ العظيم، والثاني بفتحها كما هو الغالب، من إضافة المشبه به للمشبه كما في قولهم: «لجين الماء»، والمعنى: باللبن المشبه باللؤلؤ العظيم في صفاء البياض وكمال الرغبة في كل (**لَبَنَهُ اليمين**) أي: سقاه ﷺ الثدي اليمين اللبن (**منهما**) أي: الثديين، أي: لأنه ﷺ كان يحب التيامن في شأنه كله (**ولَبَنَ الآخَرُ**) أي: سقى الثدي الأيسر اللبن (**أخاه**) ﷺ من الرضاع، واسمه ضمرة، وقيل: عبد اللّه بن الحارث، قوله: «لبن» بدون الهمزة من باب «ضرب يضرب» و«نصر» فهو متعد، وأما «ألبن» بالهمزة فلازم، يقال: «ألبن القوم» أي: كثر عندهم اللبن، و«ألبنت الناقة» أي: نزل لبنها في ضرعها كما في الصحاح (**وأصبحت**) أي: صارت حليمة (**بعد الهُزال**) بضم الهاء وفتح الزاي ثم بالألف، أو بضم الهاء وسكون الزاي كما في المصباح، أي: الضعف

وَالْفَقْرِ غَنِيَّةً ❊ وَسَمِنَتِ الشَّارِفُ لَدَيْهَا وَالشِّيَاهُ ❊ وَانْجَابَ عَنْ جَانِبِهَا كُلُّ مُلِمَّةٍ وَرَزِيَّةٍ ❊ وَطَرَّزَ السَّعْدُ بُرْدَ عَيْشِهَا الْهَنِيِّ وَوَشَاهُ ❊

عَطِّرِ اللّٰهُمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْمَ ❊ بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمٍ

(والفقر) أي: قلة المال (غنيةً) وسمينةً ببركة الدرة المحمدية (وسمنت الشارف) بكسر الراء، أي: الناقة المسنة (لديها) أي: عندها (والشياه) بكسر الشين، جمع «شاة» (وانْجَابَ) أي: انكشف (عن جانبها كلُّ ملمة) أي: نازلة من نوازل الدنيا (ورزية) أي: مصيبة، وهو مهموز في الأصل (وطرز السعد برد عيشها الهني ووشاه) أي: جعل البركة عيشها المشبهِ بالثوب المخطط طرازا، أي: علامة بالذهب، ونقشت البركة ذلك بالألوان المختلفة الكثيرة، قوله: «برد» بضم فسكون وهو ثوب مخطط كما في القاموس وهو مضاف لما بعده من إضافة المشبه به للمشبه، وقوله: «الهني» أي: المفرح فهي صفة للمضاف أو للمضاف إليه، وروي أن حليمة كانت ترقص النبي ﷺ وتقول شعرا:

يَا رَبِّ إِذْ أَعْطَيْتَهُ فَأَبْقِهِ ❊ وَأَعْلِهِ إِلَى الْعُلَا وَأَرْقِهِ ❊ وَادْحَضْ أَبَاطِيْلَ الْعِدَا بِحَقِّهِ

وكانت الشيماء بفتح الشين ثم الياء الساكنة أو تشديد الميم بدل الياء أخته ﷺ من الرضاعة تحضنه وترقصه وتقول شعرا:

هٰذَا أَخٌ لِي لَمْ تَلِدْهُ أُمِّي ❊ وَلَيْسَ مِنْ نَسْلِ أَبِي وَعَمِّي

فَدَيْتُهُ مِنْ مِخْوَلٍ مُعَمِّ ❊ فَأَنْمِهِ اللّٰهُمَّ فِيْمَا تَنْمِي

قوله: «مخول» بكسر الواو وفتحها، أي: ذي أخوال كثيرة، ويقال: رجل معم مخول، أي: كريم الأعمام والأخوال.

(عَطِّرِ اللّٰهُمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْمَ ❊ بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْم)

❊ ❊ ❊

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ

وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشِبُّ فِي الْيَوْمِ شَبَابَ الصَّبِيِّ فِي الشَّهْرِ بِعِنَايَةٍ رَبَّانِيَّةٍ * فَقَامَ عَلٰى قَدَمَيْهِ فِيْ ثَلَاثٍ وَمَشٰى فِيْ خَمْسٍ وَقَوِيَتْ فِيْ تِسْعٍ مِنَ الشُّهُوْرِ بِفَصِيْحِ النُّطْقِ قُوَاهُ * وَشَقَّ الْمَلَكَانِ ....

(اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْه)

(وكان ﷺ يشب) بكسر الشين، أي: يكبر (في اليوم) الواحد شبابا يشبه (شباب الصبي في الشهر) أي: الشهر الكامل، ويشب في الشهر شباب السنة (بعناية ربانية) فلما بلغ شهرين كان يحبو إلى كل جانب (فقام) ﷺ (على قدميه في ثلاث) من الشهور، وفي أربعة كان يمسك الجدار ويمشي قليلا قليلا (ومشى في خمس) من الشهور بقوة، ولما تم له ستة أشهر كان يسرع في المشي، وفي سبعة أشهر كان يجري ويذهب إلى كل جانب، فلما بلغ ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يسمع كلامه (وقويت في تسع من الشهور بفصيح النطق قواه) بضم القاف جمع «قوة»، وهو فاعل «قويت»، ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمي السهام مع الصبيان ولما بلغ سنتين فصلته حليمة وعادت به إلى أمه ثم استرجعته من أمه فردته إليها، فلما بلغ ﷺ أربعة أعوام على الأصح المعوّل عليه جاءه جبرائيل وميكائيل عليهما ثياب بيض، وهو ﷺ خلف البيوت يرعى الغنم البهم وهي أولاد الضأن، كما قاله العراقي في ألفية السيرة:

أَقَامَ فِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ عِنْدَهَا ❁ أربعةَ الْأَعْوَامِ تَجْنِي سَعْدَهَا

فصعدا به ﷺ ذروة الجبل فأضجعاه (وشق الملكان) قيل: هما جبريل وإسرافيل،

صَدْرَهُ الشَّرِيْفَ لَدَيْهَا وَأَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً دَمَوِيَّةً * وَأَزَالَا مِنْهُ حَظَّ الشَّيْطَانِ وَبِالثَّلْجِ غَسَلَاهُ * وَمَلَآهُ حِكْمَةً وَمَعَانِيَ إِيْمَانِيَّةً * ثُمَّ خَاطَاهُ وَبِـخَاتَمِ النُّبُوَّةِ خَتَمَاهُ ....

وقيل: ثلاثة أملاك، وثالثها ميكائيل (**صدره**) أي: بطنه (**الشريف لديها**) أي: عند حليمة من ثغر نحره إلى أسفل بطنه لأجل إخراج القلب، ولا يقال في ذلك رؤية العورة، لأن المزاول للفعل الملائكة، وهم غير مكلفين، أو أنه لا يلزم منه الرؤية فيمكن المزاولة مع عدم رؤية العورة، لأنه لا ينبغي أن يرى أحد عورته، وما رأى أحد عورة نبي إلا عمي، والصحيح أن الشق كان بآلة لأنه أبلغ في المعجزة خصوصا مع عدم إيلامه وسرعة التِئَامه، لكن لم يرد في تعيين الآلة حديث صحيح، فلم يعلم حقيقتها إلا اللّه تعالى، ولم يسل منه ﷺ دم لأنه كان في زمن خوارق العادات (**وأخرجا منه**) أي: قلبه بعد شقه (**علقة**) أي: قطعة دم منعقدة (**دموية**) أي: سوداء كالدم، وقد ورد في بعض الروايات: أن المخرَج من قلبه مضغتان سوداوان (**وأزالا منه**) أي: قلبه (**حظ الشيطان**) فإن تلك العلقة حظ الشيطان من كل مولود يلقي الوسوسة فيها إلا عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويكون فيها الحسد والحقد والشهوة النفسية وسائر الأخلاق الرديئة (**وبالثلج غسلاه**) أي: قلبه، والثلج ماء جامد، فإنه يبرد القلب وينظفه، وكان في إناء من ذهب، وفي ذلك إيماء إلى ذهاب حظ الشيطان عنه بعصمة ربه (**وملآه**) أي: قلبه، بتخفيف اللام وتشديدها ومد الهمزة للتثنية (**حكمة**) أي: نبوة، والأولى تفسيرها بإتقان العلم وإحسان العمل كذا في شرح الشفاء (**ومعاني إيمانية**) أي: زيادة إيمان وتصديق وزيادة أسرار (**ثم**) بعد رد قلبه مكانه (**خاطاه**) خياطة معنوية، أي: أمرّ أحدهما يده على مفرق صدره فالتأم حالا (**وبخاتم النبوة**) بفتح التاء فقط ثم بضم النون والموحدة وشد الواو (**ختماه**) أي: قلبه لئلا يصل إليه ما لا يليق بجناب ربه، والمراد بالخاتم هنا آلة من نور، وكانت بيد الأمين جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لا يستطاع النظر إليها من شدة نورها، وسبب

وَوَزَنَاهُ * فَرَجَحَ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ أُمَّةِ الْخَيْرِيَّةِ * وَنَشَأَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَكْمَلِ الْأَوْصَافِ مِنْ حَالِ صِبَاهُ * ....

ذلك الختم ما جرت به العادة من أن الوعاء الممتلئ مسكا يختم عليه لأجل صيانته، وهذا لما صبت الأسرار والحكم الإلهية في قلبه ﷺ ختم عليها الأمين بتلك الآلة حفظا واطمئنانا لقلبه (**ووزناه**) أي: النبي ﷺ حسا أو معنى (**فرجع**) ﷺ (**بألف من أمته الأمة الخيرية**) أي: فغلبهم في الرجحان، وقد قال وهب منبه: قرأت في أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن النبي ﷺ أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا، وفي رواية أخرى: فوجدت في جميعها أن اللّه تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ إلا كحب رمل من بين الرمال (**ونشأ**) أي: تجدد وارتفع (ﷺ **على أكمل الأوصاف من حال صباه**)، وقد جمع ﷺ الأمور الصالحة الحميدة والأفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة.

قالت حليمة: وكان ﷺ يخرج معه غلمان الحي، فإذا رآهم يلعبون تنحى عنهم، فلما قوي أقبل على حليمة، وقال لها: يا أماه،ما بل إخوتي لم أرهم في الحي نـهارا؟ قالت: يا بني إنـهم يخرجون مع الأغنام التي رزقنا اللّه إياها ببركتك، فإذا جاء الليل رجعوا إلينا، فقال ﷺ: ما أنصفت بيني وبين إخوتي أقعد أنا بالحي أتبرد وآكل وأستظل بالظل وأشرب الألبان والماء الزلال، وإخواتي يلحقهم حرا لهواجر ويلفح وجوههم حر الشمس، فقالت: يا بني إنما أفعل ذلك خوفا عليك من الأعداء وأخشى عليك من سالك الطريق أن يروا جمالك وأنوارك فلا يصبرون عنك، فقال ﷺ: يا أماه نِعْمَ الحافظ اللّه سلمني إليه وتوكلي عليه فهو نعم المولى ونعم النصير، وإذا كان اللّه حافظي فلو اجتمع أهل الأرض لما وصلوا إليّ، قالت حليمة: وقد دهشت من كلامه، فما الذي تريد؟ فقال لها: أذهب مع

ثُمَّ رَدَّتْهُ إِلٰى أُمِّهِ وَهِيَ بِهِ غَيْرُ سَخِيَّةٍ * ....

إخوتي أكون معهم في المرعى وأشاركهم في الشدة والرخاء، قالت له: حبا وكرامة، ثم قالت حليمة لولدها ضمرة: يا ولدي كيف رأيت أخاك اليوم؟ قال: يا أماه رأيت اليوم عجبا، قالت: وما الذي رأيته يا ولدي؟ قال: يا أماه ما من حجر ولا شجر ولا مدر ولا جبل إلا يسلم عليه شفاها ويكلمه عيانا، وما كان يطأ برجله موضعا إلا وينبت فيه العشب ويخضر من ساعته، فأما الأغنام فتطيعه إن أمرها بالوقوف وقفت، وإن أمرها بالمسير سارت، وأعظم من ذلك أننا دخلنا وادي الوحوش وقد حذرناه منه فأبى إلا الدخول، فلما اخترقنا ذلك الوادي فإذا نحن بسبع وجهه كالمجن، وخده كالمسن، وقد فتح فمه وبانت أنيابه كالحناجر، وعيناه كقبس النار، فلما نظر إلى محمد نكص على عقبيه ورمى نفسه إلى الأرض وجعل يمرغ خده على التراب ويتكلم بكلام الآدميين، وقال: السلام عليك يا محمد، فمشى إليه أخي محمد غير مكروب منه، ثم خاطبه في أذنه، والسبع منكس رأسه، ثم أشار إليه فولى السبع، فقلت له: يا أخي ما الذي قلت له حتى ذهب هاربا؟ فقال ﷺ: قلت له: لا تقرب هذا الوادي ولا تجز بأرضنا أبدا، فأجابني وولى هاربا.

فائدة: لا ينبغي لأحد عُيِّرَ برعاية الغنم أن يقول: كان النبي يرعى الغنم، فإذا قال ذلك يُؤَدَّبُ لأن مثل ذلك يكون كمالا في حقه ﷺ دون غيره[1]، وكذا لو قيل له: أنت أُمي، فقال: كان نبينا أميا، فإنه يؤدب.

(**ثم**) بعد ذلك الشق (**ردته**) ﷺ، أي حليمة (**إلى أمه، وهي**) أي: حليمة (**به**) أي: بالرد إلى أمه (**غير سخية**) أي: راضية في قلبها لكونها تخشى بمفارقتها له أن تزول عنها

---

(١) قوله: (**لأن مثل ذلك يكون كمالا في حقه ﷺ دون غيره**) أي: فلا ينبغي الاحتجاج به.

حَذَرًا مِن أَنْ يُصَابَ بِـحَادِثٍ تَخْشَاهُ * وَوَفَدَتْ عَلَيْهِ حَلِيْمَةُ فِيْ أَيَّامِ خَدِيْـجَةَ السَّيِّدَةِ الْوَضِيَّةِ * فَحَبَاهَا مِنْ حِبَائِهِ الْوَافِرِ بِـحِبَاهُ * ....

البركات والسعادات وإنما ردته إلى أمه مع كراهة المفارقة (**حذرا**) أي: خوفا عليه (**من أن يصاب**) ﷺ (**بحادث**) أي: نازلة ونائبة، وفي بعض النسخ: «بمصاب حادث»، فـ«مصاب» إما بمعنى «إصابة» فالإضافة حقيقيّة، وإما بمعنى «مصيبة» فالإضافة للبيان، كما في بعض النسخ من ظهور «من» التي للبيان وهو قوله: «بمصاب من حادث» (**تخشاه**) أي: الحادث.

كما قالت حليمة لرسول اللّه لما طلب الإذن منها في الخروج مع النعم: أخاف عليك من الأعداء والحواسد وأخشى عليك أيضا من سالكي الطريق وعابري السبيل أن يحملوك ويذهبوا بك لأنهم إن رأوا جمالك وأنوارك فلا يصبرون عنك فيحزنوني عليك وأخشى إن جرى ذلك أن تزول عنا البركات والسعادات وأن يطالبني بك جدك عبد المطلب.

(**ووفدت**) بفتح الفاء من باب «وعد» كما في القاموس، وبكسر الفاء من باب «تعب» كما في المصباح، أي: وردت (**عليه**) ﷺ مرضعته (**حليمة**) بنت عبد اللّه بن الحارث بن سجنة بكسر فسكون (**في أيام**) أي: أوقاتِ أَولى أمهات المؤمنين وأفضلهن (**خديجة**) بن خويلد (**السيدة**) أي: الشريفة في قومها (**الوضية**) بالواو، أي: النظيفة والحسنة حسا ومعنى، وفي بعض النسخ «الرضية» بالراء المفتوحة، أي: الراضية باللّه وبرسوله والمرضية لهما، أي: وردت حليمة إليه ﷺ بعد تزوجه ﷺ بخديجة تشكو إليه ضيق العيش (**فحباها**) وهو فعل ماض ناقص واوي، أي: أعطاها (**من حبائه**) بكسر الحاء وبالمد، أي: عطائه (**الوافر**) أي: الكثير (**بحباه**) أي: بجوده المشبه بالسحاب، لأن «الحبا» بالفتح وبالقصر مثل «العصا» هو السحاب، فالمجروران متعلقان بـ«حباها»، أي: فأعطاها عشرين رأسا من

وَقَدِمَتْ عَلَيْهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَقَامَ إِلَيْهَا وَأَخَذَتْهُ الْأَرْيَحِيَّةُ * وَبَسَطَ لَهَا مِنْ رِدَائِهِ الشَّرِيْفِ بِسَاطَ بِرِّهِ وَنَدَاهُ * ....

الغنم وبكرات، أي: أفتاء[1] من الإبل (**وقَدِمت**) أي: حليمة، بكسر الدال (**عليه**) ﷺ (**يوم**) وقعة (**حنين**) سنة ثمان بعد فتح مكة، وهو واد قريب من الطائف، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا كما قاله خالد الأزهري، وكان رسول اللّه حينئذ جالسا بالجعرانة يقسم لحما (**فقام**) ﷺ (**إليها وأخذته**) أي:حصل له (**الأرْيَحِية**) بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الياء التحتية وكسر الحاء وشد التحتية، أي: خفة القلب لإكرامها وأعطاها العطايا الجزيلة.

(**وبسط**) ﷺ (**لها**) أي: حليمة تكريما لها (**من ردائه الشريف**) فجلست عليه بأمره، فجاء زوجها وأجلسه بجنبها، ثم جاء أخوه من الرضاع فأجلسه بينهما، وكذا بنتهما الشيماء بفتح الشين وسكون التحتية ثم ميم مخففة أو بدون الياء مع تشديد الميم وهو لقبها، واسمها جذامة، وقيل: حذافة (**بساط بِره**) بكسر الموحدة، أي: فضله (**ونداه**) أي: جوده كما في الصحاح، أو عطائه المشبه بالمطر في الكثرة كما في المصباح من أن الندى بالقصر في الأصل المطر.

فقوله: «من ردائه» مفعول به، و«من» زائدة، وقوله: «بساط» مفعول مطلق نائب عن المصدر وهو على معنى التشبيه، ومعناه: الفراش، وهو في الحقيقة مضاف إليه. والمعنى: أن رسول اللّه ﷺ بسط ردائه لحليمة بسطا مثل بسط فراش خيراته فهو يبسط الإحسان لها كما يبسط الرداء لها. والأوضح أن يكون قوله: «بساط» مفعولا به لـ«بسط»، فقوله: «من ردائه» بيان له كما تقدم نظيره مرارا.

(١) قوله: (**أفتاء**) جمع «فَتِيّ» اسم فاعل من «فَتُوَ». والفتي: الشابُّ من إنسان أو حيوان.

وَالصَّحِيْحُ أَنَّهَا أَسْلَمَتْ مَعَ زَوْجِهَا وَالْبَنِيْنَ وَالذُّرِّيَّةِ * وَقَدْ عَدَّهُمَا فِي الصَّحَابَةِ جَمْعٌ مِنْ ثِقَاتِ الرُّوَاةِ *

عَطِّرِ اللّٰهُمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمٍ

ولما سبيت الشيماء في جملة سبي هوزان وحنين قالت: واللّه إني أخت صاحبكم، فأتوا بها إليه ﷺ، فقالت: يا رسول اللّه إني أختك، قال: وما علامة ذلك؟ قالت: عضة منك في ظهري، فعرفها فبسط رداءه لها وأجلسها عليه وخيرها، فقال: إن أحببت فعندي محياة مكرمة وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك فعلت، فاختارت قومها، فمتعها وزاد في الإحسان إليها وأعطاها نعما وشاء بالهمزة جمع «شاة» وثلاثة أعبد وجارية، ومن جملة الثلاثة غلام يقال له: مكحول، فزوجته بالجارية، ولم يزل فيهم بقية من نسلهما.

(**والصحيح أنها**) أي: حليمة (**أسلمت مع زوجها**) وهو الحارث بن عبد العزى (**والبنين والذرية**) أي: الولد الشامل للذكر والأنثى كما في الصحاح، فعطف «الذرية» على «البنين» من عطف العام على الخاص، وهم عبد اللّه والشيماء وأنيسة بالتكبير (**وقد عدهما**) أي: حليمة وزوجها (**في الصحابة جمعٌ من ثقات الرواة**) وفي نسخة «من الصحابة» بدل «في». و«الثقات»: بالتاء المجرورة وبكسر الثاء المثلثة جمع «ثقة» فإنه مصدر، و«الرواة» جمع «راوٍ»، وإنما عدهما بعضهم من الصحابة لأنهما كانا يأتيان النبي بعد بعثته، فإنهما أدركا بعثه وآمنا به.

(**عَطِّرِ اللّٰهُمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمٍ**)

* * *

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ

وَلَمَّا بَلَغَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ سِنِيْنَ خَرَجَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَى الْمَدِيْنَةِ النَّبَوِيَّةِ * ثُمَّ عَادَتْ فَوَافَتْهَا بِالْأَبْوَاءِ أَوْ بِشِعْبِ الْحَجُوْنِ الْوَفَاةُ * ....

(اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ)

(**ولما بلغ ﷺ أربع سنين**) وقيل: خمسا كما رواه أبو نعيم، وقيل: ستا كما رواه ابن ابن سعد عن ابن عباس وعن الزهري وعن عاصم وهذا هو المعتمد لأن شق بطنه ﷺ عند حليمة كان بعد أربع سنين على الراجح، حتى قال الواقدي: إن عمره وقت الشق خمس سنين وشهر (**خرجت به**) ﷺ (**أمه**) هي وحاضنته أم أيمن بركة الحبشية (**إلى المدينة النبوية**) نسبة إلى النبي لأنها تشرفت به، لتزور أخوال جده ﷺ عبد المطلب بني عدي بن النجار، فنزلت في دار التابعة فأقامت عندهم شهرا (**ثم عادت**) إلى مكة ومرضت في الطريق (**فوافتها**) أي: أتتها (**بالأبواء**) بفتح الهمزة والمد، اسم قرية عند الفرع بضم الفاء ثم راء ساكنة على ثلاثين ميلا من المدينة، وسميت بذلك لأن السيول تتبوأ وتنزل فيها (**أو بشعب الحجون**) وهو المعتمد، و«الشعب» بكسر الشين هو الطريق، و«الحجون» بفتح الحاء جبل بمعلاة مكة (**الوفاة**) أي: الموت، وعمرها إذ ذاك عشرون سنة تقريبا، وسئل جعفر الصادق: لم أفرد رسول اللّه ﷺ من أبويه فكان يتيما في صغره؟ فقال: لئلا يكون عليه حق للمخلوق، ويقال أيضا: لئلا يكون له تعلق بغير الحق، فإن الاستئناس بالناس من علامة الإفلاس، ونظم الشهاب الخفاجي في قوله:

لِوَالِدَيْ طٰهٰ مَقَامٌ عَلَا ۞ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ وَدَارِ الثَّوَاب

وَحَمَلَتْهُ حَاضِنَتُهُ أُمُّ أَيْمَنَ الْحَبَشِيَّةُ ❊ الَّتِيْ زَوَّجَهَا بَعْدُ مِنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مَوْلَاهُ ❊ وَأَدْخَلَتْهُ عَلٰى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَرَقَّ لَهُ وَأَعْلٰى رُقِيَّهُ ❊ ....

فَقَطْرَةٌ مِنْ فَضَلَاتٍ لَهُ ۞ فِي الْجَوْفِ تُنْجِي مِنْ أَلِيْمِ الْعَذَاب
فَكَيْفَ أَرْحَامٌ لَهُ قَدْ غَدَتْ ۞ حَامِلَةً تَصْلٰى بِنَارِ الْعِقَاب

وذكر بعض المالكية أن من يعبر عنه ﷺ بيتيم في غير الحديث يكفر ولا تقبل توبته، وأفتى بعضهم بقتله، وقال بعضهم: يحفظ دمه بتقليد مذهب الشافعي.

(**وحملته حاضِنته**) أي: مربيته ومرضعته (**أم أيمن**) بركة بنت محصن (**الحبشية**) التي ورثها من أبيه عبد اللّه ثم أعتقها، ومن مناقبها أنـها كانت صائمة فعطشت فدُلِّيَ عليها من السماء دلو من ماء بِرِشَاءٍ أبيض فأخذته فشربته حتى رويت، و«الرشاء» بالكسر: الحبل، وجملة ما ورثه ﷺ من أبيه: أم أيمن وخمسة جمال وقطعة من الغنم، وورث عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك مع أمه آمنة وجده عبد المطلب (**التي زوجها**) عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (**بعد**) أي: بعد النبوة (**من**) حبه ﷺ (**زيد بن حارثة**) الكلبي (**مولاه**) أي: عتيقه، فولدت له أسامة حبه ﷺ، وذلك بعد أن تزوجها عبيد بن زيد من بني الحارث فولدت له أيمن وبه كنيت، وأيمن هذا مات شهيدا يوم حنين (**وأدخلته**) ﷺ (**على عبد المطلب**) بعد خمسة أيام من موت أمه آمنة (**فضمه**) ﷺ (**إليه ورَقَّ**) أي: تعطف (**له**) ﷺ (**وأعلى رُقِيَّه**) بضم الراء وكسر القاف المخففة وشد التحتية، فقوله: «وأعلى» بواو العطف، و«أعلى» فعل ماض، و«رقيه» مفعول به، والهاء مضاف إليه، أي: رفع عبد المطلب منزلته ودرجته ﷺ، وهذا موافق لمولد المدابغي، وفي نسخة: «أعلى» بدون الواو، و«رقيه» بكسر الراء وكسر القاف المشددة وتشديد التحتية المفيدة للنسبة، فيكون «أعلى» مفعولا مطلقا لإضافته إلى مصدر

وَقَالَ: إِنَّ لِابْنِيْ هٰذَا لَشَأْنًا عَظِيْمًا فَبَخٍ بَخٍ لِمَنْ وَقَّرَهُ وَوَالَاهُ * وَلَمْ تَشْكُ فِيْ صِبَاهُ جُوْعًا وَلَا عَطَشًا قَطُّ نَفْسُهُ الْأَبِيَّةُ * ....

فعله، والمعنى كما في مولد السمنودي: ورق إليه رقة لم يرق مثلها أحد على ولده، وكان يبره ويكرمه ويحبه أكثر من أولاده، وكان إذا أتى بطعام أجلس المصطفى ﷺ إلى جنبه، وربما أجلسه على فخذيه، فيؤثره بأطيب الطعام، وكان يرسل بنيه في الأمر فإذا غابوا بعث ابن ابنه سيدنا محمدا ﷺ، فيحصل النجاح، وما بعث في شيء إلا جاء به ناجحا، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له، فكان بنوه وسادات قريش يحدقون به، وكان رسول اللّه وهو غلام يأتي حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عن الفراش، فيقول جده عبد المطلب لما يرى ذلك منهم: دعوا ابني. (**وقال**) فواللّه (**إن لابني هذا لشأنا عظيما**) ثم يجلس عليه معه ويمسح ظهره ويسره ما يراه يصنع، وكان يقول: أرجو أن يبلغ من الشرف ما لا يبلغه أحد قبله ولا بعده (**فبخ بخ**) أي: عظم الأمر وفخم وهي كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء، ويقال: «بخ» بالإفراد ساكنة ومبنية على الكسر ومكسورة منونة ومضمومة منونة، والأكثر أن تكون مبنية على الكسر ومخففة، وتكرر للمبالغة فيقال: «بخ بخ» مسكنين ومنونين وبتنوين الأول مع تسكين الثاني، فإن وصلت خفضت ونونت فقلت: «بخ بخ»، وربما شددت، هكذا في الصحاح والقاموس والمصباح (**لمن وقّره**) أي: بَجَّله (**ووالاه**) أي: أكرمه ﷺ وأحبه وناصره.

(**ولم تشك في صباه**) ولا في كبره (**جوعا ولا عطشا قط**) أي: في الزمان الماضي، وهو بضم الطاء مشددة (**نفسه**) ﷺ (**الأبية**) بتشديد الياء مع قصر الهمزة المفتوحة أو بتخفيف الياء مع مد الهمزة فهو اسم فاعل لـ«أبى يأبى» فإن اسم الفاعل له ثلاثة أوزان كما قاله إسماعيل الجوهري في الصحاح فهو: «آبٍ» و«أَبِيّ» و«أَبَيَان» بتحريك الباء الموحدة، أي:

وَكَثِيْرًا مَا غَدَا فَاغْتَذٰى بِمَاءِ زَمْزَمَ فَأَشْبَعَهُ وَأَرْوَاهُ * وَلَمَّا أُنِيْخَتْ بِفِنَاءِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَطَايَا الْمَنِيَّةِ * كَفَّلَهُ عَمُّهُ أَبُوْ طَالِبٍ شَقِيْقُ أَبِيْهِ عَبْدِ اللهِ * فَقَامَ ....

الممتنعة من الشكاية، أي: فلم يظهر شكايته ﷺ ولا بطريق حكايته في جميع حالاته إلى أحد من أصحابه وزوجاته (**وكثيرا ما غدا**) بالدال المهملة، أي: ذهب إذا أصبح، فـ«كثيرا» صفة لموصوف محذوف، و«ما» زائدة تأكيد في الكثرة، أي: ذهب ذهابا كثيرا ليشرب من ماء زمزم (**فاغتذى**) بالذال المعجمة، أي: تربى جسمه واكتفى (**بماء زمزم فأشبعه**) أي: أذهب ماء زمزم عنه جوعه كتناول الطعام (**وأرواه**) أي: أذهب ماء زمزم عنه ﷺ عطشه، فربما عرض عليه الغذاء فيقول: أنا شبعان، وفي نسخة بدل هاتين الكلمتين: «فكفاه» أي: أغناه عن الطعام والشراب.

(**ولما**) بلغ ﷺ ثمان سنين، وقيل: أثر، و(**أنيخت بفناء جده عبد المطلب**) كافله ﷺ بعد أن استسقى به في السنة التي مات فيها، و«الفناء» بكسر الفاء سعة أمام البيت (**مطايا المنية**) أي: أباعر الموت عن مائة وأربعين سنة ودفن بالحجون على المعتمد (**كفله**) بتخفيف الفاء، أي: قام به ﷺ (**عمه أبو طالب**) اسمه عبد مناف (**شقيق أبيه**) أي: أخوه من الأب والأم (**عبد الله**)، ولما مات عبد المطلب حزن عليه الناس كثيرا، ولم تقم بمكة سوق أياما كثيرة، وكان حين حضرته الوفاة أوصى إلى أبي طالب بكفالته ﷺ وقدمه على غيره من أعمامه ﷺ لكونه شقيق والده، وأما عبد الكعبة وإن كان شقيق أبيه أيضا فقد مات صغيرا لم يدرك موت عبد المطلب، وأما الزبير وإن كان كذلك فقيل: إن عبد المطلب أقرع بينه وبين أبي طالب فخرجت القرعة لأبي طالب، وقيل: إنه كان مشاركا له في كفالته، وخص أبو طالب بالذكر لامتداد حياته، فإن الزبير لم يدرك الإسلام (**فقام**) أبو طالب

بِكَفَالَتِهِ بِعَزْمٍ قَوِيٍّ وَهِمَّةٍ وَحَمِيَّةٍ * وَقَدَّمَهُ عَلَى النَّفْسِ وَالْبَنِيْنَ وَرَبَّاهُ * وَلَمَّا بَلَغَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً رَحَلَ بِهِ إِلَى الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ * فَعَرَفَهُ الرَّاهِبُ بَحِيْرَا بِمَا حَازَهُ * ....

(**بكفالته**) ﷺ (**بعزمٍ**) أي: جد (**قوي وهمة**) أي: مباشرة (**وحمية**) أي: دفع لما يؤذيه ﷺ (**وقدمه**) ﷺ في الطعام وغيره (**على النفس**) أي: نفسه (**والبنين ورباه**) كمال التربية، وكان أبو طالب يحبه ﷺ حبا شديدا لا يحبه لأحد من أولاده، فكان لا ينام إلا بجنابه، وكان يخصه بأحسن الطعام، ويخرج به متى خرج، وإذا أراد أن يُغَدِّيَهم أو يُعَشِّيَهم يقول لأولاده: كما أنتم حتى يأتي ابني محمد، فيأتي رسول اللّه فيأكل معهم ويشرب لبنا أولهم ثم يشربون.

(**ولما بلغ**) أي: رسول اللّه (ﷺ **اثنتي عشرة سنة**) عند الأكثرين (**رحل**) أي: سافر أبو طالب (**به**) ﷺ (**إلى البلاد الشامية**) وسار حتى بلغ بصرى، وأصل ذلك أن أبا طالب أراد المسير في ركب إلى الشام، فقال له رسول اللّه: أَيْ عم إلى من تخلفني ههنا، وضبث به رسول اللّه - بفتح الضاد المعجمة والباء الموحدة والثاء المثلثة – أي: قبض عليه بكفه، فرقّ له أبو طالب، فلما ساروا أردفه فخرجوا به فنزلوا على صاحب دير، فقال صاحب الدير لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، قال: ما هو بابنك، وما ينبغي أن يكون له أب حي؟ قال: ولم؟ قال: لأن وجهه وجه نبي وعينيه عينا نبي، إلى أن قال: فاتق عليه اليهود، ثم نزل بدير آخر على راهب آخر، فقال مثل قول الأول إلا قوله: فاتق عليه اليهود، فقال أبو طالب للنبي ﷺ: يا ابن أخي ألا تسمع ما يقولون، قال: أي عم لا تنكر للّه قدرة، فلما نزل الركب بصرى، وبها راهب عظيم يقال له: بحيرا الراهب (**فعرفه الراهب**) أي: المتعبد (**بحيرا**) بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة فراء فألف مقصورة أو ممدودة، وقيل: بضم الباء الموحدة[1]، واسمه جرجيس بكسر الجيمين، بينهما راء (**بما حازه**) أي:

---

(١) قوله: (**بضم الباء الموحدة**) أي: وفتح الحاء المهملة.

مِنْ وَصْفِ النُّبُوَّةِ وَحَوَاهُ * وَقَالَ: إِنِّي أُرَاهُ سَيِّدَ الْعَالَمِيْنَ وَرَسُوْلَ اللهِ وَنَبِيَّهُ * قَدْ سَجَدَ لَهُ الشَّجَرُ وَالْحَجَرُ وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيٍّ أَوَّاهٍ * وَإِنَّا نَـجِدُ نَعْتَهُ فِي الْكُتُبِ الْقَدِيْمَةِ السَّمَاوِيَّةِ * وَبَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ ....

جمعه (من وصف النبوة وحواه) أي: شمله، وكان يهوديا ثم تنصر وقد انتهى له علم النصرانية وكانوا يتوارثون كابرا عن مابر، وكان من أوصياء عيسى، وقد مات على دين حيق، وهو إن لم يكن أدرك البعثة فقد أدرك دين النصرانية قبل نسخه بالبعثة المحمدية، وقد شهد للنبي ﷺ بالرسالة (وقال) أي: بحيرا، وهو أخذ بيده ﷺ (إني أراه) بضم الهمزة بالبناء للمفعول، أي: أظن هذا الغلام، وأما إذا كان بالبناء للفاعل فهو بمعنى «أنظر إليه» كذا في المصباح، وقال شيخنا يوسف: يفرق بين القلبية فيضم والبصرية فيفتح، (سيدَ العالمين ورسول اللّه ونبيه) فقال له الأشياخ من قريش: ما أعلمك بـهذا؟ فقال: إنكم حين أشرفتم على العقبة (قد سجد له الشجر والحجر ولا يسجدان إلا لنبيّ أوّاهٍ) أي: كثير الرجوع إلى اللّه تعالى، فرأى بحيرا تظليل غمامة بيضاء له ﷺ، كان طولها عشرة أذرع، وعرضها كذلك، وارتفاعها عن رأسه كذلك، وتظليلها له ﷺ مان قبل البعثة تأسيسا لنبوته، وأما بعدها فلم تظله. وروي أنه نزل تحت ظل شجرة سدر قريبا من بحيرا فأظلت الغمامة تلك الشجرة وتـهصرت، أي: مالت وتدلت أغصان الشجرة على رسول اللّه ﷺ حين استظل تحتها، وأن رسول اللّه لما فارق تلك الشجرة انفلقت من أصلها، وجعل يلحظه لحظا شديدا ينظر إلى أشياء من بدنه قد كان يجدها عنده في صفته، وقال لقومه ﷺ: أهذه الحمرة التي في عينيه تأتي وتذهب أو لا تفارقه، فقالوا: ما رأيناها فارقته قط، وقال: (وإنا نجد نعته في الكتب القديمة السماوية) وهو التوراة والإنجيل (و) نجد فيها أنه يكون (بين كتفيه) بفتح فكسر أو بكسر فسكون (خاتم النبوة) مثل التفاحة، قيل: شعرات مُترا كمات

قَدْ عَمَّهُ النُّوْرُ وَعَلَاهُ * وَأَمَرَ عَمَّهُ بِرَدِّهِ إِلٰى مَكَّةَ تَخَوُّفًا عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ دِيْنِ الْيَهُوْدِيَّةِ * فَرَجَعَ بِهِ وَلَمْ يُجَاوِزْ مِنَ الشَّامِ الْمُقَدَّسِ بُصْرَاهُ *

عَطِّرِ اللّٰهُمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمٍ

كعرف الفرس، وقيل: كبيضة الحمامة، وقيل: كزر الحجلة، أي: الخيمة، وفي تاريخ ابن أبي خيثمة: شامة خضراء محتفرة في اللحم، وفي رواية: كبيضة الحمام مكتوب في باطنها: «اللّه وحده لا شريك له»، وعلى ظاهرها: «توجه حيث كنت فإنك منصور» (**قد عمّه النور وعلاه**) وتلألأ ذلك النور (**وأمر**) أي: بحيرا (**عمه**) ﷺ (**برده إلى مكة تخوفا عليه**) ﷺ (**من أهل دين اليهودية**) إذ أقبل منهم سبعة من الروم وهم دريس وتمام وزريق، وهم رؤساؤهم، والباقي خدمهم يريدون قتله، فمنعمه بحيرا، وأخبروه بأن اليهود تفرقت في كل طريق لعلمهم أنه خارج في هذا الشهر، فقال بحيرا لقريش: أنا أنشدكم باللّه، أيكم وليه؟ فقالوا: أبو طالب، فلم يزل يناشده باللّه أن يرده وهو لا يخشى من القتل لأنه يعلم أنه لا يقتل وإنما يخشى عليه من شيء آخر (**فرجع**) أي: أبو طالب (**به**) ﷺ (**ولم يجاوز**) أي: رسول اللّه ﷺ (**من الشام المقدس**) أي: المطهر من أرجاس الكفار لأنه موضع الأنبياء (**بصراه**) بضم الموحدة فصاد مهملة ساكنة، وهي من أعمال دمشق وهي أول ما افتتح من بلاد الشام، ولما بلغ ﷺ عشرين سنة عاد إلى الشام في تجارة ومعه أبو بكر وله من العمر ثماني عشرة سنة، حتى نزل منزلا فيه سدرة، فقعد في ظلها، وذهب أبو بكر إلى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء، فقال له: من الرجل الذي في ظل الشجرة؟ فقال له: محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب، فقال: هذا واللّه نبي ما استظل تحت ظلها بعد عيسى إلا محمد ﷺ، ووقع في قلب أبي بكر الصديق، فلما بعث ﷺ اتبعه.

(**عَطِّرِ اللّٰهُمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمٍ**)

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ

وَلَمَّا بَلَغَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَـمْسًا وَعِشْرِيْنَ سَنَةً سَافَرَ إِلٰى بُصْرٰى فِيْ تِجَارَةٍ لِخَدِيْجَةَ الْفَتِيَّةِ * وَمَعَهُ غُلَامُهَا مَيْسَرَةُ يَخْدِمُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقُوْمُ بِمَا عَنَاهُ * فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ لَدٰى صَوْمَعَةِ نَسْطُوْرَا ....

(اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ)

(**ولما بلغ ﷺ خمسا وعشرين سنة سافر إلى بصرى**) لأربع عشرة ليلة بقية من ذي الحجة (**في تجارة لخديجة**) بنت خويلد بن أسد (**الفتية**) أي: المستورة بملازمة البيت، وسبب ذلك أن عمه قال له: يا أخي إن السنين، أي: الجدب ألحت علينا ولا مال لنا ولا تجارة، وخديجة تعطي غيرك وأنت أولى بذلك، فقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: لعلها ترسل إليّ، فبلغها الخبر فأرسلت إليه فقالت له: إني أعلم خصالك الحميدة، وأعطته المال وجعلت له جزءا من الربح وأرسلت معه ميسرة كما قال المصنف (**ومعه**) ﷺ (**غلامها**) أي: عبد خديجة (**ميسرة**) أي: الضبي، وهو بضم السين وفتحها (**يخدمه**) بكسر الدال وضمها (**ﷺ ويقوم**) أي: ميسرة (**بما عناه**) أي: بالشيء الذي أراده النبي ﷺ حتى بلغ ﷺ سوق بصرى ولم يجاوزها (**فنزل**) ﷺ (**تحت**) ظل (**شجرة**) وكانت شجرة سدر، أي: نبق (**لدى صومعة نسطورا**) بفتح النون وسكون السين أو بضم النون وبالقصر وهو الذي نسب إليه النسطورية من النصارى، فإن النصارى افترقت أربع فرق: نسطورية وهم الذين قالوا:عيسى ابن اللّه، ويعقوبية وهم الذين قالوا: عيسى هو اللّه هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء، وملكانية وهم الذين قالوا: عيسى عبد اللّه ونبيه، وإسرائيلية وهم الذين قالوا: عيسى إله وأمه إله

رَاهِبِ النَّصْرَانِيَّةِ * فَعَرَفَهُ إِذْ مَالَ إِلَيْهِ ظِلُّهَا الْوَافِرُ وَآوَاهُ * وَقَالَ: مَا نَزَلَ تَحْتَ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ قَطُّ إِلَّا نَبِيٌّ ذُوْ صِفَاتٍ نَقِيَّةٍ * وَرَسُوْلٌ قَدْ خَصَّهُ اللهُ تَعَالٰى بِالْفَضَائِلِ وَحَبَاهُ * ثُمَّ قَالَ لِمَيْسَرَةَ: أَفِيْ عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ؟ اِسْتِظْهَارًا لِلْعَلَامَةِ الْخَفِيَّةِ * فَأَجَابَهُ بِـ«نَعَمْ» فَحَقَّ لَدَيْهِ ....

واللّه إله. و«الصومعة»: محل عبادة النصارى وهو بناء مرتفع دقيق الرأس (**راهب النصرانية**) أي: عابدهم (**فعرفه**) ﷺ (**إذ مال إليه**) ﷺ (**ظلها الوافر**) بتقديم الفاء على الراء، أي: المجتمع، وفي بعض النسخ: «الوارف» بتقديم الراء على الفاء، أي: الطويل (**وآواه**) بمد الهمزة، أي: ستر ذلك الظل رسول اللّه ﷺ من حر الشمس، فكأن تلك الشجرة مأوى، أي: مكان يؤوى إليه ليلا ونـهارا، فدنا إليه ﷺ وقبل رأسه وقدميه، وقال: آمنت بك وأنا أشهد أنك رسول اللّه النبي الأمي الذي بشر بك عيسى، فإنه قال: لا ينزل بعبدي تحت هذه الشجرة إلا النبي الأمي الهاشمي العربي المكي صاحب الحوض والشفاعة ولواء الحمد، وهو الذي يعطاه يوم القيامة الذي خلقه اللّه من النور الذي ظهر من فم آدم حين عطس، فقال: الحمد للّه رب العالمين، وادخر لوقته ﷺ، وهذا المذكور هو المعني بقول المصنف:

(**وقال**) أي: نسطورا (**ما نزل تحت هذه الشجرة قط**) بضم الطاء المشددة، أي: في الزمان الذي مضى بعد عيسى (**إلا نبي ذو صفات نقية**) أي: أفضلية (**ورسول قد خصه اللّه تعالى بالفضائل**) من العلوم ونحوها (**وحباه**) أي: أعطاه إياها (**ثم قال**) أي: نسطورا الراهب (**لميسرة**) وقد انفرد عن النبي ﷺ (**أفي عينيه**) أي: هذا الرجل (**حمرة**) بضم الحاء وسكون الميم (**استظهارا للعلامة الخفية**) أي: طلبا لظهور هذه العلامة الخفية (**فأجابه**) أي: ميسرة نسطورا (**بـ«نَعَمْ»**) أي: بقوله: نعم في عينيه حمرة، وهي في بياض العين، قال: وهل تفارقه؟ قال: لا تفارقه، (**فحق**) بفتح الحاء، أي: ثبت (**لديه**) أي: عند نسطورا

مَا ظَنَّهُ فِيْهِ وَتَوَخَّاهُ * وَقَالَ لِمَيْسَرَةَ: لَا تُفَارِقْهُ وَكُنْ مَعَهُ بِصِدْقِ عَزْمٍ وَحُسْنِ طَوِيَّةٍ * فَإِنَّهُ مِمَّنْ أَكْرَمَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى بِالنُّبُوَّةِ وَاجْتَبَاهُ * ثُمَّ عَادَ إِلٰى مَكَّةَ فَرَأَتْهُ خَدِيْجَةُ مُقْبِلًا وَهِيَ بَيْنَ نِسْوَةٍ فِيْ عِلِّيَّةٍ * وَمَلَكَانِ عَلٰى رَأْسِهِ الشَّرِيْفِ مِنْ ضُحَى الشَّمْسِ قَدْ أَظَلَّاهُ * وَأَخْبَرَهَا مَيْسَرَةُ بِأَنَّهُ رَأٰى ذٰلِكَ فِي السَّفَرِ كُلِّهِ ....

(ما ظنه فيه) ﷺ من نبوة سيدنا محمد ورسالته (وتوخاه) بفتحات وتشديد الخاء المعجمة، أي: قصده (وقال) أي: نسطورا (لميسرة: لا تفارقه وكن معه بصدقِ عزم) وهو من إضافة الصفة للموصوف، أي: بإرادة صادقة (وحسن طوية) وهو مثل ما قبله، أي: وبضمير قلب حسن كما في الصحاح (فإنه) أي: هذا الرجل (ممن أكرمه اللّه تعالى بالنبوة) أي: وبالرسالة (واجتباه) أي: اصطفاه، وهو نبي، وهو آخر الأنبياء (ثم عاد) ﷺ من غير مجاوزة بصرى (إلى مكة فرأته) ﷺ (خديجة) صاحبة البضاعة التي عند رسول اللّه في ساعة الظهيرة (مقبلا) على جهتها، وهو ﷺ على بعيره (وهي بين نسوة) أي: جوار لها (في علية) بكسر العين أو ضمها وكسر اللام المشددة وفتح الياء المشددة، أي: غرفة، وأصله «عليوة» وجمعه «علالي»، فقوله: «مقبلا» حال من الهاء في «رأته»، وجملة قوله «وهي بين النسوة» من المبتدإ والخبر في محل نصب حال من «خديجة»، فالواو للحال (وملكان على رأسه الشريف) وقت الهاجرة (من ضحى الشمس) بضم الضاد وفتح الحاء ثم ألف مقصورة، أي: من حرها كما قاله مقاتل، أو من ضوئها كما قاله مجاهد والكلبي (قد أظلاه) ﷺ بأجنحتهما تشريفا له وتكريما، وروي أنه ﷺ من حين مسيرة من مكة صارت الغمامة تظله، فإن كانت الغمامة غير الملكين فالغمامة كانت تظله في الذهاب، والملكان يظلانه في العود (وأخبرها ميسرة بأنه رأى ذلك) أي: إظلال الملائكة النبي من حر الشمس (في السفر كله) أي: في ذهابه وإيابه، وأخبرها ميسرة بأنه وقع خصام بين النبي وبين رجل في سلعة،

وَبِمَا قَالَهُ الرَّاهِبُ وَأَوْدَعَهُ لَدَيْهِ مِنَ الْوَصِيَّةِ * وَضَاعَفَ اللّٰهُ لَهُ فِيْ تِلْكَ التِّجَارَةِ رِبْحَهَا وَنَمَّاهُ * فَبَانَ لِخَدِيْجَةَ بِمَا رَأَتْ وَمَا سَمِعَتْ أَنَّهُ رَسُوْلُ اللهِ إِلَى الْبَرِيَّةِ * وَخَطَبَتْهُ لِنَفْسِهَا لِتَشُمَّ مِنَ الْإِيْمَانِ بِهِ طِيْبَ رَيَّاهُ * فَأَخْبَرَ أَعْمَامَهُ بِمَا دَعَتْهُ إِلَيْهِ هٰذِهِ الْبَرَّةُ التَّقِيَّةُ * فَرَغِبُوْا فِيْهَا لِفَضْلٍ وَدِيْنٍ ....

فقال ذلك الرجل: احلف باللات والعزى، فقال: ما حلفت بهما (**و**) أخبرها (**بما قاله الراهب**) نسطورا من سؤال حمرة في عينيه، ومن قوله: هو نبي وهو آخر الأنبياء (**وأودعه لديه من الوصية**) من نهيه عن مفارقته (**وضاعف اللّه**) تعالى (**له**) ﷺ (**في تلك التجارة ربحها ونمّاه**) بتشديد الميم، أي: رفع ربحها أكثر من المعتاد بأضعاف، ثم لما رد التجارة لخديجة أعطته أكثر مما له.

(**فبان**) أي: وضح (**لخديجة بما رأت**) بعينها من إظلال الملكين (**وما سمعت**) من ميسرة (**أنه**) ﷺ (**رسول اللّه إلى البرية**) أي: الخلق كافة، فمالت إليه ﷺ ميلا شديدا، ثم عرضت نفسها عليه ليتزوجها، قيل: بواسطة امرأة، وقيل: بلا واسطة، ولذا قال المصنف: (**و**) بعد رجوعه من بصرى بشهرين وخمسة وعشرين يوما (**خطبته**) أي: طلبت منه أن يتزوج (**لنفسها لتشمّ من الإيمان به**) ﷺ (**طيب ريّاه**) أي: رائحته الطيبة، وهو بفتح الراء وشد التحتية، و«الطيب» بكسر الطاء، فقوله: «من الإيمان» بيان لـ«طيب رياه»، فشبه الإيمان به ﷺ بشيء مشموم في النفاسة والرغبة في كل، (**فأخبر**) النبي ﷺ (**أعمامه بما دعته**) ﷺ (**إليه**) من النكاح (**هذه البَرَّةُ**) بفتح الباء وشد الراء، أي: الصادقة (**التقية**) بالمثناة الفوقية، أي: الفاعلة للمأمورات والتاركة للمنهيات، أو بالنون، أي: الطاهرة لأنها كانت تدعى في الجاهلية بـ«الطاهرة» لشدة عفافها وصيانتها (**فرغبوا**) بكسر الغين (**فيها**) أي: أراد الأعمام خديجة (**لفضلٍ**) فإنها كانت تسمى سيدة نساء قريش (**ودين**) فإنها امرأة حازمة

وَجَمَالٍ وَمَالٍ وَحَسَبٍ وَنَسَبٍ، كُلٌّ مِنَ الْقَوْمِ يَهْوَاهُ * وَخَطَبَ أَبُوْ طَالِبٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللّٰهَ تَعَالٰى بِمَحَامِدَ سَنِيَّةٍ * وَقَالَ: وَهُوَ وَاللّٰهِ بَعْدُ لَهُ نَبَأٌ عَظِيْمٌ يُحْمَدُ فِيْهِ سُرَاهُ * ....

جلدة (**وجمال**) أي: رقة الحسن (**ومالٍ**) فإنها أكثر قريش مالا (**وحسب**) فإنها أعظم قريشا شرفا، والحسب ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه من الدين أو الكرم أو المال، وقيل: الحسب والكرم قد يكونان[1] ممن لا شرف لآبائهم، والشرف والمجد لا يكونان إلا بهم. (**ونسب**) فإنها أوسط قريش نسبا (**كل من القوم يهواه**) أي: يحب ذلك المذكور، فخرج معه ﷺ منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه ﷺ، وأصدقها عشرين بكرة، وحضر أبو بكر ورؤساء مضر.

(**وخطب أبو طالب**) أي: تكلم بكلام مسجع دال على تمام الكلام بين الطالب والمطلوب، ومشعر بتسليم صداق كما هو عادة أهل مكة، وهذا غير خطبة عقد النكاح (**وأثنى عليه ﷺ بعد أن حمد اللّه تعالى بمحامد**) جمع «محمدة» بمعنى مدحة (**سنية**) أي: رفيعة (**وقال**) أي: أبو طالب (**وهو**) أي: محمد (**واللّه بعدُ**) أي: بعد هذا (**له**) أي: محمد (**نبأٌ**) أي: خبر (**عظيم يُحمَد**) بالبناء للمفعول (**فيه**) أي: في ذلك النبأِ (**سُراه**) بضم السين، أي: عمله، أي: خطب أبو طالب بهذه الخطبة:

«الحمد للّه الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل» أي: ذريته «وضِئْضِئِ معد» أي: أصله «وعنصر مضر» أي: أصله «وجعلنا حضنة بيته» أي: الكافلين له «وسُوَّاس حرمه» أي: المتولين أمره «وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا، وجعلنا الحكام على

---

(١) قوله: (**الحسب والكرم قد يكونان**) وفي طبعة طه فوترا «الحسب هو الكرم وقد يكونان».

فَزَوَّجَهَا مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُوْهَا وَقِيْلَ: عَمُّهَا وَقِيْلَ: أَخُوْهَا لِسَابِقِ سَعَادَتِهَا الْأَزَلِيَّةِ ❋ ....

الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد اللّه لا يوزن برجل إلا رجح به، فإن كان في المال قل، فإن المال ظل زائل وأمر حائل، ومحمد ممن قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا، وهو واللّه بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل».

فقال ورقة بن نوفل[١]: «الحمد للّه الذي جعلَنا كما ذكرت، وفَضَّلَنا على ما عددت، فنحن سادات العرب وقادتـها، وأنتم أهل ذلك كله، لا تنكر العشيرة فضلكم، ولا ينكر أحد من الناس فخركم وشرفكم، وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم، فاشهدوا على معشر قريش أني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد اللّه على أربع مائة دينار». ثم قال أبو طالب: قد أحببت أن يشركك عمها، فقال عمها[٢]: اشهدوا علي يا معشر قريش أني قد أنكحت محمد بن عبد اللّه خديجة بنت خويلد، وشهد على ذلك صناديد[٣] قريش.

(**فزوجها**) أي: خديجة (**منه ﷺ أبوها**) خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي (**وقيل: عمها**) عمرو بن أسد، فإن خويلدا كان قد مات (**وقيل: أخوها**) عمرو بن خويلد (**لسابق سعادتـها الأزلية**) أي: القديمة، وعمرها حينئذ أربعون سنة وبعض سنة أخرى، وعمره ﷺ إحدى وعشرون سنة، وقيل: خمس وعشرون، وقيل: ثلاثون، وخير الأمور

(١) قوله: (**ورقة بن نوفل**) بن أسد وهو ابن عم خديجة.

(٢) قوله: (**فقال عمها**) أي: عمرو بن أسد.

(٣) قوله: (**صناديد**) وفي معجم المعاني: «صناديد» جمع «صنديد»، والصنديد: الشريف الشجاع.

وَأَوْلَدَهَا كُلَّ أَوْلَادِهِ إِلَّا الَّذِيْ بِاسْمِ الْخَلِيْلِ سَمَّاهُ *

عَطِّرِ اللّٰهُمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمٍ

أوسطها، وكان تزوج خديجة قبل المبعث، وتوفيت قبل مخرج رسول اللّه من مكة بثلاث سنين، وكانت قبله ﷺ تحت أبي هالة بن زرارة التيمي فولدت له هند وهالة وهما ذكران، ثم تزوجها عتيق بن عائد المخزومي فولدت له هندا وعتيقا، (**وأولدها كل أولاده إلا الذي باسم الخليل سماه**)، ونظمهم بعضهم على الترتيب الوجودي من بحر الطويل، فقال:

فَأَوَّلُ وُلْدِ[1] الْمُصْطَفَى الْقَاسِمُ الرِّضَا ۞ بِهِ كُنْيَةُ الْمُخْتَارِ فَافْهَمْ وَحَصِّلَا
وَزَيْنَبُ تَتْلُوْهُ رُقَيَّةُ بَعْدَهَا ۞ فَفَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ جَاءَتْ عَلَى الْوِلَا
كَذَا أُمُّ كُلْثُوْمٍ تُعَدُّ وَبَعْدَهَا ۞ فِي الإِسْلَامِ عَبْدُ اللّٰهِ جَاءَ مُكَمِّلَا
وَكُلُّهُمُ كَانُوْا مَعًا مِنْ خَدِيْجَةٍ ۞ وَقَدْ جَاءَ إِبْرَاهِيْمُ فِي طَيْبَةٍ تَلَا
مِنَ الْمَرْأَةِ الْحَسْنَاءِ مَارِيةٍ فَقُلْ ۞ عَلَيْهِمْ سَلَامُ اللّٰهِ مِسْكًا وَمِنْدِلًا

وأشار بعضهم إلى هذا الترتيب من بحر الكامل بقوله:

يا ربنا بالقاسم بن محمد ۞ فبزينبٍ فرقيةٍ فبفاطِمَةْ
فبأم كلثومٍ فعبد اللّه ثُـ ۞ ـمَّ بحق إبراهيم نجى ناظمَه

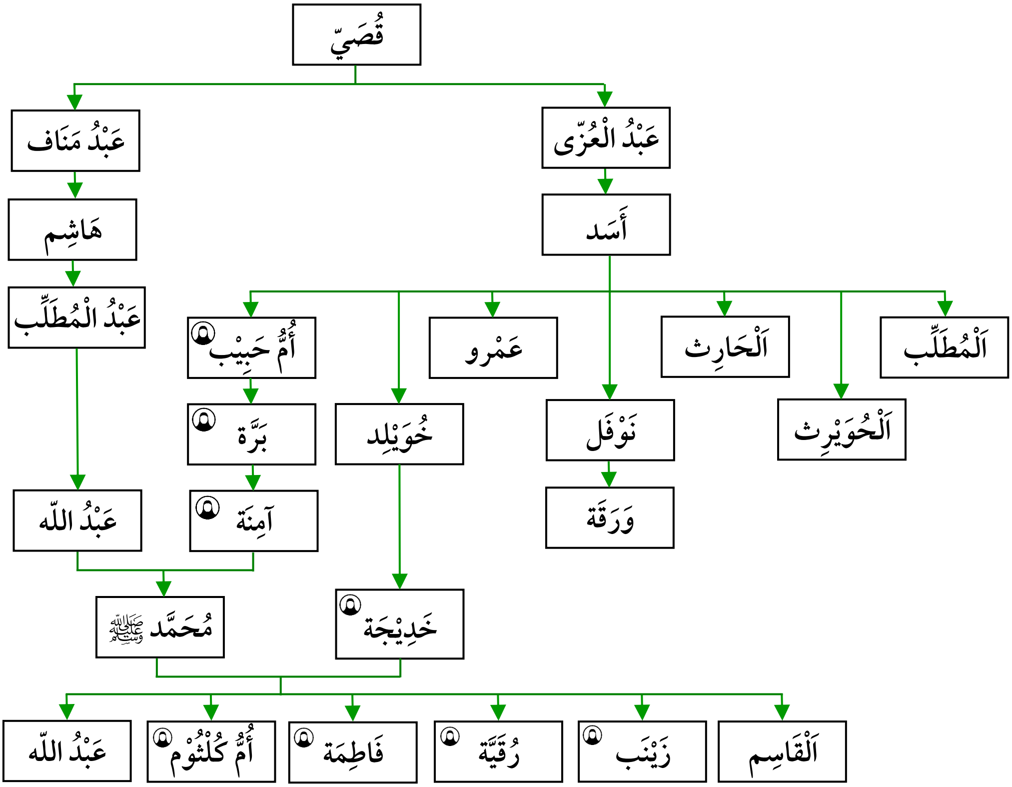
(**عَطِّرِ اللّٰهُمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمٍ**)

* * *

---

(١) قوله: (**ولد**) بضم فسكون جمع «وَلَد».

التقاء نسب السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنسب النبي ﷺ



﴿**فائدة**﴾: قال الشيخ محمد نووي البنتني في تيجان الدراري: وسيدتنا خديجة الكبرى هي أول امرأة تزوج بها رسول اللّه ﷺ، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت، وهي أفضل نسائه ﷺ، وأولاده ﷺ كلهم منها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. إلا إبراهيم فمن مارية القبطية، كانت سرية له ﷺ أهداها له المقوقس القبطي، وأهدى معها أختها سيرين وخصيا، يقال له: مابور، وألف مثقال من ذهب، وعشرين ثوبا لينا، وبغلة شهباء وهي دلدل، وحمارا أشهب وهو عفير، ويقال له: يعفور، وعسلا من عسل بَنْهَا، فأعجب العسل النبي ﷺ ودعا في عسل بنها بالبركة. اهـ

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ

وَلَمَّا بَلَغَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَـمْسًا وَثَلَاثِيْنَ سَنَةً بَنَتْ قُرَيْشٌ اَلْكَعْبَةَ ....

(اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْه)

(ولما بلغ ﷺ خمسا وثلاثين سنة) على المشهور، وقيل: كان ابن خمس وعشرين سنة، وقيل: كان غلاما (بَنَتْ قريشٌ الكعبةَ) على غير قواعد إبراهيم لضيق النفقة عليهم، فنقصوا من عرضها وطولها أذرعا، وهذا البناء في المرة التاسعة. والحالصل أن البيت بني عشر مرات، فأول من بناه الملائكة من ياقوتة، ثم آدم، ثم شيث ولده لصلبه، ثم إبراهيم وإسماعيل، ثم العمالقة، ثم جرهم، ثم قصي، ثم كلاب، ثم قريش، ثم ابن الزبير على قواعد إبراهيم، ثم الحجاج على غير قواعد إبراهيم، وبنيان الحجاج باق إلى الآن فلم يتغير إلا في الميزاب والباب والسقف والرخام وبعض ترميم في الجدران.

ويروى أنه لما بوّأ اللّه تعالى لخليله مكان البيت وأمره ببناءه أقبل من الشام، وسنه يومئذ مائة سنة، وسن ابنه إسماعيل ستة وثلاثون، وأرسل اللّه معه السكينة لها رأس كرأس الهرة وجناحان، وفي رواية: كأنـها غمامة وفي وسطها من أعلى كهيئة الرأس تتكلم وكانت بمقدار البيت، فلما انتهى الخليل إلى مكة وقفت في موضع البيت ونادت: يا إبراهيم ابن على مقدار ظلي لا تزد ولا تنقص، وفي الرواية الأخرى: أنـها تطوّقت بالأساس كأنـها حية. ثم إن الخليل لما انتهى في البناء إلى موضع الحجر الأسود طلب من إسماعيل حجرا يضعه ليكون علما على بدء الطواف، فجاءه جبريل بالحجر الأسود من جبل أبي قبيس لأن اللّه تعالى استودعه إياه لما غرقت الأرض؛ وفي رواية: أن الحجر نفسه نادى الخليل من أبي

لِانْصِدَاعِهَا بِالسُّيُوْلِ الْأَبْطَحِيَّةِ * وَتَنَازَعُوْا فِيْ رَفْعِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَكُلٌّ أَرَادَ رَفْعَهُ وَرَجَاهُ * وَعَظُمَ الْقِيْلُ وَالْقَالُ ....

قبيس: ها أنا ذا، فرقى إليه فأخذه فوضعه في موضعه، وقيل: إن الجبل ناداه فقال له: يا إبراهيم لك عندي أمانة فخذها.

(**لانصداعها**) أي: انشقاق جدران الكعبة، فخافت قريش انهدامها (**بالسيول**) أي: اجتماع الأمطار الجارية في الأودية (**الأبطحية**) أي: المنسوبة إلى الأبطح الذي هو المحصب، وهو مجتمع الماء الجاري من طريق جبل حراء ومن طريق منى المسماة بوادي المنحنى، وذلك لأن باب الكعبة كان ملصقا بالأرض وكان السيل يدخله فانصدع وسرق طيب الكعبة. (**و**) لما بلغ البناء إلى موضع الحجر (**تنازعوا**) أي: اختلفت أكابر قريش ورؤساؤهم (**في رفع الحجر الأسود**) أي: في وضعه في الركن الأسعد، وقال كل قبيلة: نحن أحق بوضعه، والحجر الأسود من ياقوتة بيضاء، وإنما سودته خطايا بني آدم، وهو أهبط مع آدم من الجنة، وكذا عصى موسى التي هي من آس الجنة، ومقام إبراهيم، وخاتم سليمان، وورق التين، وعود يبخر به.

﴿**تنبيه**﴾: كانت عصى موسى طولها عشرة أذرع، ولها شعبتان، تتقدان في الظلمة، واسمها زائدة، وكان مكتوبا عليها: كل سلطان لا يعدل في سلطنته هو وفرعون سواء، وكل عالم لا يعمل بعلمه هو وإبليس سواء، وكل غني لا ينتفع بماله هو وقارون سواء، وكل فقير لا يصبر على فقره هو والكلب سواء.

(**فكل**) من رؤساء قريش (**أراد رفعه**) إلى موضعه الأصلي قبل هدمه ليحوز شرفه لنفسه ويتميز بهذه المزية على غيره (**ورجاه، وعظم القيل والقال**) أي: المقاولة والخوض

وَتَحَالَفُوْا عَلَى الْقِتَالِ وَقَوِيَتِ الْعَصَبِيَّةُ * ثُمَّ تَدَاعَوْا إِلَى الْإِنْصَافِ وَفَوَّضُوا الْأَمْرَ إِلَى ذِيْ رَأْيٍ صَائِبٍ وَأَنَاةٍ * فَحَكَمَ بِتَحْكِيْمِ أَوَّلِ دَاخِلٍ مِنْ بَابِ السَّدَنَةِ الشَّيْبِيَّةِ * فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ دَاخِلٍ فَقَالُوْا: هٰذَا الْأَمِيْنُ وَكُلُّنَا نَقْبَلُهُ وَنَرْضَاهُ * ....

في الكلام وفضول الحديث في المجالس (**وتحالفوا**) بالحاء المهملة، أي: تقاسموا (**على القتال وقويت العصبية**) بفتح العين وسكون الصاد نسبة إلى «عصب» مصدر بمعنى إحاطة واستدارة لقتال كما في المصباح، أو بضم العين نسبة إلى «عصبة» بمعنى جماعة بين العشرة والأربعين كما في القاموس، أي: صارت القبائل أحزابا وطوائف مجتمعة (**ثم تداعَوْا**) أي: تألبوا، أي: اجتمعوا (**إلى الإنصاف**) بكسر الهمزة، أي: العدل (**وفوّضوا الأمر**) أي: أمر الحجر الأسود (**إلى ذي رأي**) أي: صاحب عقل (**صائب وأناة**) بفتح الهمزة وبالنون وهو اسم مصدر من «تأنى» أي: وإلى صاحب ترفق في الأمر ولم يعجل، وصاحب الرأي قيل: هو المخزومي أخو الوليد، وقيل: هو الوليد، وقيل: حذيفة (**فحكم**) أي: صاحب عقل مصيب وصاحب ترفق (**بتحكيم أول داخل من باب السدنة**) بفتح السين والدال، أي: خدام الكعبة (**الشيبية**) نسبة إلى شيبة الحجبي، ومفتاح الكعبة في أولاده، وهو ابن عثمان بن طلحة بن عبد الدار بن قصي، أي: حكم هو بجعل أول من يدخل من ذلك الباب حكما يقضى بينهم لدفع النزاع بينهم، ووجد في نسخة «فحكموا» بصيغة الجمع كما في عبارة بعض العلماء، أي: فاتفقوا أن يجعلوا بينهم أول من يدخل من ذلك الباب حكما يقضى بينهم. (**فكان النبي ﷺ أول داخل**) من ذلك الباب فلما رأوه (**فقالوا**) مقرين له ﷺ بوصف أمانته (**هذا الأمين**) وكانوا يدعونه قبل النبوة «الأمين» لغاية أمانته ونهاية ديانته (**وكلنا نقبله ونرضاه**) بالنون المفيدة للمتكلم مع غيره، فإن القاعدة أن الضمير يرجع إلى المضاف إلا إذا كان لفظ «كل» أو «بعض» فيرجع إلى المضاف إليه كما هنا، وفي نسخة بالياء التحتية

فَأَخْبَرُوْهُ بِأَنَّهُمْ رَضُوْهُ أَن يَكُوْنَ صَاحِبَ الْحُكْمِ فِيْ هٰذَا الْمُلِمِّ وَوَلِيَّهُ * فَوَضَعَ الْحَجَرَ فِيْ ثَوْبٍ ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يَرْفَعَهُ جَمِيْعُ الْقَبَائِلِ إِلٰى مُرْتَقَاهُ * فَرَفَعُوْهُ إِلٰى مَقَرِّهِ مِنْ رُكْنِ هَاتِيْكَ الْبَنِيَّةِ * وَوَضَعَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ الشَّرِيْفَةِ فِي مَوْضِعِهِ الْآنَ وَبَنَاهُ *

(**فأخبروه**) ﷺ (**بأنهم رضوه أن يكون**) (**صاحب الحكم في هذا الملم**) بضم الميم وكسر اللام، أي: الأمر النازل من المخاصمة العظيمة حتى كادوا بسببها يقتتلون، وفي نسخة: «المهم» بضم الميم وبالهاء المكسورة، أي: الأمر الشديد كما في الصحاح (**ووليه**) أي: مدبر الحكم والقائم به كما في المصباح، فوضع ﷺ رداءه وبسطه على الأرض ثم وضع الحجر عليه، وفي رواية: قال ﷺ: هلموا إليّ ثوبا، فأتي به فأخذ الحجر (**فوضع الحجر**) بيده (**في ثوب**) أي: عليه، فـ«في» بمعنى «على» (**ثم أمر**) ﷺ (**أن يرفعه جميع القبائل**) أي: كل رئيس لهم، أي: أمر بأن يأخذ كل بطرف منه، فكان في الربع الأول: عتبة بن ربيعة، وفي الربع الثاني: زمعة، وفي الربع الثالث: أبو حذيفة بن المغيرة، وفي الربع الرابع: قيس بن عدي (**إلى مرتقاه**) بضم الميم، أي: موضع رقي الحجر (**فرفعوه إلى مقره**) بفتح الميم والقاف، أي: محل استقرار الحجر (**من ركن هاتيك البنية**) بفتح الباء وكسر النون وشد التحتية، أي: الكعبة كما في الصحاح، فقوله: «من ركن» بيان لـ«مقره»، وهو ﷺ آخذ من تحت الحجر (**ووضعه ﷺ بيده الشريفة في موضعه الآن وبناه**) أي: شيده(١).

قال بعضهم: وكان بناؤهم للكعبة لأمور:

الأول: توهينها من الحريق الذي أصابها، وذلك أن امرأة جمرت الكعبة فطارت جمرة من مجمرتها في ثياب الكعبة فأحرقتها.

---

(١) قوله: (**شيده**) وفي مطبعة طه فوترا: «أي: شده».

الثاني: أن السيل دخلها وصدع جدرانها بعد توهينها.

الثالث: أن نفرا سرقوا حلى الكعبة وغزالين من ذهب، وقيل: غزالا واحدا مرصعا بدر وجوهر، وكان في بئر في جوف الكعبة، فأرادوا أن يشيدوا بنيانها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شاؤوا اهـ.

(عَـطِّرِ اللّٰهُـمَّ قَـبْرَهُ الْكَـرِيْـمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْم)

* * *

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ

وَلَمَّا كَمُلَ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعُوْنَ سَنَةً عَلٰى أَوْفَقِ الْأَقْوَالِ لِذَوِي الْعَالِمِيَّةِ * بَعَثَهُ اللهُ تَعَالٰى لِلْعَالَمِيْنَ بَشِيْرًا وَنَذِيْرًا فَعَمَّهُمْ بِرُحْـمَاهُ * ....

(اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْه)

(**ولما كمل**) من باب «قعد» وهو أفصح، ومن باب «قرب» و«ضرب» و«تعب»، وهي لغات كثيرة، لكن من باب «تعب» أردؤها كذا في المصباح، أي: تمّ (**له ﷺ أربعون سنة على أوفق الأقوال**) أي: أصوبها (**لذوي العالمية**) بكسر اللام، أي: عند أصحاب العلم بالأثر وأهل السير، وفي نسخة «الأقوال المروية»، وقيل: أربعون يوما، وقيل: عشرة يوما، وقيل: شهران (**بعثه اللّٰه تعالى للعالمين بشيرا**) لمن آمن به بالجنة والوصلة (**ونذيرا**) لمن كفر به بالنار والفرقة (**فعمّهم برحماه**) بضم الراء، أي: برحمته، وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] أي: إن اللّٰه تعالى أرسله إلى الناس رحمة لهم في الدين والدنيا، أما في الدين فلأنه ﷺ بعث والناس في جاهلية وضلال متحيرون لطول مدتهم ووقوع الاختلاف في كتبهم ولا سبيل لهم إلى الحق فدعاهم إلى اللّٰه وبين لهم سبيل الصواب، وأما في الدنيا فإنهم خلصوا به من الذل ونصروا ببركة دينه، فإن قيل: كيف كان رحمة للعالمين وقد جاء بالسيف للمستكبرين المعاندين فنزل بهم الغم والخوف وفنى أكثرهم؟ فالجواب: أن من خالفه ولم يتبعه فإنما أتى من عند نفسه حيث استكبر وعاند وضيع نصيبه منها، ومثاله كما قاله الزمخشري أن يفجر اللّٰه عينا غديقة فيسقى ناس مواشيهم وزروعهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعون،

وَبُدِئَ إِلَىٰ تَمَامِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ بِالرُّؤْيَا الصَّادِقَةِ الْجَلِيَّةِ * فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ صُبْحٍ أَضَاءَ سَنَاهُ * وَإِنَّمَا ابْتُدِئَ بِالرُّؤْيَا تَمْرِينًا لِلْقُوَّةِ الْبَشَرِيَّةِ * لِئَلَّا يَفْجَأَهُ الْمَلَكُ بِصَرِيحِ النُّبُوَّةِ فَلَا تَقْوَاهُ قُوَاهُ * ....

فالعين في نفسها نعمة من اللّٰه تعالى ورحمة للفريقين لكن جعلها الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ولم ينفعها، جعلنا اللّٰه من عباده المفلحين. (**وبدئ**) ﷺ، بالبناء للمفعول (**إلى تمام ستة أشهر بالرؤيا**) في النوم في شهر ربيع الأول (**الصادقة**) وهي التي ليس فيها ضغث كذا قاله القسطلاني في شرح البخاري (**الجلية**) أي: الواضحة التي لا تحتاج لتعبير وهي كالوحي في الصحة إذ لا مدخل للشيطان فيها (**فكان**) ﷺ (**لا يرى رؤيا**) بلا تنوين كما في شرح البخاري، لأن الألف للتأنيث (**إلا جاءت**) أي: الرؤيا (**مثل فلق**) بفتح الفاء واللام، أي: ضوء (**صبح**)، و«مثل» نصب بمصدر محذوف، أي: إلا جاءت مجيئا مثل مجيئ فلق صبح، والمعنى: أنها شبيهة به في الضياء والوضوح، أو التقدير: مشبهة ضياء صبح، فيكون النصب على الحال، وعبر بـ«فلق صبح» لأن شمس النبوة قد كانت مبادئ أنوارها الرؤيا إلى أن ظهرت أشعتها[1] وتم نورها، والفلق: الصبح، لكنه لما كان مستعملا في هذا المعنى وغيره أضيف إليه للتخصيص والبيان إضافة العام للخاص كذا في شرح البخاري (**أضاء سناه**) بفتح السين، أي: نوره. (**وإنما ابتدئ**) ﷺ، بالبناء للمفعول (**بالرؤيا**) الصالحة في النوم (**تمرينا**) أي: تدريبا وتعويدا[2] (**للقوة البشرية**) وتسكينا لقلبه ﷺ (**لئلا يفجأه**) بفتح الياء والجيم (**المَلَك**) ولئلا يأتيه (**بصريح النبوة**) بغتة (**فلا تقواه**) أي: فلا تحمله (**قواه**) البشرية، فبدئ بأوائل خصال النبوة.

---

(١) قوله: (**أشعتها**) و«أشعّة» جمع «شُعاع».

(٢) قوله: (**تمرينا، أي: تدريبا وتعويدا**)، وفي مطبعة طه فوترا القديمة: (**تمرينا، أي: تليينا**).

وَحُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ فَكَانَ يَتَعَبَّدُ بِحِرَاءِ اللَّيَالِيَ الْعَدَدِيَّةَ * إِلٰى أَنْ أَتَاهُ فِيْهِ صَرِيْحُ الْحَقِّ فِيْهِ وَوَافَاهُ * وَذٰلِكَ فِيْ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ لِسَبْعَ عَشَرَةَ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ اللَّيْلَةِ الْقَدْرِيَّةِ * ....

(وحبب إليه) ﷺ (الخلاء) بالمد، مصدر بمعنى الخلوة، أي: الاختلاء، وهو بالرفع نائب عن الفاعل، وعبر بـ«حبب» المبني لما لم يسم فاعله لعدم تحقق الباعث على ذلك، وإن كان كل من عند اللّه أو تنبيها على أنه لم يكن من باعث البشر، وإنما حبب إليه الخلوة لأن معها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق ليجد الوحي منه متمكنا (فكان) ﷺ (يتعبد) بالذكر والفكر وسرور الحضور مع اللّه والغيبة عما سواه (بحراء) أي: في غار حراء بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء وبالمد، وحكي فتحها والقصر، وهو مصروف إن أريد المكان، وممنوع إن أريد البقعة، فهي أربعة: التذكير والتأنيث والمد والقصر، وكذا حكم «قباء»، وقد نظم بعضهم أحكامها في بيت من الطويل فقال:

حِـرَا وَقُـبَـا ذَكِّـرْ وَأَنِّـثْـهُـمَا مَعًا ۞ وَمُدَّ أَوِ اقْصِرْ وَاصْرِفَنْ وَامْنَعِ الصَّرْفَا

وحراء: جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال على يسار الذاهب إلى منى، والغار: ثقب فيه. (الليالي) مع أيامهن، واقتصر عليهن للتغليب، لأنهن أنسب للخلوة، و«الليالي» منصوب على الظرفية متعلق بقوله: «يتعبد»، (العددية) وهو شهر، وهذا الوصف لإرادة التقليل أو للكثرة للاحتياج إلى العدد، وهو المناسب للمقام (إلى أن أتاه) ﷺ (صريح الحق) أي: الأمر المحقق، وهو الوحي، وهو ﷺ مضطجع (فيه) أي: غار حراء (ووافاه) أي: جاءه بواسطة جبريل (وذلك) أي: إتيان صريح الأمر المحقق (في يوم الاثنين لسبع عشرة) أي: ليلة (خلت) أي: مضت (من شهر الليلة القدْرية) بسكون الدال، وهو رمضان الذي تكون فيه ليلة القدر غالبا.

وَثَمَّ أَقْوَالٌ: لِسَبْعٍ أَوْ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِيْنَ مِنْهُ أَوْ لِثَمَانٍ خَلَتْ[1] مِنْ شَهْرِ مَوْلِدِهِ الَّذِيْ بَدَا فِيْهِ بَدْرُ مُحَيَّاهُ * فَقَالَ لَهُ: اِقْرَأْ، فَأَبَى فَغَطَّهُ غَطَّةً قَوِيَّةً * ثُمَّ قَالَ لَهُ: اِقْرَأْ، فَأَبَى فَغَطَّهُ غَطَّةً ثَانِيَةً حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الْجَهْدَ وَغَطَّاهُ * ....

(وثم) بفتح المثلثة، أي: هناك (أقوال لسبع) وعشرين (أو لأربع وعشرين منه) أي: رمضان (أو) كما قال ابن عبد البر: يوم الاثنين (لثمان من) ربيع الأول (شهر مولده) ﷺ (الذي بدا فيه بدر محياه) أي: نور وجهه المشبه بالقمر ليلة تمامه، سنة إحدى وأربعين من عام الفيل. ﴿واعلم﴾ أن أفضل الشهور: رمضان، ثم المحرم، ثم رجب، ثم ذو الحجة، ثم ذو القعدة، ثم شعبان، وباقي الأشهر على حد سواء، وأن ليلة ولادته ﷺ: أفضل الليالي، ثم ليلة القدر، ثم ليلة الإسراء، ثم ليلة عرفة، ثم ليلة الجمعة، ثم ليلة النصف من شعبان، ثم ليلة العيد، وأما أفضل الأيام: فيوم عرفة، ثم يوم النصف من شعبان، ثم يوم الجمعة، وعلى كل حال فالليل أفضل من النهار، فتكون الليالي المرتبة في الفضل سبعا، والأيام ثلاثة، وأما بقية الأيام والليالي فهي على حد سواء.

(فقال) أي: جبريل (له) أي: النبي ﷺ (اقرأ) أي: تـهيأ للقراءة (فأبى) أي: قال: ما أقرأ؟ أي: أيّ شيء أقرأ؟ فـ«ما» استفهامية، أو «ما» نافية بدلالة دخول الباء في خبرها، في رواية البخاري: «ما أنا بقارئ» كذا في شرح الشفاء (فغطه غطة قوية) أي: ضمه ضما شديدا (ثم) أرسله و(قال له: اقرأ، فأبى) أي: قال: كيف أقرأ؟ كما في رواية أبي الأسود عن عروة (فغطه غطة) أي: عصره عصرة (ثانية حتى بلغ منه) ﷺ (الجهد) بفتح الجيم ونصب الدال، أي: بلغ الغط منه غاية وسعه، ويروى «الجهد» بضم الجيم ورفع الدال على أنه فاعل، أي: بلغ منه ﷺ الجهد، أي: الطاقة مبلغه (وغطاه) بمعنى غته، بِالغين وبالمثناة الفوقية كما هو

---

(١) قوله: (خلت) ساقط في شرح الشيخ محمد نووي، وثابت في تلحين الصنجج والقول المنجي.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: اِقْرَأْ، فَأَبٰى فَغَطَّهُ غَطَّةً ثَالِثَةً لِيَتَوَجَّهَ إِلٰى مَا سَيُلْقٰى إِلَيْهِ بِجَمْعِيَّة * وَيُقَابِلَهُ بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ وَيَتَلَقَّاهُ * ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ ثَلَاثَ سِنِيْنَ أَوْ ثَلَاثِيْنَ شَهْرًا؛ لِيَشْتَاقَ إِلَى انْتِشَاقِ هَاتِيْكَ النَّفَحَاتِ الشَّذِيَّةِ * ....

رواية الطبري، أي: حبس نفسه ﷺ (**ثم**) أطلقه و(**قال له: اقرأ، فأبى**) أي: قال: ماذا أقرأ؟ كما في رواية عبيد بن عمير (**فغطه**) أي: أخذه وغته، أي: حبسه (**غطة ثالثة ليتوجه**) ﷺ (**إلى ما سيلقى إليه بجمعية**) أي: بكليته من قلب وبدن وسمع وبصر (**ويقابلَه**) بالنصب معطوف على قوله «ليتوجه»، أي: ليواجه ما يلقى إليه، (**بجد**) بكسر الجيم، أي: تشمير (**واجتهاد**) أي: بغاية قوة (**ويتلقاه**) أي: يفهمه، وهو معطوف على قوله: «ليتوجه» أيضا، وحكمة هذا الغط له دفع اشتغاله عن الالتفات إلى شيء من أمر الدنيا ليتفرغ لما أتاه به، وفعل ذلك ثلاثا دليل على استحباب التكرار ثلاثا، وقد استدل به بعضهم على جواز تأديب المعلم ثلاثا كذا في شرح الشفا، وقال القسطلاني في شرح البخاري: وهذا الغط ليفرغه عن النظر إلى أمور الدنيا ويقبل بكليته على ما يلقى إليه، وكرره للمبالغة، واستدل به على أن المؤدب لا يضرب صبيا أكثر من ثلاث ضربات، وقيل: الغطة الأولى: ليتخلي عن الدنيا، والثانية ليتفرغ لما يوحى إليه، والثالثة: للمؤانسة. اهـ ثم أطلقه ﷺ فقال جبريل بعد الثالثة: ﴿اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِيْ خَلَقَ﴾ حتى بلغ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

(**ثم فتر الوحي**) أي: تأخر نزوله وانقطع (**ثلاث سنين**) كما جزم به ابن إسحاق، أو سنتين ونصفا كما ذكره الدلجي، وهو المعنى بقوله: (**أو ثلاثين شهرا**) ليذهب عنه ما وجده من الروع و(**ليشتاق**) أي: لتقوى رغبته (**إلى انتشاق**) أي: شم (**هاتيك النفحات**) أي: الروائح (**الشذية**) أي: المنسوبة إلى الشذى، وهو كسر العود الذي يبخر به، والمراد هنا عود سيدنا جبريل بالوحي من حضرة اللّٰه تعالى.

ثُمَّ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَثِّر﴾ فَجَاءَهُ جِبْرِيْلُ بِهَا وَنَادَاهُ * فَكَانَ لِنُبُوَّتِهِ فِيْ تَقَدُّمِ ﴿اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ شَاهِدٌ عَلٰى أَنَّ لَهَا السَّابِقِيَّةَ * وَالتَّقَدُّمَ عَلٰى رِسَالَتِهِ بِالْبِشَارَةِ وَالنِّذَارَةِ لِمَنْ دَعَاهُ *

(**ثم أنزلت عليه**) ﷺ (﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾) قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ إلى ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، فهي أول ما نزل عليه بعد فترة الوحي. (**فجاءه**) ﷺ (**جبريل بها**) أي: بهذه الآيات الخمس (**وناداه**) بـ«يا أيها المدثر» إيناسا له وتلطفا. وإنما سمي مدثرا لوجوه: أحدها: قوله ﷺ: «دثروني»، وثانيها: أنه ﷺ كان نائما متدثرا بثيابه ليستدفئ بها فجاءه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأيقظه ﷺ، وقال: «يا أيها المدثر»، والمعنى: يا أيها المدثر بثيابه. وعن عكرمة: أي: المدثر بالنبوة وأعبائها[1].

(**فكان لنبوته**) ﷺ (**في تقدم**) أي: بسبب نزول سورة (**اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**) إلى ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (**شاهد**) وهو اسم «كان» مؤخر، وقوله: «لنبوته» خبرها مقدم، وقوله: «في تقدم» علة لقوله «شاهد»، فـ«في» للسببية (**على أن لها**) أي: لنبوته (**السابقية، والتقدمَ**) بالنصب معطوف على اسم «أن» مؤخر، وهو عطف مرادف (**على رسالته بالبشارة**) بكسر الباء والضم لغة، كذا في المصباح، أي: الخبر السارّ[2] (**والنذارة**) بكسر النون كما في القاموس عن الإمام الشافعي، أي: الخبر الضار (**لمن دعاه**)، فكان في «اقرأ» نبوته ﷺ، وفي «المدثر» رسالته، وإنما اقتصر تعالى على الإنذار في قوله تعالى «فأنذر» مع أنه بعث مبشرا أيضا لأن ذلك كان في أول الأمر، فمتعلق الإنذار محقق، فلما أطاع من أطاع أنزل اللّٰه تعالى:

---

(١) قوله: (**وأعبائها**) و«أعباء» جمع «عبء»، أي: المثل والنظير.

(٢) قوله: (**الخبر السارّ**) بتشديد الراء، اسم فاعل من «سارَّ» أي: خبر مفرح.

عَـطِّـرِ اللّٰـهُـمَّ قَبْرَهُ الْكَـرِيْـمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمٍ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيْرًا﴾ [الفتح: ٨]، فهو ﷺ مبشر للطائعين بالجنة والثواب والمغفرة والشفاعة، وللمؤمنين برضا رب العالمين، وللخائفين بالأمن يوم الدين، وللمشتاقين بالنظر إلى وجه الملك الحق، ومنذر للعاصين بالعقاب والنار.

(عَطِّرِ اللّٰهُمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْم)

* * *

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ

وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الرِّجَالِ: أَبُوْ بَكْرٍ صَاحِبُ الْغَارِ وَالصِّدِّيْقِيَّةِ * وَمِنَ الصِّبْيَانِ: عَلِيٌّ، وَمِنَ النِّسَاءِ: خَدِيْجَةُ الَّتِيْ ثَبَّتَ اللهُ تَعَالَى بِهَا قَلْبَهُ وَوَقَاهُ * ....

(اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ)

(وأول من آمن به) ﷺ بعد النبوة (من الرجال) البالغين الأحرار صديق الأمة (أبو بكر) واسمه عبد اللّه بن عثمان أبي قحافة على المشهور (صاحب الغار) أي: رفيق رسول اللّه ﷺ في غار جبل ثور، ويقال له: ثور أطحل، وزان «جعفر» واسم الجبل أطحل نسب إليه ثور بن عبد مناة لأنه نزله (والصديقية) فإنه أو من صدق رسول اللّه من غير توقف في قصة الإسراء والمعراج، وقيل: أول من أسلم من الرجال ورقة بن نوفل. (ومن الصبيان) بكسر الصاد وضمها، أي: الأحداث (عليّ) ابن أبي طالب، وله حين أسلم عشر سنين، أو ثمان سنين، وهو الراجح، وصح إسلامه لأن الأحكام إذ ذاك كانت منوطة بالتمييز. (ومن النساء) صديقة النساء (خديجة التي ثبّت اللّه) أي: قوى (بها) أي: خديجة (قلبه) ﷺ (ووقاه) أي: حفظه، بل هي أول من أسلم مطلقا، لم يتقدمها رجل ولا امرأة، وذلك أن رسول اللّه قال لخديجة: واللّه لقد خشيت على نفسي الموت من شدة الرعب، وأخبرها خبر غط جبريل عليه، فقال له خديجة: كلا واللّهِ ما يخزيك اللّه[1] أبدا إنك لتصل الرحم،

---

(١) قوله: (**ما يخزيك اللّه**) أي: ما يفضحك اللّه ولا يهينك بل يثبتك حتى لا ينسب إليك الكذب فيما قلته ولا يسلط عليك شيطان يتخبطه الذي حذرته، وفي رواية: (ما يحزنك) بفتح أوله وبالحاء المهملة الساكنة والزاي المضمومة أو بضم أوله مع كسر الزاي وبالنون، من «الحزن» يقال: «حزنه وأحزنه»، =

وَمِنَ الْمَوَالِي: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، ....

وتحمل الكَلَّ[١]، أي: الثقل، وتكسب المعدوم، أي: تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق[٢].

(ومن الموالي) أي: العتقاء (زيد بن حارثة) بن شرحبيل بن كعب الكلبي، وكان هو عبدا له ﷺ، أعتقه وتبناه لكونه جائزا إذ ذاك، ولم يذكر اللّه تعالى أحدا من الصحابة باسمه إلا هو وكفى به فخارا له[٣].

= ومعنى «يحزنك» أي: ما يوقع بك ما تخافه من ذلك. وهذا من خديجة تأنيس له ﷺ إن كان هذا أول ما رأى من المقدمات والتباشير وقبل تحقيقه الرسالة ولقاء الملك أو يكون قوله لما خشي من ضعف جسمه عن حمل ذلك. اهـ الهرري.

(١) قوله: (**الكل**) بفتح الكاف وتشديد اللام.

(٢) قوله: (**نوائب الحق**) أي: حوادثه، جمع «نائبة» وهي الحادثة فيدخل فيه النوائب التي تتعرض للأغنياء من أداء دين أو دية أو قيام بوليمة، والمقصود أن جوده ﷺ وصل للفقير والغني وعم كل الناس، وقيدت النوائب بالحق لأنـها قد تكون في الحق والباطل كأداء دين من استدان لشرب الخمر أو الزنا إذا لم يتب، قال لبيد:

نوائبُ من خير وشر كلاهما ۞ فلا الخيرُ ممدودٌ ولا الشرُّ لازِب

ولذلك أضافتها إلى الحق، وفيه إشارة إلى فضل خديجة وجزالة رأيها، وهذه الخصلة جامعة لأفراد ما سبق وغيره، وإنما أجابته بكلام فيه قسم وتأكيد بـ«إن» واللام لتزيل حيرته ودهشته، واستدلت على ما أقسمت عليه بأمر استقرائي جامع لأصول مكارم الأخلاق، وفيه دليل على أن من طبع على أفعال الخير لا يصيبه ضير، قال الأبي: والمعنى كلا لا يصيبك اللّه بمكروه لما جمع فيك من خصال الحمد، وفيه أن مكارم الأخلاق تقي مصارع السوء، وفيه تأنيس من وقع في مخافة، وفيه نبل خديجة وكمال عقلها. اهـ. وفيه مدح الإنسان في وجهه للحاجة إليه في بعض الأحوال. اهـ الهرري.

(٣) قوله: (**ولم يذكر اللّه تعالى أحدا من الصحابة باسمه إلا هو وكفى به فخارا له**) وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضٰى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُوْنَ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ حَرَجٌ فِيْ اَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُوْلًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وَمِنَ الْأَرِقَّاءِ بِلَالٌ اَلَّذِيْ عَذَّبَهُ فِي اللهِ أُمَيَّةُ * وَأَوْلَاهُ مَوْلَاهُ أَبُوْ بَكْرٍ مِنَ الْعِتْقِ مَا أَوْلَاهُ * ثُمَّ أَسْلَمَ عُثْمَانُ وَسَعْدٌ وَسَعِيْدٌ وَطَلْحَةُ وَابْنُ عَوْفٍ وَابْنُ العَمَّةِ صَفِيَّةَ * وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ أَنْهَلَهُ الصِّدِّيْقُ رَحِيْقَ التَّصْدِيْقِ وَسَقَاهُ * ....

(ومن الأرقاء) أي: العبيد (بلال) المؤذن ابن رباح الحبشي، وهو بكسر الباء (الذي عذبه في اللّه) أي: بسبب إيمانه باللّه، رأس الكفر عدوّ اللّه (أمية) بن خلف، وقد قدّ قلبه ببدر (وأولاه) أي: أنعم عليه (مولاه) أي: سيده باشترائه بخمس أواق ذهبا (أبو بكرر من العتق)، بيان لـ«ما أولاه» (ما أولاه) أي: ما أنعم عليه من النعم العظيمة، وكان أبو بكر الصديق إذا مر بأحد من العبيد يعذب اشتراه وأعتقه، وكلهم سبعة، منهم بلال وعامر بن فهيرة والزنيرة وكانت ممن عذب في اللّه فذهب بصرها، و«الزنيرة» بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة، وكان بلال حين أسلم أخذه الكفار وجعلوا في عنقه حبلا ودفعوه إلى الصبيان يلعبون به حتى أثر الحبل في عنقه، وجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد، فمزج مرارة العذاب بحلاوة الإيمان.

(ثم) بعد زيد بن حارثة (أسلم عثمان) بن عفان أمير المؤمنين (وسعد) بن أبي وقاص مالك الزهري (وسعيد) بن زيد عمرو بن نفيل (وطلحة) بن عبيد اللّه بالتصغير (و) عبد الرحمن (ابن عوف) القرشي الزهري (و) الزبير بن العوام (ابن العمة) أي: عمة النبي ﷺ السيدة (صفية) بنت عبد المطلب (وغيرهم ممن أنهله) أي: سقاه (الصديق) أبو بكر (رحيق التصديق) وهو من إضافة المشبه به للمشبه، أي: ممن سقاه أبو بكر التصديق للّه تعالى ولرسوله المشبه بصفوة الخمر في الرغبة في كل، (وسقاه) وهو من عطف التفسير، فقد أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد اللّه بن الجراح، وأبو سلمة عبد اللّه بن عبد الأسد بعد تسعة أنفس، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وعثمان بن مظعون الجمحي، وأخواه:

وَمَا زَالَتْ عِبَادَتُهُ وَأَصْحَابِهِ مَخْفِيَّةً * حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فَجَهَرَ بِدُعَاءِ الْخَلْقِ إِلَى اللّٰهِ * وَلَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ قَوْمُهُ حَتَّى عَابَ آلِهَتَهُمْ وَأَمَرَ بِرَفْضِ مَا سِوَى الْوَحْدَانِيَّةِ * فَتَجَرَّؤُوْا عَلَى مُبَارَزَتِهِ بِالْعَدَاوَةِ وَأَذَاهُ * وَاشْتَدَّ عَلَى الْمُسْلِمِيْنَ الْبَلَاءُ، فَهَاجَرُوْا فِيْ سَنَةِ خَـمْسٍ إِلَى النَّاحِيَةِ ....

قدامة وعبد اللّه، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وامرأته فاطمة بنت الخطاب(١)، فأقام ﷺ بعد ذلك ثلاث سنين يدعو إلى اللّه بالتوحيد مستخفيا. (**وما زالت عبادته**) ﷺ (**و**) عبادة (**أصحابه مخفية**) عن كفار قريش في دار الأرقم (**حتى نزل عليه**) الأمر بالإعلان، وأنزل عليه ﷺ قوله تعالى (**﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾**) [الحجر: ٩٤]، فـ«ما» مصدرية أو موصولة، وعائدها محذوف، أي: اجهر بأمرك، أو بالذي تؤمر به من الشرائع، أو افرق به بين الحق والباطل، وتتمة الآية: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِيْنَ﴾، أي: ولا تبال بإنكار من أنكر وإشراك من كفر، (**فجهر**) أي: أعلن ﷺ (**بدعاء الخلق إلى**) عبادة (**اللّه**) وحده (**ولم يبعد منه**) ﷺ (**قومه**) أي: لم ينفروا منه ولم يردوا عليه ما قال (**حتى عاب آلهتهم**) ونهى عن عبادتها (**وأمر برفض**) أي: بترك (**ما سوى**) اعتقاد (**الوحدانية**) أي: كون اللّه واحدا في ذاته وصفاته وأفعاله، وكان يقول لهم: «اعبدوا اللّه وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم»، وكان ذلك في سنة أربع من النبوة، (**فتجرؤوا**) أي: أسرعوا (**على مبارزته**) أي: مجاهرته ﷺ (**بالعداوة**) عليه (**وأذاه**) أي: إيصالهم المكروه إليه، (**واشتدّ على المسلمين البلاء**) أي: الأذى من كفار قريش والفتنة في الدين حتى أذن لهم في الهجرة (**فهاجروا في سنة خمس**) من النبوة (**إلى الناحية**) أي:

---

(١) قوله: (**وامرأته فاطمة بنت الخطاب**) أي: زوجة سعيد بن زيد. وهي أخت عمر بن الخطاب.

النَّجَاشِيَّةِ * وَحَدِبَ عَلَيْهِ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَهَابَهُ كُلٌّ مِنَ الْقَوْمِ وَتَحَامَاهُ * ....

الجهة (**النجاشية**) بفتح النون وكسرها، نسبة إلى النجاشي ملك الحبشة، واسمه أصحمة، وقد أسلم في زمن النبي ﷺ ولم يجتمع به، فهو تابعي، وأسلم على يده عمرو بن العاص، وهي قصة لطيفة، صحابي أسلم على يد تابعي ولا يعلم مثله. (**وحدب**) أي: تعطف (**عليه**) ﷺ وتعلق به (**عمه أبو طالب، فهابه**) أي: خافه (**كل من القوم**) أي: كفار قريش (**وتحاماه**) أي: احتفل له ﷺ عمه أبو طالب وبنو هاشم غير أبي لهب وبنو المطلب وتوقوه، واجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون بالنبي ﷺ سُوءا، فقال أبو طالب: حتى تروح الإبل[١] فإن حنت ناقة إلى غير فَصِيلها[٢] دفعته إليكم، وقال من بحر الكامل:

وَاللّٰهِ لَنْ يَصِلُوْا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ ۞ حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ ۞ وَابْشِرْ بِذَاكَ وَقِرَّ بِذَاكَ مِنْكَ عُيُونَا
وَدَعَوْتَنِي وَزَعَمْتُ أَنَّكَ نَاصِحِي ۞ وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ ثَمَّ أَمِينَا
وَعَرَضْتَ دِينًا لَا مَحَالَةَ أَنَّهُ ۞ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارِي سُبَّةً ۞ لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينًا

وقال أبو طالب لما تمالأت قريش على النبي ﷺ:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَا وُدَّ عِنْدَهُمْ ۞ وَقَدْ قَطَعُوْا كُلَّ العُرَى وَالوَسَائِلِ[٣]

---

(١) قوله: (**حتى تروح الإبل**) أي: حين ترجع من مراعيها.

(٢) وقوله: (**فصيلها**) وفي معجم المعاني: الفصيل: وَلَدُ الناقة بعد فطامه وفصله عن أُمه.

(٣) قوله: (**رأيت**) أي: علمت، وقوله: (**القوم**) أي: كفار قريش، وقوله: (**العرى**) جمع «عروة» قال الشامي: أراد بها العهود، وقوله: (**الوسائل**) جمع «وسيلة» وهي القربة، يقال: وسل إلى ربه وسيلة، إذا تقرب بعمل إليه، والوسيلة: المنزلة عند الملك.

....

وَقَدْ جَاهَرُونا بالعَدَاوةِ والأَذَى ۞ وَقَد طَاوَعُوا أَمْرَ العَدُوِّ المُزَايِلِ(١)

أَعَبْدَ مَنَافٍ أَنْتُمُ خَيرُ قَوْمِكُمْ ۞ فَلَا تُشْرِكُوْا فِي أَمْرِكُمْ كُلَّ وَاغِلِ(٢)

فَقَدْ خِفْتُ إِنْ لَمْ يَصْلُحِ اللّٰهُ أَمْرَكُمْ ۞ تَكُوْنُوْا كَمَا كَانَتْ أَحَادِيْثُ وَائِلِ

أَعُوذُ بِرَبِّ النّاسِ مِن كُلِّ طَاعِنٍ ۞ عَلينَا بِسُوءٍ أَوْ مُلِحٍّ بِبَاطِلِ(٣)

وثورٍ وَمَنْ أَرْسٰى ثَبِيْرًا مَكَانَهُ ۞ وراقٍ لِبرٍّ فِي حِرَاءٍ ونَازِلِ(٤)

وبالبيت حق الْبَيْت في بطن مَكَّة ۞ وَتَاللّٰهِ إِن اللّٰه لَيْسَ بِغَافِلِ(٥)

كَذَبْتُم وَبَيْتِ اللّٰهِ نُبْزَى مُحَمَّدًا ۞ وَلَمَّا نُطَاعِنْ دونه وَنُنَاضِلِ(٦)

---

(١) قوله: (**المزايل**) اسم فَاعِل من «زايله مزايلة وزيلًا» أي: فَارقه وباينه، وإنما يكون العَدو مفارقا إذا صرح بالعداوة فلا تمكن العشرة.

(٢) قوله: (**أعبد مناف**) الهمزة للنداء بتقدير مضاف، أي: يا آل عبد مناف. وقوله: (**كل واغل**) هو الضعيف النذل الساقط المقصر في الأشياء والمدعي نسبا كاذبا والداخل على القوم في طعامهم وشرابهم.

(٣) قوله: (**ملح**) أي: متماد، اسم فاعل من «ألحّ»، يقال: «ألحّ على الشيء» إذا واظب عليه.

(٤) قوله: (**ثور**) معطوف على «رب النَّاس»، و«**ثور**» و«**ثبير**» و«**حراء**»: جبال بِمَكَّة، وقوله: (**أرسى**) أي: أثبت، قوله: (**راقٍ**) أي: صاعد، وقوله: (**بِرّ**) ضد الإثم.

(٥) قوله: (**وبالبيت**) أي: الكعبة.

(٦) قوله: (**وبيت اللّٰه**) الواو للقسم، وقوله: (**نبزى**) بالبناء للمفعول، أي: نقهر ونغلب، وهو جواب القسم على تقدير «لَا» النافية، فإنّها يجوز حذفها في جواب القسم كقوله تعالى: ﴿تَاللّٰهِ تَفْتَؤُ﴾ [يوسف: ٨٥]، أَي: لَا تفتؤ. وقوله: (**محمدا**) منصوب بنزع الباء. وقوله: (**لمّا**) نافية جازمة، والجملة المنفية حال من نائب فاعل «نبزى». وقوله: (**نطاعن دونه وننضال**) والطعن: يكون بِالرُّمْحِ، والنضال: يكون بِالسَّهْمِ.

وَفُرِضَ عَلَيْهِ قِيَامُ بَعْضٍ مِنَ السَّاعَاتِ اللَّيْلِيَّةِ * ثُمَّ نُسِخَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَاقْرَؤُوْا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ وَأَقِيْمُوا الصَّلَاةَ﴾ * وَفُرِضَ عَلَيْهِ رَكْعَتَانِ بِالْغَدَاةِ وَرَكْعَتَانِ بِالْعَشِيَّةِ * ....

ونُسْلِمُهُ حَتى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ ۞ وَنُذْهَلَ عن أَبْنَائِنَا والحَلائِلِ(١)

ومعنى «نناضل»: نجادل ونخاصم وندافع، ومعنى «نبزى» بضم النون وسكون الموحدة، آخره زاي: نقهر ونغلب عليه.

(**وفُرِضَ عليه**) ﷺ وعلى أمته (**قيام بعض من الساعات الليلية**) وهو ما ذكره اللّه تعالى في أول المزمل بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيْلًا﴾ [المزمل: ١-٢] أي: من كل ليلة نصفه، أو انقص منه، أي: من النصف قليلا، أو زد عليه، أي: على النصف إلى الثلثين، و«أو» للتخيير، فكان ﷺ مخبرا بين هذه المقادير الثلاثة، وكان ﷺ يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب، وكذا بعض أصحابه، واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم. (**ثم نسخ**) أي: ذلك (**بقوله**) تعالى في آخر المزمل: (**فَاقْرَؤُوْا**) أي: في الصلاة (**مَا تَيَسَّرَ**) أي: سهل (**مِنْهُ**) أي: من القرآن (**وَأَقِيْمُوا الصَّلَاةَ**) قال الشافعي: إن قيام الليل نسخ بالكلية فلا تجب صلاة الليل أصلا، وإذا ثبت أن القيام ليس فرضا فقوله تعالى: ﴿فَاقْرَؤُوْا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠]، معناه: اقرؤوا إن تيسر عليكم ذلك وصلوا إن شئتم، قال الشربيني في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقِيْمُوا الصَّلَاةَ﴾، أي: المكتوبة وهي خمس، وإذا كان كذلك فلا صلاة يعد قيام الليل إلا المكتوبة، خلافا لما قال المصنف: (**وفرض عليه**) ﷺ (**ركعتان بالغداة وركعتان بالعشية**) قال مقاتل: وهذا أول المفروض من

---

(١) قوله: (**نسلمه**) بالرفع معطوف على «نبزى»، أي: لَا نسلمه. وقوله: (**نصرع**) بالبناء للمفعول، وقوله: (**نذهل**) بالبناء للمفعول، أي: نغفل. وقوله: (**الحلائل**) جمع «حَلِيلَة» وهي الزوجة.

ثُمَّ نُسِخَ بِإِيْجَابِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِيْ لَيْلَةِ مَسْرَاهُ * وَمَاتَ أَبُوْ طَالِبٍ فِيْ نِصْفِ شَوَّالٍ مِنْ عَاشِرِ الْبِعْثَةِ وَعَظُمَتْ بِمَوْتِهِ الرَّزِيَّةُ * وَتَلَتْهُ خَدِيْجَةُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَشَدَّ الْبَلَاءُ عَلَى الْمُسْلِمِيْنَ وَثِيْقَ عُرَاهُ * وَأَوْقَعَتْ قُرَيْشٌ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ أَذِيَّةٍ * وَأَمَّ الطَّائِفَ يَدْعُوْ ثَقِيْفًا فَلَمْ يُحْسِنُوْا بِالْإِجَابَةِ قِرَاهُ * ....

الصلاة لقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[غافر: ٥٥] (**ثم نسخ**) ذلك (**بإيجاب الصلوات الخمس في ليلة مسراه**) بمكة، وكان فرض قيام الليل والركعتين في الوقتين كفرضية الوضوء عقب الوحي قبل الفترة، خلافا لظاهر كلام المواهب.

(**و**) لما أتت عليه ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما (**مات**) عمه (**أبو طالب**) وله سبع وثمانون سنة (**في نصف شوال**) وقيل: في رمضان (**من عاشر البعثة**) على الصحيح (**وعظمت بموته**) أي: أبي طالب (**الرزية**) أي: المصيبة (**وتلته**) أي: تبعته (**خديجة**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (**بعد ثلاثة أيام**) وقيل: بعد خمسة في رمضان (**وشد البلاء على المسلمين وثيق عراه**) بضم العين جمع «عروة» وهي موضع الإزرار، وكان ﷺ يسمى ذلك العام عام الحزن، وكانت مدة إقامتها معه ﷺ خمسا وعشرين سنة على الصحيح، ثم بعد أيام من موت خديجة تزوج عَلَيْهِ السَّلَامُ سودة بنت زمعة (**وأوقعت قريش به ﷺ كل أذية و**) بعد موت خديجة بثلاثة أشهر (**أمَّ**) أي: قصد (**الطائف**) وكان معه ﷺ زيد بن حارثة، فأقام به شهرا، وقيل: عشرة أيام (**يدعو**) إلى اللّه تعالى (**ثقيفا**) بفتح فكسر، هو أبو قبيلة من هوازن، أي: أشراف ثقيف (**فلم يحسنوا بالإجابة قراه**) بكسر القاف، أي: ضيافته، أي: لما انتهى ﷺ إلى الطائف عمد إلى سادات ثقيف، وكانوا ثلاثة، أحدهم عبد ياليل واسمه كنانة، ومسعود، وحبيب، أولاد عمرو بن عمير الثقفي، فلما جلس إليهم وكلمهم بما جاء به من نصرته على الإسلام والقيام على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم: هو يمرط

وَأَغْرَوْا بِهِ السُّفَهَاءَ وَالْعَبِيْدَ فَسَبُّوهُ بِأَلْسُنٍ بَذِيَّةٍ * وَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى خُضِّبَتْ بِالدِّمَاءِ نَعْلَاهُ * ثُمَّ عَادَ إِلَى مَكَّةَ حَزِيْنًا فَسَأَلَهُ مَلَكُ الْجِبَالِ فِيْ إِهْلَاكِ أَهْلِهَا ذَوِي الْعَصْبِيَّةِ * .....

ثياب الكعبة إن كان اللّه أرسلك، وقال الثاني: أما وجد اللّه أحدا يرسله غيرك، وقال الثالث: واللّه لا أكلمك أبدا لئن كنت رسول اللّه لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام وإن كنت تكذب على اللّه ما ينبغي لي أن أكلمك، فقام ﷺ من عندهم، وقد أيس من خير ثقيف، وقد أسلم مسعود وحبيب بعد ذلك وصحبا، (**وأَغْرَوْا**) بفتح الهمزة والراء، أي: سلطوا (**به السفهاء والعبيد فسبوه**) وصاحوا به (**بألسن بذية**) بفتح الموحدة وكسر الذال وشد التحتية، أي: فاحشة (**ورموه بالحجارة**) وأصابوا عراقيبه بها (**حتى خضبت بالدماء نعلاه**) وكان إذا أزلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه، فإذا مشى رجموه وهم يضحكون، وزيد بن حارثة يقيه ﷺ بنفسه حتى شج في رأسه شجاجا، ولما انصرف ﷺ عن أهل الطائف مر في طريقه بعتبة وشيبة ابنَي ربيعة، وهما في حائط لهما، فلما رأيا ما لقي ﷺ تحركت له رحمهما فبعثا له مع عداس النصراني غلامهما قطف عنب، فلما وضع ﷺ يده في القطف قال: «بسم اللّه» ثم أكل، فنظر عداس إلى وجهه، ثم قال: واللّه إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، فقال له رسول اللّه ﷺ: من أي البلاد أنت، ما دينك؟ قال: نصراني من نينوى، فقال ﷺ: من قرية الرجل الصالح يونس بن متّى، فقال: وما يدريك؟ قال: ذاك أخي وهي نبي مثلي، فأكب عداس على يديه ورجليه ورأسه يقبلها وأسلم. (**ثم عاد**) ﷺ (**إلى مكة حزينا، فسأله ملك الجبال في إهلاك أهلها**) أي: أهل مكة (**ذوي العصبية**) بسكون الصاد مع فتح العين أو ضمها كما تقدم، أي: أصحاب الاجتماع لقتال النبي، أي: إن ملك الجبال سلم عليه وناداه ثم قال: مرني بما شئت، إن شئت أن أطبق

فَقَالَ: إِنِّيْ أَرْجُوْ أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَتَوَلَّاهُ *

عَـطِّـرِ اللّٰـهُـمَّ قَبْرَهُ الْكَـرِيْـمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمٍ

عليهم الأخشبين، أي: الجبلين الخشبيين، وهما: أبو قبيس وقيقعان، فعلت، (**فقال**) ﷺ: لا أريد استئصالهم بل (**إني أريد أن يخرج اللّه من أصلابهم من يتولاه**) أي: يعبد اللّه وحده لا يشرك به شيئا، فقال له ملك الجبال: أنت كما سماك ربك رؤوف رحيم، ودعا رسول اللّه في طريقه بهذا الدعاء: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين، وأنت رب المستضعفين، إلى من تكلني؟ إلى عدو بعيد يتجهمني؟ أم إلى صديق قريب ملَّكته أمري؟ إن لم تكن غضبانا علي فلا أبالي غير أنّ عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أضاءت له السموات وأشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»، قوله: «يتجهمني» بتقديم الجيم على الهاء، أي: يلقاني بالغلظة والوجه الكريه، ثم دخل ﷺ مكة في جوار المطعم بن عدي.

(**عَـطِّـرِ اللّٰـهُـمَّ قَبْرَهُ الْكَـرِيْـمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمٍ**)

* * *

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ

ثُمَّ أُسْرِيَ بِرُوْحِهِ وَجَسَدِهِ يَقَظَةً إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصٰى وَرِحَابِهِ الْقُدْسِيَّةِ * وَعُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمٰوَاتِ ....

(اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْه)

(**ثم**) بعد المبعث بخمس سنين أو قبل الهجرة بسنة ليلة السابع والعشرين من رجب (**أسري**) بالبناء للمفعول (**بروحه وجسده**) على الصحيح (**يقظة**) بفتح القاف، ولا يجوز تسكينها كذا في شرح الشفاء، وهو ضد المنام، من الحجر (**إلى المسجد الأقصى ورحابه**) أي: ساحات المسجد الأقصى المتسعة أمامه (**القدسية**) بضم القاف والدال وقد تسكن، نسبة إلى «قدس» (**وعرج**) بالبناء للمفعول (**به**) من المسجد الأقصى (**إلى السموات**) بالمعراج، له قائمتان، إحداهما من ياقوتة حمراء، والأخرى من زُمُرُّدَة خضراء، وله عشر درج، واحدة من ذهب، والأخرى من فضة، فأول الدرج درجة في سماء الدنيا، فنزلت حتى عرج عليها النبي وجبريل، والسماء الثانية فيها درجة ثانية لما خلصا من سماء الدنيا تدلت لهما وعرجا عليها مثل الأولى، وهكذا إلى سبع سموات بسبع سلالم، فما خلصا من السابعة تدلت لهما الدرجة الثامنة من شجرة المنتهى، فلما خلصا منها تدلت لهما الدرجة التاسعة من المستوى الذي سمع فيه صريف الأقلام، فلما خلصا منها تدلت لهما الدرجة العاشرة من العرش.

﴿**واعلم**﴾: أن الإسراء والمعراج من أتم معجزاته عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان قبل الهجرة بسنة ونصف، وكان عمره إذ ذاك إحدى وخمسين سنة وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما، والمعتمد

فَرَأَى آدَمَ فِي الْأُولٰى وَقَدْ جَلَّلَهُ الْوَقَارُ وَعَلَاهُ * وَرَأَى فِي الثَّانِيَةِ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَتُوْلِ الْبَرَّةِ النَّقِيَّةِ* وَابْنَ خَالَتِهِ يَحْيَى الَّذِيْ أُوْتِيَ الْحُكْمَ فِيْ حَالِ صِبَاهُ * ....

أنهما وقعا يقظة، والمشهور أنهما وقعا معا في ليلة واحدة، والصحيح أن ذلك بجسده وروحه معا.

(فرأى) ﷺ (آدم في) السماء (الأولى) المسماة بسماء الدنيا، أي: القربى على صورة خلقته من البيان والحسن والنضارة (وقد جلله) بتشديد اللام الأولى، أي: علاه (الوقار) أي: الحلم (وعلاه) وهو مفسر لـ«جلله» كما في الصحاح، وكان طوله ستين ذراعا، وعرضه سبعة أذرع بذراعنا على المعتمد، وعاش ألف سنة، وقيل: تسعمائة وستين سنة.

وحكمة رؤيته لآدم في السماء الأولى أنه أول آبائه، فكان في الأولى، ولأجل تأنيس النبوة بالأبوة في انتقاله إلى العالم العلوي، وافتخر آدم بنبوة نبينا، وفيه أيضا إشارة لحالة ستقع لنبينا نظير ما وقع لآدم، فإنه كان في أمن اللّه وجواره في الجنة فأخرجه عدوه إبليس منها، ونظير ذلك الحالة الأولى من أحوال نبينا، وهي هجرته، فالجامع بينهما ما حصل لكل من المشقة وكراهة فراق ما ألفه من الوطن، ثم كان لكل منهما أن يرجع إلى وطنه.

(ورأى في الثانية عيسى) الذي أوتي البينات كالإخبار بالمغيبات وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وهو ربعة، أي: بين الطول والقصر، كثير خيلان الوجه، أبيض مائلا إلى الحمرة، ضامر البطن (ابن مريم البتول) بفتح الباء، أي: العذراء المنقطعة عن الأزواج كما في الصحاح (البرة) أي: الصادقة (النقية) بالنون، أي: الطاهرة من الفواحش، أو بالتاء، أي: التاركة للمنهيات الفاعلة للمأمورات (وابن خالته) أي: عيسى (يحيى الذي أوتي الحكم) أي: النبوة أو الحكمة أو فهم التوراة (في حال صباه) أي: صغره، وهو ابن ثلاث سنين،

....

وقيل له: «ابن الخالة» لأن عمران جد عيسى لأمه تزوج زوجة أخرى غير حنة ورزق منها بنتا تسمى إشاع بكسر الهمزة والتخفيف، فتزوجها زكريا ورزق منها يحيى، فيحيى وعيسى ابنا خالة من الأب، لأنه إذا كانت أم يحيى إشاع بنت عمران بن ماثان يلزم أن تكون أم عيسى مريم بنت عمران بن ماثان لأنـهما ابنا أختين من الأب.

والصواب: أن إشاع بنت فاقود خالة مريم، وهي أخت حنة بنت فاقود، فيحيى ابن خالة أم عيسى لا ابن خالته، وعيسى ابن بنت خالة يحيى لا ابن خالته.

وقدم عيسى في الذكر لأنه مرسل إلى يحيى، ويحيى أسن منه بستة أشهر، وكانت أم يحيى تقول لمريم: أرى الذي في بطني يسجد للذي في بطنك، أي: سجود تحية، وقد قيل: إن يحيى وهو في بطن أمه كان يكلم عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ويرد عليه السلام.

والحكمة في لقيه ﷺ عيسى ويحيى في السماء الثانية: الإشارة إلى حالة تقع له في ثاني الهجرة، فإن اليهود عادوه وآذوه وهموا بإلقاء صخرة عليه، فأخبره اللّه بذلك ونجاه اللّه منهم، كما وقع لعيسى أن اليهود أرادوا قتله واستخفى في غرفة من دار، وكان معه سبعة عشر رجلا من الحواريين، فلما ضاق ذرعا قال عيسى: من يجعل مكاني فيقتل فله الجنة، فقال رجل: أنا، فألقى اللّه شبه عيسى عليه، فأخذ وقتل وصلب، وقيل: أن رجلا من الحواريين كان منافقا فدل على عيسى وأخذ على ذلك ثلاثين درهما فألقى اللّه شبه عيسى عليه، فرفع اللّه عيسى وهو في النوم على قول المفسرين في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيْكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]. ووقع ليحيى مع اليهود فقد ورد أنـهم أرشوا عليه امرأة فقتلته أو دلت عليه حتى قتلوه، ومن المناسبة أن عيسى كما طلب الانتصار عليهم بقوله:

وَرَأَى فِي الثَّالِثَةِ يُوْسُفَ بِصُوْرَتِهِ الْجَمَالِيَّةِ * ....

﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّوْنَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]، كذلك نبينا طلب الأنصاري للخروج إلى غزوة بدر الوسطى فأجابوه وقالوا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل: اذهب أنت وربك فقاتلا، بل نقول: اذهب ونحن معك.

(**ورأى في الثالثة يوسف بصورته الجمالية**)، فإن قلت: حسن يوسف وجماله قد افتتن به، ألا ترى إلى النسوة حيث افتتن بجماله وقطعن أيديهن ولم يقع ذلك من حسن نبينا وجماله مع أنه أحسن وأجمل من يوسف. قال القرطبي: إن تمام حسنه لم يظهر لنا، إذ لو ظهر لنا لما أطاقت أعيننا النظر إليه، فعدم ظهوره لطف من اللّه بنا، وإلا لم يستطع أحد من الدهشة من حسنه، والافتتان به نقل مسئلة واحدة من شرعه، ولذلك قال سيدي عمر بن الفارض من بحر الخفيف:

بجمال حجبته بجلال ۞ طاب واستعذب العذاب هناكا

ومن هذا ظهر افتتان النسوة بجمال يوسف، فقد كان إذا مر في الطريق يرى نور وجهه على الجدران والحيطان والأبواب كالشمس، ونور نبينا وجماله مستور بجلاله فلم يفتتن به كما وقع ليوسف.

والحكمة في لقيه ﷺ يوسف في السماء الثالثة أن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ وقع له في السنة الثالثة حالة تشبه حالة يوسف، وهي غزوة أحد وأشيع فيها قتله عَلَيْهِ السَّلَامُ، فحصل للمسلمين الحزن والأسف على فقد نبيهم، فلما رآه المسلمون حيا حصل لهم السرور والنصر والظفر، كما وقع ليوسف من حزن يعقوب عليه والأسف وفعل إخوته الذين أخرجوه ثم ظفر بهم وصفح عنهم، وقال: ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ﴾

....

[يوسف: ٩٢]، وكذا نبينا أخرجه قريش من بينهم ونصبوا له الحرب وأرادوا إهلاكه وظفر بهم في غزوة الفتح وصفح عنهم، وقال: أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢].

وحكي أن بنيامين أخا يوسف شقيقه لما قدم مع إخوته إلى مصر وأخذ لما وجد الصاع في رحله ولم يعلم به واتهم بسرقته، وكان في شرع يعقوب أن من سرق استرق، وكان ملك مصر يومئذ يوسف، ورجعت إخوة يوسف إلى أبيهم يعقوب ولم يكن معهم بنيامين، فسألهم عنه، فقالوا: إنه قد أخذ في السرقة، فأرسل نبي اللّه يعقوب كتابا إلى عزيز مصر، وكان يومئذ ولده، وصورته:

بسم اللّه الرحمن الرحيم، من عبد اللّه يعقوب إسرائيل اللّه ابن إسحاق ذبيح اللّه ابن إبراهيم خليل اللّه إلى عزيز مصر، أما بعد: فإنا لا نسرق ولا نلد سارقا، وأنا أهل بيت موكل بنا البلاء، أما أبي إسحاق فقد ابتلي بالذبح ففداه اللّه بذبح عظيم من الجنة، وأما جدي إبراهيم فقد ابتلي بالنار فجعلها اللّه عليه بردا وسلاما ونجاه اللّه، وما أنا فقد كان لي ابن، وكان أحب أولادي فذهب مع إخوته فرجعوا بدونه، وقالوا: قد أكله الذئب، وكان له أخ شقيق أتسلى به وقد أخذته، فإن لم تطلقه دعوت عليك دعوة تلحق السابع من ولدك، والسلام.

فلما وصل الكتاب ليوسف بكى بكاء شديدا، وروي أنه أرسل الكتاب إلى أبيه، وصورته: إن آباك صبروا فظفروا فاصبِر كما صبروا تظفر كما ظفروا. وأرسل البشير ومعه القميص يبشره بحياة يوسف وبراءة ولده بنيامين.

وَفِي الرَّابِعَةِ إِدْرِيْسَ الَّذِي رَفَعَ اللهُ مَكَانَهُ وَأَعْلَاهُ * ....

(وفي الرابعة إدريس) وهو سبط شيث، وجد والد نوح، وهو لقب، واسمه أخنوخ، وهو أول من اتخذ السلاح وقاتل به، وأول من لبس المخيط، وأول من خاط، لأنهم قبل ذلك كانوا يلبسون الجلود، وأول من كتب بالقلم وانتشر منه بعده في أهل الدنيا، وكتب إلى الملوك يدعوهم إلى توحيد اللّه عَزَّوَجَلَّ، وهو الحكيم المثلث جمع بين الحكمة والنبوة والملك، (الذي رفع اللّه مكانه وأعلاه) إلى السماء، وقيل: إلى الجنة، فقد رفعه اللّه على يد المَلَك الموكل بحمل الشمس، وكان صديقا له، لأنه سأله أن يدعو له أن يخفف اللّه عنه ثقلها، فدعا له إدريس فأجيب، فرفعه إلى تلك السماء، ورفع إليها حيا، فلم يقع لغيره إلا لنبينا، فهو أعلى من مكان عيسى وصديق إدريس غير الملائكة التسعة الموكلين بالشمس، ففي الحديث: «وكّل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم لولا ذلك ما أنت على شيء إلا أحرَقَتْهُ».

وذكر العلماء: أن أربعة من الأنبياء أحياء إلى الآن، اثنان في السماء وهما إدريس وعيسى، واثنان في الأرض وهما الخضر وإلياس.

وسبب رفع إدريس على ما قاله كعب الأحبار أنه سافر ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس، فقال: يا رب إني مشيت يوما فأصابني وهج الشمس، فكيف من يحملها مسير خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها، فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرفه، فقال: يا رب خففت عني حر الشمس، فما الذي قضيت فيه؟ قال: إن عبدي إدريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته، فقال: يا رب اجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة، فأذن له حتى أتى إدريس.

....

وروى وهب بن منبه أنه كان السبب في رفعه أنه كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادات بقدر ما يرفع لأهل الأرض فاستأذن ملك الموت ربه في زيارته، فأذن له فأتاه في صورة آدمي، وكان إدريس يصوم النهار، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه، ففعل ذلك معه ثلاث ليال فأنكره إدريس، وقال له: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك فأذن لي، فقال له: لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: أن تقبض روحي، فقال له ملك الموت: ما فائدة ذلك؟ قال: لأذوق كرب الموت فأكون له أشد استعدادا، فأوحى اللّه إليه أن أقبض روحه فقبضها ثم ردها إليه بعد ساعة، ثم قال له إدريس بعد حين: إن لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: أن ترفعني إلى السماء فأنظر إلى الجنة والنار، فاذن اللّه له في رفعه إلى السماء، فرأى النار فصعق فلما أفاق قال: أرني الجنة، فأدخله إياها، ثم قال له ملك الموت: اخرج لتعود إلى مقرك، فتعلق بشجرة، وقال: لا أخرج منها، فبعث اللّه إليه ملكا عظيما حكما بينهما، فقال: ما لك لا تخرج؟ قال: لأن اللّه قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقد متّ، وقال: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] وقد وردتها، وقال: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِيْنِ﴾ [الحجر: ٤٨] فلست أخرج، فقال اللّه عند ذلك لملك الموت: خصمك عبدي إدريس احتج عليك بحجة قوية، دعه فإنه بإذني دخل وبإذني لا يخرج.

فإن قلت: إن هذا مفيد لكون إدريس في الجنة مع أنه رآه النبي في السماء الرابعة، أجاب بعض الفضلاء: بأنه يحتمل أن إدريس لما بلغه أن نبينا أسري به تلك الليلة خرج من الجنة حتى نزل إلى السماء الرابعة لملاقاته تعظيما له وشوقا إليه.

وَفِي الْخَامِسَةِ هَارُوْنَ الْمُحَبَّبَ فِي الْأُمَّةِ الْإِسْرَائِيْلِيَّةِ * ....

وحكمة رؤيته لإدريس في السماء الرابعة: الإشارة إلى حالة وقعت لنبينا في السنة الرابعة تشبه حالة إدريس، وهي أنه لما قوي الإسلام وانتشر كتب للملوك يدعوهم للإسلام واتخذ الخاتم، أي: كتب عنه إلى ملوك الآفاق وخافته الملوك، فمنهم من تبعه كالنجاشي ومَلِكِ عُمَان، ومنهم من هادنه وأهدى إليه كهِرْقَل والمُقَوْقس، ومنهم من عصى عليه فأظفره اللّه به ككسرى، وهذه كحالة إدريس، فإنه كتب إلى ملوك زمنه يدعوهم إلى التوحيد، وقاتل بني قابيل ونحوهم. ومن المناسبات أن إدريس أول من كتب بالقلم لأهل الدنيا، ومحمد أول من كتب عنه.

(**وفي الخامسة هارون المحبّب في الأمة الإسرائيلية**) أي: في قلوبهم للطفه بهم وودهم، فألقى اللّه محبته في قلوب قومه فأحبوه، لأنه كان لينا سهلا، بخلاف موسى فإنه كان عنده بعض حدة.

وحكمة لقيه له في السماء الخامسة: حصول حالة لنبينا في السنة الخامسة تشبه حالة هارون مع بني إسرائيل، لأنهم استضعفوه لما تركه موسى معهم، وذهب للمناجاة، فتفرقوا وأرادوا كيده وقتله، ونقضوا العهد، وعبدوا العجل، فنصره اللّه عليهم وقصر توبتهم على القتل، كما قال تعالى: ﴿فَتُوْبُوْا إِلٰى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] فقتل منهم في ساعة واحدة سبعون ألفا، وكان نظير ذلك في حق نبينا في السنة الخامسة من الهجرة من يهود بني قريظة، فإنهم أكرموا نبينا ﷺ وأظهروا إجلاله، وأجلسوه تحت جدار وحزبوا على قتله وأرادوا أن يلقوا عليه حجرا، فأخبره جبريل بمكرهم، وقام من مكانه ليوهمهم أنه يقضي حاجته، فجاء إلى المدينة وعزم على حربهم فاجتمعوا مع قريظة وغيرهم وأظهروا عداوته ونقضوا العهد واستضعفوا المسلمين وحزبوا الأحزاب، فأمكنه اللّه

وَفِي السَّادِسَةِ مُوْسَى الَّذِيْ كَلَّمَهُ اللهُ وَنَاجَاهُ * ....

منهم، وأمر النبي ﷺ سعد بن معاذ، فقتلهم شر قتلة، فقيل: إنه قتل منهم بأمره سبعمائة.

ومن المناسبات أن نبينا كان محببا في قريش كما كان هارون محببا في قومه، ومنها أن هارون وصفه اللّه بالفصاحة، وقد حاز منها نبينا المحل الأفضل والمقام الأعلى الذي لا يجهل على أن فصاحة هارون بالعبرانية وفصاحة نبينا بالعربية التي هي أفصح.

(**وفي السادسة موسى**) وهو خفيف اللحم، طويل غير شديد، وشعره بين الجعودة والسبوطة، عاش من العمر مائة وعشرين سنة (**الذي كلمه اللّه**) مرتين ليلة الحيرة وعلى الطور (**وناجاه**) أي: ساره بالسؤال.

وحكمة رؤيته لموسى في السماء السادسة: التنبيه على حالة سادسة تحصل لنبينا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مثل ما حصل لموسى، وذلك أن موسى أمر أن يغزو وأراد أن يقيم الشريعة في الأرض المقدسة، وحمل على قومه، فتقاعدوا عنه، وقالوا: ﴿إِنَّ فِيْهَا قَوْمًا جَبَّارِيْنَ﴾ [المائدة: ٢٢] الآيات[1]، فنصره اللّه على الجبارين الذين كانوا فيها، وأدخل بني إسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد هلاك عدوهم، وكذلك أراد نبينا ﷺ في السنة السادسة غزوة

(١) قوله: (**الآيات**) وهي قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوْا عَلٰى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوْا خَاسِرِيْنَ ۝ قَالُوا يَا مُوْسٰى إِنَّ فِيْهَا قَوْمًا جَبَّارِيْنَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتّٰى يَخْرُجُوْا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوْا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُوْنَ ۝ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِيْنَ يَخَافُوْنَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوْا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوْهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُوْنَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوْا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ ۝ قَالُوْا يَا مُوْسٰى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوْا فِيْهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُوْنَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِيْ وَأَخِيْ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِيْنَ ۝ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً يَتِيْهُوْنَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِيْنَ﴾ [المائدة: ٢١-٢٦]

وَفِي السَّابِعَةِ إِبْرَاهِيْمَ الَّذِيْ جَاءَ رَبَّهُ بِسَلَامَةِ الْقَلْبِ وَالطَّوِيَّةِ * وَحَفِظَهُ مِنْ نَارِ نُمْرُوْدَ وَعَافَاهُ * ....

تبوك من أرض الشام، ونصره اللّه على صاحب دومة الجندل حتى صالحه على الجزية بعد أن أتي به أسيرا، وافتتح مكة، وأدخل أصحابه فيها بعد أن خرجوا منها، وبعد أن صده المشركون فلم يدخلها في هذا العام بل دخلها في العام القابل، وقال أصحاب النبي: لا نقول كما قالت بنو إسرائيل: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُوْنَ﴾ [المائدة: ٢٤] بل نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا ونحن معكما مقاتلون، وتقدم أنهم قالوا ذلك مرة أخرى، وقال ﷺ: لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر.

(**وفي السابعة إبراهيم**) بن تارخ بن ناخور بن ساحور بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح، وأما آزر فقيل: عمه، وهو رجل أشمط، أي: شعر لحيته فيه سواد وبياض. (**الذي جاء ربه بسلامة القلب والطوية**) أي: ضمير قلبه كما في الصحاح (**وحفظه من نار نمرود**) بضم النون وبالدال المهملة كما في القاموس، والظاهر أنه غير منصرف للعلمية والعجمية (**وعافاه**) أي: دفع اللّه تعالى النار عنه.

وحكمة رؤيته لإبراهيم مع كونه مسندا ظهره إلى البيت المعمور في هذه السماء: وقوع حالة سابعة له في السنة السابعة، وهي أن نبينا وصل إلى البيت الحرام في تلك السنة ودخل هو وأصحابه فيه لعمرة القضاء، وأقام شعائر إبراهيم وأحيا سنته التي كانت الجاهلية أماتتها، ومن الحكمة إيناسه بالأبوية الثانية عند دخوله إلى الحضرة العلية كما أنس بالأبوة الأولى عند دخوله في العوالم العلوية، ثم إن منزلته ﷺ أرفع من منزلة إبراهيم، فلذلك ارتفع النبي ﷺ من تلك السماء إلى أرفع المنازل، كما قال المصنف:

ثُمَّ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى إِلَى أَنْ سَمِعَ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ بِالْأُمُوْرِ الْمَقْضِيَّةِ * ....

(**ثم**) صعد ﷺ بالمرقاة الثامنة إلى الكرسي الذي هو من لؤلؤة بيضاء، والمراد بقوله: (**إلى سدرة المنتهى**) أي: إلى أعالي غصونها في الفلك الثامن المسمى بالكرسي وإلى مقابلة فروعها. وهذا غاية ارتفاعه ﷺ، وهي شجرة النبق، وينتهي علم الخلائق عندها، ثم رفع على المرقاة التاسعة من المعراج، وقيل: بلا مرقاة، وهو الأقرب (**إلى أن**) صعد بمكان عال يسمى بمستوى وهو كناية عن فضاء فيه استواء (**سمع صريف الأقلام**) أي: صوت حركاتها وجريانها (**بالأمور المقضية**) أي: على المخطوط فيه مما تكتبه الملائكة من أقضية اللّه تعالى ووحيه وينسخ من اللوح المحفوظ، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، وفي نسخة: «صرير» بِرَائين وهو أشهر في اللغة، ثم جمع «الأقلام» إما للتعظيم أو لكبره في التجسيم كذا في شرح الشفاء.

وقال ابن القيم: جملة الأقلام اثنا عشر قلما. أولها وأعلاها: قلم القدرة التي به قدرت مقادير الأشياء إلى قيام الساعة، وقال بعضهم: هو القلم الذي أقسم اللّه به في القرآن. ثانيها: قلم الوحي. ثالثها: قلم التوقيع من اللّه ورسوله. رابعها: قلم طب الأبدان. خامسها: قلم توقيع الملوك ونوابهم لسياسة الملك. سادسها: قلم الأرزاق وضبط الأموال ومقاديرها بالحساب. سابعها: قلم تنفيذ الأحكام والقضايا والحقوق. ثامنها: قلم الشهادات لحفظ الحقوق ونحوها. تاسعها: قلم وحي المنام لتعبير الرؤيا. عاشرها: قلم تاريخ العلم ووقائعه. حادي عشرها: قلم اللغات وتفاصيلها. ثاني عشرها: القلم الجامع للرد على المبطلين ورفع شبه الملحدين.

وقال بعضهم: الأقلام أربعة فقط: قلم الأكوان، وقلم الملائكة الحفظة، وقلم المقادير، وقلم يكتب به الناس. وهذا اختصار لما قبله مع زيادة القلم الرابع لأنه ليس من

ثُمَّ إِلَى مَقَامِ الْمُكَافَحَةِ الَّذِيْ قَرَّبَهُ اللهُ فِيْهِ وَأَدْنَاهُ * وَأَمَاطَ لَهُ حُجُبَ الْأَنْوَارِ الْجَلَالِيَّةِ * وَأَرَاهُ بِعَيْنَيْ رَأسِهِ مِنْ حَضْرَةِ الرُّبُوْبِيَّةِ مَا أَرَاهُ * وَبَسَطَ لَهُ بِسَاطَ الْإِدْلَالِ فِي الْمَجَالِ الذَّاتِيَّةِ * ....

أقلام الملائكة، والله أعلم.

(**ثم**) رفع (**إلى**) الحضرة العلية التي حصل فيها اللقاء والمناجاة والرؤية (**مقام المكافحة**) أي: كشف الغطاء عن رسول الله (**الذي قرّبه الله فيه**) أي: في ذلك المقام قربا معنويا (**وأدناه**) وهو بمعنى ما قبله، أي: أجاب الله دعاءه وأعطاه سؤاله (**وأماط**) أي: أذهب الله (**له**) ﷺ (**حجب الأنوار الجلالية**) بضم الحاء والجيم جمع «حجاب» (**وأراه**) ﷺ (**بعيني رأسه من حضرة الربوبية ما أراه**) فقوله: «من حضرة» بيان لـ«ما» أي: أراه الله تعالى ذاته تعالى عيانا بقوة أودعها الله فيهما من غير ارتسام واتصال شعاع ومن غير مواجهة لاستحالة هذه الأمور في حق الله تعالى، بل رؤية تليق بجنابه الأقدس، وأفاض عليه من فيض جوده السر الأنفس، وحصل له بذلك كمال أنسه، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١] أي: بعينيه، إذ لا يقال: ما كذب الفؤاد ما رأى بقلبه، فالمعنى ما اعتقد قلب محمد خلاف ما رأى ببصره، وهي مشاهدة ربه تعالى بفؤاده بجعل بصره فيه، أو مشاهدته ببصره بجعل فؤاده فيه، لأن مذهب أهل السنة أن الرؤية بالإرادة لا بالقدرة كذا في شرح الشفاء.

(**وبسط له**) ﷺ (**بساط الإدلال**) بالدال الساكنة (**في المجال الذاتية**) «المجال» بفتح الميم وبالجيم مصدر ميمي من «جال يجول»، والمراد هنا المكالمة، والمراد بـ«الإدلال» هنا عدم الاحتشام، ومعنى قوله: «وبسط له» إلى آخره، أي: إن الله أزال عنه ﷺ الحياء والخوف وأذن له في التكلم في تلك الحضرة القدسية، وهو المراد بما روي عن وهب بن

وَفَرَضَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أُمَّتِهِ خَمْسِيْنَ صَلَاةً ثُمَّ انْهَلَّ سَحَابُ الْفَضْلِ فَرُدَّتْ إِلَىٰ خَمْسٍ عَمَلِيَّةٍ *

منبه أنه ﷺ قال: قال اللّه تعالى: سل يا محمد، فقلت: ما أسأل يا رب؟ فقال: سل ما شئت منا نعطه لك، فقلت: إنك اتخذ إبراهيم خليلا، وكلمت موسى تكليما، واصطفيت نوحا، وآتيت سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، فقال اللّه تعالى: أما أعطيتك خير من ذلك؟ أعطيتك الكوثر، وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوّ السماء، وجعلت الأرض طهورا لك ولأمتك، وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فأنت تمشي في الناس مغفورا لك، ولم أصنع ذلك لأحد قبلك، وجعلت قلوب أمتك مصاحفها، وخبأت لك شفاعتك ولم أخبأها لنبي غيرك، وأشار إلى ذلك بعضهم بقوله من بحر الطويل:

لَكَ الْقُرْبُ مِنْ مَوْلَاكَ يَا أَشْرَفَ الْوَرَى ۞ وَأَنْتَ لِكُلِّ الْمُرْسَلِيْنَ خِتَامُ
وَأَنْتَ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَافِعٌ ۞ وَأَنتَ لِكُلِّ الْأَنْبِيَاءِ إِمَامُ
عَلَيْكَ مِنَ اللّهِ الْكَرِيْمِ تَحِيَّةٌ ۞ مُبَارَكَةٌ مَقْبُوْلَةٌ وَسَلَامُ

(**وفَرَضَ**) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (**عليه**) ﷺ (**وعلى أمته**) أي: أمة دعوته (**خمسين صلاة**) في كل يوم وليلة فرضا متوقفا ومعلقا على المراجعة، فعلى هذا كان الظهر عشر مرات بأربعين ركعة، والعصر كذلك، وهكذا، قال الشبراملسي: إن الصلاة فرضت ركعتين ركعتين على المعتمد حتى المغرب، وأما الفرض المبرم فهو خمس صلوات، (**ثم انهل**) بتشديد اللام، أي: انصب وسال بشدة (**سحاب الفضل**) وإضافة «سحاب» إلى «الفضل» من إضافة المشبه به إلى المشبه، والمراد بـ«السحاب»: المطر، أي: سال بشدة الإحسان من اللّه تعالى المشبه بالمطر في الكثرة (**فردت**) أي: الصلوات الخمسون (**إلى خمس**) من الصلوات (**عملية**) أي: فعلية وفرضية كل يوم وليلة بعد مراجعته ﷺ لمكان خطاب ربه تسع

وَلَهَا أَجْرُ الْخَمْسِيْنَ كَمَا شَاءَهُ فِي الْأَزَلِ وَقَضَاهُ * ثُمَّ عَادَ ....

مرات وبعد سؤاله التخفيف عنه وعن أمته، فيحط عَزَّوَجَلَّ خمسا بعد خمس (**ولها**) أي: للصوات الخمس الباقية (**أجر الخمسين**) بالمضاعفة في الثواب، لأن الحسنة بعشر أمثالها (**كما شاءه**) أي: أراده (**في الأزل وقضاه**) أي: قدره تقديرا مبرما محتما.

وحكمة فرض الخمسين مع كونها في الأزل خمسا بيان فضيلة نبينا عند الملائكة بقبول شفاعته في التخفيف وبقاء ثواب ما تشفع فيه مع إسقاطه، وفي فرض الصلاة في تلك الليلة دلالة على عظيم فضلها حيث لم تفرض إلا في الحضرة المقدسة وكان في وقت مناجاته ﷺ لربه، لأن فاعلها يناجي ربه وهو مقبل عليه يقول: حمدني عبدي، أثنى عليّ عبدي، مجدني عبدي، ما لم يعرض عنه تعالى بقلبه بالتفاته إلى غيره، وفي الصلاة تحيات الملوك جميعا الصادرة من رعيتهم لأن تحية العرب بالسلام، وتحية الأكاسرة بالسجود، وتحية الفرس بوضع اليد على الأرض، وتحية الحبشة بوضع اليد على الصدر، وتحية الروم بتنكيس الرأس، وتحية النوبة برفع الأصابع مع الدعاء وغير ذلك.

ومن حكم فرض الصلاة تلك الليلة أيضا أن النبي ﷺ رأى الملائكة في العبادات على أحوال مختلفة، فمنهم القائم دائما، والراكع دائما، والساجد دائما، والمسبح دائما، والمكبر دائما، إلى غير ذلك من جميع الأذكار، فاشتاقت نفسه أن يكون له ولأمته مثل ذلك، وعلم اللّه منه ذلك، فأعطاه اللّه مثل ما طلب وزيادة كالقراءة في كل ركعة، فإن فضيلة القرآن مخصوصة ببني آدم دون الملائكة.

(**ثم عاد**) ﷺ هابطا، والملائكة تسعى بين يديه، وأولو العزم من الرسل يشيرون بالتحية إليه، ثم ركب البراق من صخرة بيت المقدس، وسار وحده متوجها إلى مكة، وكان جبريل معه، ولما وصل في رجوعه إلى ذي طوى قال: يا جبريل إن قومي لا يصدقونني،

إلىٰ مَكَّةَ فِيْ لَيْلَتِهِ وَصَدَّقَهُ الصِّدِّيْقُ بِمَسْرَاهُ وَكُلُّ ذِيْ عَقْلٍ وَرَوِيَّةٍ * وَكَذَّبَتْهُ قُرَيْشٌ وَارْتَدَّ مَنْ أَضَلَّهُ الشَّيْطَانُ وَأَغْوَاهُ *

عَـطِّـرِ اللّٰـهُـمَّ قَبْرَهُ الْكَـرِيْـمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمٍ

فقال: يصدقك أبو بكر وهو الصديق، ووصل (**إلى مكة**) المشرفة (**في ليلته**)، ولما وصل أهله نزل عن البراق واستمر في بيته بقية الليل، فلما دخل في الصباح أخبر الناس بذلك الإسراء (**وصدقه الصديق**) أبو بكر (**بمسراه**) بفتح الميم، واسمه عبد اللّه، وهو صحابي ابن صحابي، ولقب بالصديق لأنه صدق فيما أخبر به من الإسراء والمعراج، وقيل: إنما لقب بالصديق لكثرة صدقه وتصديقه بالنبي قبل كل أحد من الرجال (**و**) صدقه ﷺ أيضا في ذلك الإسراء والمعراج (**كل ذي عقل وروية**) أي: تفكر ممن آمن باللّه (**وكذبته قريش**) كالوليد بن المغيرة ومطعم بن عدي، واستوصفوه ﷺ بيت المقدس، فمثله اللّه له ﷺ، فجعل ينظر إليه ويصفه، فلما لم يجدوا إلى تكذيبه سبيلا ولا إلى خطئه دليلا رجعوا إلى العناد والكفر والضلال، فرموه بالسحر (**وارتد من أضله الشيطان**) ممن كان أسلم (**وأغواه**) أي: جعله منهمكا في الجهل، فمنهم: من ارتد، ومنهم: من نافق، ومنهم: من كذبه ﷺ وعابه، ومنهم: من توفق في حاله، ومنهم: من تردد في نفسه وسره، ومنهم: من صدق كلامه ﷺ، كما قال بعضهم:

الناس كالأرض ومنها همو ❁ من حجر قاس ومن لين
وجامد تدمى به أرجل ❁ وإثمد يوضع في الأعين

(**عَطِّرِ اللّٰهُمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمٍ**)

❊ ❊ ❊

اَللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ ﷻ ﷺ

ثُمَّ عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ فِي الْأَيَّامِ الْمَوْسِمِيَّةِ * فَآمَنَ بِهِ سِتَّةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ اخْتَصَّهُمُ اللهُ بِرِضَاهُ * وَحَجَّ مِنْهُمْ فِي الْقَابِلِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا وَبَايَعُوهُ بَيْعَةً حَقِّيَّةً*

(اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْه)

(**ثم**) لما أراد اللّه تعالى إظهار دينه وإعزاز نبيه وإنجاز موعده له خرج ﷺ و(**عرض**) أي: أظهر (**نفسه على القبائل**) أي: قبائل العرب (**بأنه رسول اللّه في الأيام الموسمية**) أي: التي تجتمع فيها الناس لنحو الحج (**فآمن به**) ﷺ (**ستة من الأنصار**) سموا بالأنصار لأنـهم سينصرون رسول اللّه ﷺ ومن هاجر معه، وكلهم من الخزرج (**اختصهم اللّه**) تعالى (**برضاه**) وهو أبو أمامة أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء، ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبد اللّه بن رِياب. وقال رسول اللّه لهم: تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي، فواعدوه الموسم القابل، فجاء (**وحج منهم في**) الموسم (**القابل**) أي: الذي يلي ذلك العام (**اثنا عشر رجلا**) وقيل: أحد عشر، منهم خمسة من الستة المذكورين، وهم أبو أمامة وعوف بن عفراء ورافع بن مالك وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر، ولم يكن فيهم جابر بن عبد اللّه بن رياب، والسبعة تتمة الاثني عشر، هم: معاذ بن الحارث بن رفاعة وذكوان بن عبد القيس الزرقي وعبادة بن الصامت بن قيس وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة والعباس بن عبادة بن نضلة، وهؤلاء من الخزرج ورجلان من الأوس، وهما: أبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة (**وبايعوه بيعة حقية**) بفتح الحاء وكسر القاف المشددة وفتح الياء المشددة، وهي

ثُمَّ انْصَرَفُوْا وَظَهَرَ الْإِسْلَامُ بِالْمَدِيْنَةِ فَكَانَتْ مَعْقِلَهُ وَمَأْوَاهُ * وَقَدِمَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ سَبْعُوْنَ وَخَمْسَةٌ أَوْ وَثَلَاثَةٌ وَامْرَأَتَانِ مِنَ الْقَبَائِلِ الْأَوْسِيَّةِ وَالْخَزْرَجِيَّةِ * ....

أن لا نشرك بالله شيئا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصي في معروف، والسمع والطاعة في العسر واليسر والمَنْشَط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق حيث كنا، لا نخاف في الله لومة لائم، ثم قال ﷺ بعد هذه المبايعة: «فإن وفيتم فلكم الجنة، ومن غشى من ذلك شيئا كان أمره إلى الله، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه» (**ثم انصرفوا**) إلى المدينة (**وظهر الإسلام بالمدينة**) ولم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ، وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم، وكتب الأوس والخزرج إلى النبي ﷺ أن ابعث إلينا من يقرؤنا القرآن، فبعث إليهم مصعب بن عمير، وأسلم على يده أناس كثيرون من الأنصار، منهم سعد بن معاذ الذي اهتز العرش لموته، وأُسيد بن حُضير، وأسلم بإسلامهما جميع بني عبد الأشهل في يوم واحد الرجال والنساء، ولم يبق أحد إلا أسلم، حاشا الأُصَيْرِم وهو عمرو بن ثابت بن وقش، فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد فأسلم واستشهد بأحد ولم يسجد لله سجدة، وأخبر رسول الله أنه من أهل الجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. (**فكانت**) أي: المدينة (**معقله**) بفتح الميم وكسر القاف، أي: ملجأه ﷺ (**ومأواه**) أي: مسكنه.

(**وقدم عليه**) ﷺ (**في**) العقبة (**الثالثة**) في العام الذي يلي العقبة الثانية في ذي الحجة أوسط أيام التشريق (**سبعون**) رجلا كما في حديث جابر (**أو**) كما قال الحاكم: سبعون نفسا (**وخمسة أو**) كما قال ابن إسحاق: سبعون (**وثلاثة وامرأتان من القبائل الأوسية والخزرجية**) وهما منسوبان إلى أوس وخزرج، وهما ابنا حارثة بن ثعلبة من اليمن، وهما

فَبَايَعُوْهُ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيْبًا جَحَاجِحَةً سَرَاةً * فَهَاجَرَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ ذَوُو الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ * وَفَارَقُوا الْأَوْطَانَ رَغْبَةً فِيْمَا أُعِدَّ لِمَنْ هَجَرَ الْكُفْرَ وَنَآهُ * ....

ابنا قيلة، وهي أمهما نسبا إليها (**فبايعوه**) ﷺ على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم وعلى حرب العرب والعجم، فكان أول من ضرب على يده الشريفة البراء بن معرور (**وأمّر**) بتشديد الميم، أي: نقب (**عليهم اثني عشر نقيبا جَحَاجِحَة**) أي: سادات، وهو بجيم مفتوحة فحاء مهملة فألف فجيم مكسورة فحاء مهملة مفتوحة، جمع «جحجح» و«جحجاح»، ويجمع هذان أيضا على «جحاجح» و«جحاجيح» كذا في القاموس، وأما في الصحاح فإن «جحاجحة» بالهاء جمع الجمع، وهو جمع «جحاجح» بلا هاء وهو جمع «جحجاح» بمعنى «سيد»، (**سراة**) بفتح السين، أي: رؤساء، وهو جمع «سري» بيمعنى رئيس، وروي أن رسول اللّه قال للنقباء: أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، قالوا: نعم. (**فهاجر إليهم**) أي: الأنصار الذين هم أهل المدينة (**من مكة ذوو الملة الإسلامية**) وهم أصحابه ﷺ بأمره (**وفارقوا الأوطان**) أي: محال استقرارهم في مكة (**رغبة فيما أعد**) بالبناء للمفعول، أي: هيّئ من اللّه تعالى (**لمن هجر الكفر**) أي: قطعه (**ونآه**) بالنون فبالهمزة الممدودة، أي: بعد عن الكفر، وفي بعض النسخ: «وناواه» بالنون الممدودة والواو كذلك، أي: عاداه، كما في المصباح، فكان أول من هاجر من مكة إلى المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد قبل بيعة العقبة الثانية بسنة، قدم من الحبشة وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار فخرج إليهم، ثم عامر بن ربيعة وامرأته ليلى، ثم عبد اللّه بن جحش بأهله وأخيه، ثم المسلمون إرسالا، ثم عمر بن الخطاب وأخوه زيد وعياش بن أبي ربيعة في عشرين راكبا، ثم خرج عثمان بن عفان، حتى لم يبق معه ﷺ إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق، واستأذن أبو بكر رسول اللّه في الهجرة، فقال: لا تعجل لعل اللّه أن يجعل لك

وَخَافَتْ قُرَيْشٌ أَنْ يَلْحَقَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ عَلَى الْفَوْرِيَّةِ * فَأْتَمَرُوْا بِقَتْلِهِ فَحَفِظَهُ اللهُ تَعَالٰى مِنْ كَيْدِهِمْ وَنَجَّاهُ *

عَطِّرِ اللّٰهُمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمِ

صاحبا، فطمع أبو بكر في أن يهاجر معه ﷺ.

(**وخافت قريش أن يلحق**) أي: رسول اللّه (ﷺ **بأصحابه**) الذين هاجروا إلى المدينة والذين آمنوا به من الأنصار (**على الفورية**) أي: بعد مجيئه ﷺ إلى المدينة من غير لبث فيها (**فأتمروا**) أي: تشاوروا (**بقتله**) ﷺ واجتمعوا بدار الندوة يوم السبت، وهو يوم مكر وخديعة، وكانت محلا لمشورتهم، فلا يقضون أمرا بدونها، وهي الآن مقام الحنفية، وكانوا مائة رجل، فقال: أبو البحتري بن هشام: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء قبله، وقال أبو الأسود ربيعة بن عمر والعامري: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالي أين يذهب، وقال أبو جهل: واللّه إن لي فيه رأيا ما أراكم وقفتم عليه أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسبيا وسيطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدون إليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه ويتفرق دمه في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فيرضونه منا بالدية، فأجمع رأيهم على قتله ﷺ وتفرقوا على ذلك (**فحفظ اللّه تعالى من كيدهم ونجّاه**) فأقام ﷺ بمكة ينتظر إذن اللّه تعالى له في الهجرة.

ووجد في بعض النسخ تعطير هنا، وهو:

(**عَطِّرِ اللّٰهُمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمِ**)

* * *

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ

وَأُذِنَ لَهُ فِي الْهِجْرَةِ فَرَقَبَهُ الْمُشْرِكُوْنَ لِيُوْرِدُوْهُ بِزَعْمِهِمْ حِيَاضَ الْمَنِيَّةِ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَنَثَرَ عَلٰى رُؤُوْسِهِمُ التُّرَابَ وَحَثَاهُ * ....

(اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ)

(**وأذن له**) ﷺ (**في الهجرة**) إلى المدينة، وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر الصديق، وأتى جبريل النبي، فقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، (**فرقبه**) بفتح القاف، أي: انتظره (**المشركون**) أي: لما جاء ثلث الليل الأول اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه (**ليوردوه**) أي: يبلغوه ويدخلوه (**بزعمهم**) أي: بحسب اعتقادهم الفاسد وعملهم الكاسد (**حياض المنية**) أي: الموت، فأمر ﷺ عليّا فنام مكانه وغطى ببرد أخضر له ﷺ (**فخرج**) ﷺ (**عليهم**) وهو يتلو قوله تعالى: ﴿يٰس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيْمِ﴾ [يس: ١-٢] إلى قوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُوْنَ﴾ [يس: ٩]، فأخذ اللّٰه على أبصارهم فلم يره أحد منهم (**فنثر على رؤوسهم**) كلهم (**التراب**) أي: رماه متفرقا على رؤوسهم (**وحثاه**) أي: رماه شيئا فشيئا بعد القبض، ثم انصرف حيث شاء فأتاهم آت ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمدا، قال: قد خيبكم اللّٰه، واللّٰه لقد خرج محمد عليكم، وما ترك منكم أحدا إلا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته، فوضع كل رجل يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش مسجيا ببرد رسول اللّٰه ﷺ، فيقولون: واللّٰه إن هذا محمد نائم عليه برده، فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا فقام عليّ عن الفراش، فقالوا: واللّٰه لقد صدقنا الذي حدثنا، فسألوه عن

وَأَمَّ غَارَ ثَوْرٍ وَفَازَ الصِّدِّيْقُ فِيْهِ بِالْمَعِيَّةِ * وَأَقَامَا فِيْهِ ثَلَاثًا تَحْمِي الْحَمَائِمُ وَالْعَنَاكِبُ حِمَاهُ * ثُمَّ خَرَجَا ....

رسول اللّه، فقال: لا علم لي به، (**وأمّ**) أي: قصد ﷺ (**غار ثور**) بأسفل مكة، وهو الغار المذكور في القرآن[1]، وهو جحر كالسفينة المقلوبة، وفيه باب ضيق من أسفله، وهو ثقب فوق الجبل على مسيرة ساعة، وقيل: إنه من مكة ثلاثة أميال، وارتفاعه قدر ميل، واسم الجبل: أطحل، نزله ثور بن عبد مناة، فنسب إليه، وخرج من مكة يوم الخميس (**وفاز**) أبو بكر (**الصديق فيه**) أي: الغار (**بالمعية**) أي: بمصاحبة رسول اللّه ﷺ (**وأقام**) أي: بقي هو ﷺ، ومعه رفيقه الصديق (**فيه**) أي: غار ثور (**ثلاثا**) من الليالي على المشهور، وكان يبيت عندهما في الغار عبد اللّه بن أبي بكر، وهو غلام شاب، ويدلج من عندهما بسحر إلى مكة فيصبح مع قريش، فيأتيهما بخبر ذلك اليوم حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في لبنها، يفعل ذلك كل ليلة من الليالي الثلاث (**تحمي**) بكسر الميم، أي: تحفظ (**الحمائم والعناكب حماه**) بكسر الحاء، أي: محله ﷺ الذي يدفع به عن الكفار، أي: أن الحمائم حامت، أي: طافت على الغار، والعناكب نسجت عليه في ساعة واحدة كما قاله الشيخ خالد، وأنبت اللّه على باب الغار أم غيلان عقب دخوله فيه. روي أن الحمامتين باضتا في فم الغار، فقالوا: لو دخلا لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت (**ثم خرجا**) أي: رسول اللّه ﷺ وأبو بكر

---

(١) قوله: (**وهو الغار المذكور في القرآن**) وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُوْلُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِيْنَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُوْدٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]

مِنْهُ لَيْلَةَ الْاِثْنَيْنِ وَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلٰى خَيْرِ مَطِيَّةٍ * وَتَعَرَّضَ لَهُ سُرَاقَةُ فَابْتَهَلَ فِيْهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَدَعَاهُ * فَسَاخَتْ قَوَائِمُ يَعْبُوْبِهِ فِي الْأَرْضِ الصُّلْبَةِ الْقَوِيَّةِ * وَسَأَلَهُ الْأَمَانَ فَمَنَحَهُ إِيَّاهُ *

(**منه**) أي: الغار (**ليلة الاثنين**) أي: في أثناء ليلته (**وهو ﷺ على خير مطية**) أي: بعير تجد في السير، وتسمى «الجدعاء» بالدال المهملة، ولم تكن جدعاء وإنما هو مجرد لقب لتلك الناقة، ومعهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر، بضم الفاء وفتح الفاء وسكون الياء التحتية، وكان أسود، وهو ممن عذب في اللّه، واستأجر رسول اللّه وأبو بكر عبد اللّه بن الأُرَيْقِط دليلا، وهو على دين كفار قريش.(**وتعرض له**) ﷺ، أي: طلبه (**سراقة**) بضم السين، وهو ابن مالك بن جُعْشُم، بضم الجيم والشين المعجمتين، بينهما عين مهملة ساكنة، وقد جعلت قريش في أخذ النبي وأبي بكر وردهما الأجرة مائة ناقة، وذلك بعد مجاوزته ﷺ قديدا، لأن كفار قريش لما سمعوا من الهاتف أن رسول اللّه وأبا بكر ناما وقت الاستواء في خيمة أم معبد أمروا سراقة أن يدركهما (**فابتهل**) أي: تضرع وأخلص بالدعاء (**فيه**) أي: على سراقة، فـ«في» بمعنى «على»، (**إلى اللّه**) وهو الذي يكلؤه (**ودعاه**) بقوله: اللهم اكفناه بما شئت، أو بنحو قوله: اللهم افعل بسراقة ما شئت[1] وكيف شئت، وذلك لأنه ﷺ رأى عليه من آثار الشر وتوهم الضرر. (**فساخت**) بالخاء المعجمة، أي: غاصت (**قوائم يعبوبه**) أي: فرسه السريع الكثير الجري (**في الأرض الصلبة**) بضم الصاد، أي: الشديدة (**القوية**) أي: التي ليس فيها رمل، فخر عنها ثم ركب ودنا منه ﷺ فساخت مرة ثانية إلى ركبتها وخر عنها (**وسأله**) ﷺ (**الأمان فمنحه**) أي: أعطاه (**إياه**) أي: الأمان، ودعا رسول اللّه ﷺ له بالسلامة، وأمر ﷺ بكتابة الأمان ابن فهيرة فكتب في رقعة من أديم، فلما فرغ رسول اللّه

---

(١) قوله: (**اللهم افعل بسراقة ما شئت**) وفي المطبعة العامرة: «اللهم اكفنا سراقة بما شئت».

عَـطِّـرِ اللّٰـهُـمَّ قَبْرَهُ الْكَـرِيْــمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمٍ

من غزوة حنين لقيه ﷺ بالجعرانة ومعه الكتاب، فرفع يده به وقال: يا رسول اللّه هذا كتابك، قال: هذا يوم وفاء، فأسلم.

(عَـطِّـرِ اللّٰـهُـمَّ قَـبْـرَهُ الْكَـرِيْـمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْم)

* * *

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ

وَمَرَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُدَيْدٍ عَلٰى أُمِّ مَعْبَدٍ اَلْخُزَاعِيَّةِ * وَأَرَادَ ابْتِيَاعَ لَحْمٍ أَوْ لَبَنٍ مِنْهَا فَلَمْ يَكُنْ خِبَاؤُهَا لِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ قَدْ حَوَاهُ * فَنَظَرَ إِلٰى شَاةٍ فِي الْبَيْتِ خَلَّفَهَا الْجَهْدُ عَنِ الرَّعِيَّةِ * ....

(اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ)

(ومر) هو (ﷺ) وأبو بكر وعامر، ومعهم عبد اللّه بن الأريقط (بقديد) بالتصغير، هو اسم ماء كما في الصحاح، أو اسم واد أو موضع كما في القاموس، وهو بين رابغ وخليص (على أم معبد) بفتح الميم والموحدة، عاتكة بنت خالد (الخزاعية) بضم الخاء، نسبة إلى خزاعة، قبيلة من اليمن، من أولاد أزد بن غوث، سموا خزاعة لأن الأزد لما خرجت من مكة لتتفرق في البلاد تخلفت عنهم خزاعة وأقامت بها، وكانت أم معبد تسقي وتطعم من يمر عليها (وأراد) بالإفراد، أي: رسول اللّه ومن معه، وفي بعض النسخ: «وأرادوا» بالجمع وهو أحسن، أي: وكان القوم مرملين، أي: نفدت أزوادهم مسنتين، أي: مجد بين مشتين، أي: دخلوا في الشتاء فطلبوا (ابتياع) أي: اشتراء (لحم أو لبن منها) أي: أم معبد (فلم يكن خباؤها) بكسر الخاء المعجمة والمد، أي: بيتها من ثياب (لشيء من ذلك) أي: اللحم واللبن (قد حواه) أي: جمع شيئا من ذلك، فقوله: «خباؤها» اسم «يكن»، وجملة قوله: «قد حواه» خبرها، وقوله: «لشيء» قدمه لأجل عود الضمير من «حواه» عليه. (فنظر) أي: رسول اللّه ﷺ (إلى شاة في البيت) أي: في جانبه قد (خلفها) بتشديد اللام، أي: تركها (الجهد) بضم الجيم وفتحها، أي: المرض (عن الرعية) بفتح الراء وكسر العين المهملة

فَاسْتَأْذَنَهَا فِيْ حَلْبِهَا فَأَذِنَتْ وَقَالَتْ: لَوْ كَانَ بِهَا حَلَبٌ لَأَصْبَنَاهُ * فَمَسَحَ الضَّرْعَ مِنْهَا وَدَعَا اللهَ مَوْلَاهُ وَوَلِيَّهُ * فَدَرَّتْ وَحَلَبَ وَسَقٰى كُلاًّ مِنَ الْقَوْمِ وَأَرْوَاهُ * ثُمَّ حَلَبَ وَمَلَأَ الْإِنَاءَ وَغَادَرَهُ لَدَيْهَا آيَةً جَلِيَّةً * فَجَاءَ أَبُوْ مَعْبَدٍ فَرَأَى اللَّبَنَ فَذَهَبَ بِهِ الْعَجَبُ إِلٰى أَقْصَاهُ * وَقَالَ: أَنّٰى لَكِ هٰذَا ....

وشد التحتية، أي: عن صواحبها من الغنم، فسألها رسول اللّه ﷺ: هل بها لبن؟ فقالت: لهي أجهد من ذلك (**فاستأذنها في حلبها**) بسكون اللام وفتحها، أي: استخراج ما في ضرعها من اللبن، أي: قال رسول اللّه: أَتَأْذَنِيْنَ لي أن أحلبها؟ (**فأذنت**) أي: قالت: نعم بأبي وأمي إن رأيت بها حلبا فاحلبها، (**وقالت: لو كان بها**) أي: بهذه الشاة (**حلب**) بفتح اللام فقط، أي: لبن محلوب كما في القاموس (**لأصبناه**) أي: أردناه، فـ«لو» حرف تدل على انتفاء تال يلزم لثبوته ثبوت تاليه كذا قاله ابن هشام نقلا عن ابن مالك، فدعا رسول اللّه بالشاة فاعتقلها (**فمسح**) أي: رسول اللّه (**الضرع**) بفتح الضاد المعجمة (**منها، ودعا اللّه مولاه**) أي: ناصره (**ووليه**) أي: متولي أمره، وسمى اللّه فتفاجّت، بتشديد الجيم، أي: فتحت ما بين رجليها (**فدرت**) أي: كثر لبنها، ودعا رسول اللّه بإناء يربض الرهط، بضم الياء التحتية وكسر الموحدة، أي: يشبع الجماعة (**وحلب**) فيه ثجا، أي: سيلانا حتى علاه الثمال، بضم المثلثة، أي: الرغوة والبهاء، أي: حسن اللبن (**وسقى**) أي: رسول اللّه ﷺ (**كلا من القوم**) بعد أن سقى أم معبد (**وأرواه**) أي: أشبعه، ثم شرب ﷺ آخرهم (**ثم حلب**) فيه مرة أخرى عللا بعد نهل (**و**) بعد ذلك (**ملأ الإناء وغادره**) بالغين المعجمة، أي: أبقاه (**لديها**) أي: عندها (**آية جلية**) أي: معجزة ظاهرة، وفي رواية: قال لها: ادفعي هذا لأبي معبد إذا جاءك، وذهبوا، (**فجاء**) زوجها (**أبو معبد**) اسمه أكثم بن أبي الجون (**فرأى**) أبو معبد (**اللبن فذهب به العجب**) بفتح العين والجيم (**إلى أقصاه وقال**) ما هذا يا أم معبد (**أنى لك هذا؟**)

وَلَا حَلُوْبَ فِي الْبَيْتِ تَبِضُّ بِقَطْرَةٍ لَبَنِيَّةٍ * فَقَالَتْ: مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ كَذَا وَكَذَا جُثْمَانُهُ وَمَعْنَاهُ * ....

أي: من أي سبب يكون لك هذا اللبن والشاء، بالهمزة آخره، وهو جمع «شاة» عازب، أي: بعيدة المرعى، حيال، بكسر الحاء المهملة، أي: ليس بها حمل (**ولا حلوب**) بفتح الحاء (**بالبيت**) أي: ليس في البيت شاة ذات لبن تحلب (**تبض**) بكسر الباء المحودة وضمها، أي: تقطر (**بقطرة لبنية، فقالت**) لا واللّه إلا أنه (**مرّ بنا رجل مبارك كذا وكذا حكت جثمانه**) بضم الجيم، أي: جسمه (**ومعناه**) أي: صفته. فقال: صِفيه يا أم معبد. فقالت: رأيت رجلا ظاهر الوضاءة، مبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة، ولم تزر به صعلة، وسيم، قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل، أحور، أكحل، أزج، أقرن، شديد سواد الشعر، في عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سماه وعلاه البهاء، وكأن منطقه خرزات نظمن يتحدرن، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر[1]، أجهر الناس وأجمله من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، ربعة لا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرا، وأحسنهم قدرا، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند.

و«الوضاءة»: الحسن، و«الأبلج» بالجيم: المشرق المضيء، و«الثجلة» بفتح المثلثة وسكون الجيم: عظم البطن، ويروى بالنون والحاء، أي: نحول، و«الصعلة» بفتح الصاد: صغر الرأس، وهي أيضا النحول في البدن، و«الوسيم»: الحسن، وكذا «القسيم»، و«الدعج»: شدة سواد العين مع اتساعها، و«الوطف» بتحرك الطاء: طول، أي: كثرة شعر

(١) قوله: (**لا نزر ولا هذر**) أي: لا قليل مخلّ ولا كثير مملّ.

فَقَالَ: هٰذَا وَاللّٰهِ صَاحِبُ قُرَيْشٍ وَأَقْسَمَ بِكُلِّ إِلٰهِيَّةٍ * بِأَنَّهُ لَوْ رَآهُ لَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَدَانَاهُ * وَقَدِمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِيْنَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ثَانِيْ عَشَرَ رَبِيْعِ الْأَوَّلِ وَأَشْرَقَتْ بِهِ أَرْجَاؤُهَا ....

الحاجبين والعينين، و«الصحل» بتحريك الحاء، أي: لا يكون حاد الصوت، و«الحور» شديد بياض بياض العين وشديد سواد سوادها، و«الكحل» سواد في أجفان العين خلقة، و«الأزج»: دقيق طرف الحاجبين، و«الأقرن» مقرون الحاجبين، و«سطع» بفتحتين، أي: ارتفاع وطول، و«الكثاثة في اللحية»: أن تكون غير دقيقة ولا طويلة، و«سما» أي: ارتفع على جلسائه، و«فصل» بالصاد المهملة، أي: بين ظاهر يفصل الحق والباطل، و«لا نزر» بسكون المعجمة، و«لا هذر» بفتحها، و«لاتشنؤه من طول» أي: لا يبغض لفرط طوله، و«لا تقتحمه عين من قصر» أي: لا تتجاوزه إلى غيره احتقارا، و«محفود» أي: مخدوم، و«المحشود» هو: الذي عنده حشد وهم الجماعة، و«المنفد»: الذي يكثر اللوم.

(**فقال**) أي: أبو معبد (**هذا واللّٰه صاحب قريش**) أي: هو الذي يأمرهم وينهاهم (**وأقسم**) أي: حلف أبو معبد (**بكل إلهية**) بكسر الهمزة وفتح اللام وشد التحتية، أي: ذات منسوبة لـ«إله» بمعنى: مستحق للعبادة، أي: بكل إله معبود بحق كاللّٰه تعالى اللات والعزى بزعمه، فإنه كان مشركا إذ ذاك وإن أسلم بعد، أي: حلف[1] (**بأنه**) أي: أبا معبد (**لو رآه**) أي: المبارك (**لآمن به**) وبما قال (**واتبعه**) أي: في دينه (**ودناه**) بالألف بعد الدال المفتوحة، أي: قاربه وصاحبه من غير مفارقة (**وقدم ﷺ**) ومعه أبو بكر (**المدينة يوم الإثنين**) نصف النهار (**ثاني عشر ربيع الأول وأشرقت**) وفي بعض النسخ: «أضاءت» (**به**) ﷺ (**أرجاؤها**)

(١) قوله: (**بكل إلهية... إلخ**) وفي مطبعة طه فوترا القديمة: (**بكل ألية**) بفتح الهمزة وكسر اللام وشد التحتية، أي: يمين، وحلف (أنه).

الزَّكِيَّةُ * وَتَلَقَّاهُ الْأَنْصَارُ وَنَزَلَ بِقُبَاءَ ....

أي: نواحيها (**الزكية**) أي: الكثيرة النعمة والخصب، قال أنس بن مالك: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول اللّه ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وعنه أيضا أنه قال: شهدت يوم دخول النبي ﷺ المدينة فلم أر يوما أحسن منه ولا أضوأ، وعن البراء بن عازب قال: ما رأيت أهل المدينة فرحوا كفرحهم برسول اللّه ﷺ، وصعدت ذوات الخدور[1] على الأسطحة عند قدومه ﷺ يقلن:

طَـلَـعَ الْبَـدْرُ عَلَيْنَا ۞ مِنَ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاع

وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا ۞ مَا دَعَا لِلّٰهِ دَاع

أَيُّهَا الْمَبْعُوْثُ فِيْنَا ۞ جِئْتَ بِالْأَمْرِ الْمُطَاع

وخرجت جوار من بني النجار يضربن بالدفوف ويقلن:

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ۞ يَا حَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ

فقال ﷺ: أتحبينني؟ قلن: نعم يا رسول اللّه، فقال ﷺ: «اللّه يعلم أن قلبي يحبكم[2]». وتفرق الغلمان والخدم في الطريق ينادون: جاء محمد رسول اللّه.

(**وتلقاه الأنصار**) وهو الأوس والخزرج بنو قَيْلة، بفتح القاف، أي: خروجوا إليه ﷺ سراعا بسلاحهم لما سمعوا نداء رجل من يهود على أطم من آطامهم بأعلى صوتهم قائلا: يا بني قيلة هذا جدكم، أي: مطلوبكم قد أقبل. (**ونزل**) أي: أقام ﷺ (**بقباء**) موضع بالمدينة

---

(١) قوله: (**ذوات الخدور**) و«الخدور» جمع «خدر» بالكسر، وهو الستر أو البيت، والمراد: مَن يَقِلُّ خروجهن من البيوت.

(٢) قوله: (**يحبكم**) وفي المطبعة العامرة: «يحبكن».

وَأَسَّسَ مَسْجِدَهَا عَلَى تَقْوَاهُ *

في بني عمرو بن عوف على فرسخ من المسجد النبوي أربعة أيام يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، ثم خرج ﷺ من قباء ضحى يوم الجمعة راكبا على راحلته متوجها إلى داخل المدينة وهو مردف أبا بكر خلفه فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في الطريق في بطن وادي رانوناء، براء مهملة ونونين ممدودا، فصلاها في المسجد المسمى بالغُبَيب، بضم الغين المعجمة والتصغير، بمن كان معه من المسلمين وهم مائة، فكانت هذه الجمعة أول جمعة صلاها بالمدينة. (**وأسس**) أي: بنَى ﷺ (**مسجدها**) أي: قباء (**على تقواه**) ﷺ، وهو أول مسجد بني في الإسلام، وأول مسجد صلى فيه رسول اللّه ﷺ بأصحابه جماعة ظاهرا، وأول مسجد بني لجماعة المسلمين عامة، واستمر ﷺ بالمدينة عشر سنين إجماعا.

* ففي السنة الأولى من الهجرة بنى مسجده ﷺ ومساكنه، وفرض اللّه عليه الجهاد، وبعث ﷺ حمزة في ثلاثين من المهاجرين يعترض عير القريش في رمضان، وبعث عبيدة بن الحارث في ستين رجلا من المهاجرين إلى بطن رابغ، وبعث سعد بن أبي وقاص إلى الخرار، بخاء معجمة وراءين، عين قرب الجحفة في ذي القعدة في عشرين من المهاجرين يعترض عير القريش، وفيها غزوة الأبواء قرية بين مكة والمدينة، وغزوة ودان في صفر قرية جامعة من عمل الفرع وهو مكان واسع ينسب للمدينة، وفيها كان بدء الأذان للصلوات، وفيها أعرس بعائشة، وفيها جعلت صلاة الحضر أربع ركعات وكان ركعتين بعد قدومه بشهر، وفيها صلى صلاة الجمعة، وفيها أسلم عبد اللّه بن سلام، وفيها مات أسعد بن زرارة، وفيها آخى بين المهاجرين والأنصار بعد مقدمه بثمانية أشهر، وفيها صلى النبي ﷺ

....

صلاة الجنازة على البراء بن معرور بعد وفاته بشهر وعلى تبع اليماني، وكان قد آمن بالنبي قبل مبعثه بسبعمائة سنة، وهو أول من كسا الكعبة، وكانت وفاته يوم قدومه المدينة.

* وفي السنة الثانية في النصف الثاني من شعبان حولت القبلة من جهة بيت المقدس إلى جهة الكعبة، وفيها فرضت زكاة المال قبل فرض رمضان، وفرض الصوم في أواخر شعبان، وفيها غزوة بدر الكبرى في يوم الجمعة في السابع والعشرين من شهر رمضان، وفي الثامن والعشرين منه فرضت زكاة الفطر، وفيها صلى النبي صلاة عيد الفطر وصلاة عيد الأضحى، وضحى بكبشين أملحين أقرنين، ذبح أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته، وفيها مات عثمان بن مظعون، وتوفيت ابنته ﷺ رقية(١)، وفيها أعرس عليّ بفاطمة(٢) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وفيها غزوة بواط، بضم الباء الموحدة وقد تفتح، جبل من جبال جهينة، وغزوة ذي العشيرة وبني قَيْنُقاع(٣) والسويق(٤) وغير ذلك.

---

(١) قوله: (**وتوفيت ابنته ﷺ رقية**)، توفيت ورسول اللّه ﷺ ببدر، وقد تأخر زوجها عثمان بن عفان عن غزوة بدر لانشغاله بتمريضها، كذا في خلاصة نور اليقين.

(٢) قوله: (**وفيها عرس علي بفاطمة**) وعمره إحدى وعشرون سنة، وعمرها خمس عشرة سنة.

(٣) قوله: (**بني قينقاع**) قومٌ من يهود المدينة أظهروا العداوة للمسلمين، وخانا ما عاهدوا رسول اللّه عليه، فحاصر رسول اللّه عليهم خمس عشرة ليلة إلى أن أعجزهم، وأدخل في قلوبهم الرعب، فطلبوا منه أن يتركهم، ويأخذ أموالهم، فقبل، وطردهم من المدينة مع نسائهم، وأخذ المسلمون أموالهم وحصونهم، ولم تمض سنة حتى ماتوا كلهم، كذا في خلاصة نور اليقين.

(٤) قوله: (**السويق**) هو: الناعم من دقيق الحنطة والشعير، خرج رسول اللّه إلى هذه الغزوة وعمه مائتا راكب، فلما سمع المشركون بخروجه هربوا، وكان معهم سويق، ألقوه وهم هاربون تخفيفا لأحمالهم، فسميت الغزوة باسمه.

....

* وفي السنة الثالثة حرمت الخمر(١) في شوال منها، وقيل: في الرابعة، وتزوج عثمان بأم كلثوم، وتزوج النبي ﷺ بحفصة بنت عمر وبزينب بنت خزيمة الهلالية، وولد الحسن بن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيها غزوة أحد وحمراء الأسد وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة، وغطَفان وغير ذلك.

* وفي السنة الرابعة غزوة بني النضير وذات الرقاع، وصلاة الخوف، وفيها توفيت زينب الهلالية، وتزوج النبي أم سلمة وزنب بنت جحش، وفيها مولد الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ونزلت آية التيمم(٢)، وفيها رجم اليهوديين الَّذَيْن زنيا، وفيها قصرت الصلاة في السفر.

(١) قوله: (**وفي السنة الثالثة حرمت الخمر**) أي: تحريما قطعيا، وكانت غير محرمة في أول الإسلام، ثم حرمت تدريجا لمحبة العرب لها وصعوبة تركها. وأول ما نزل فيها قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُوْنَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيْهِمَا إِثْمٌ كَبِيْرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ولما شربها بعض المسلمين وخلط في القراءة حرمت الصلاة على السكران بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارٰى حَتّٰى تَعْلَمُوْا مَا تَقُوْلُوْنَ﴾ [النساء: ٤٣]، ولما حدث مِن شربها اعتداءُ بعض المسلمين على إخوانهم حرمت قطعيا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوْهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ ۞ إِنَّمَا يُرِيْدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوْقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُوْنَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

(٢) (**ونزلت آية التيمم**) وهي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوْا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوْا بِرُؤُوْسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوْا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضٰى أَوْ عَلٰى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوْا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيْدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوْا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيْكُم مِنْهُ مَا يُرِيْدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلٰكِنْ يُرِيْدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ﴾ [المائدة: ٦].

....

* وفي السنة الخامسة كانت غزوة دومة الجندل وغزوة المُرَيْسِيْع، وفيها نزلت آية الحجاب(١)، وفيها تزوج النبي جويرية بنت الحارث، وريحانة بنت زيد، وفيها سابق على الخيل، وفيها غزوة الخندق وهي الأحزاب(٢)، وغزوة بني قريظة(٣) بعد الخندق، وفيها غير ذلك.

* وفي السنة السادسة غزوة الحديبية وهي قرب مكة مستهل ذي القعدة منها، وكانوا ألفا وأربعمائة، وبايعوا النبي بيعة الرضوان تحت الشجرة، وفيها قحط الناس، فاستسقى لهم النبي ﷺ فسقوا في رمضان، وفيها غزوة بني لحيان وغزوة الغابة، وغير ذلك.

* وفي السنة السابعة كانت عمرة القضاء(٤) مستهل ذي القعدة منها، وكان ﷺ في ألفين، وساق من المدينة ستين بدنة فنحرها، وأقام بمكة ثلاثا ورجعوا، وفيها غزوة خيبر،

---

(١) قوله: (**آية الحجاب**) وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

(٢) قوله: (**وهي الأحزاب**) أي: وتسمى أيضا بالأحزاب، لأن كثيرا من قبائل العرب واليهود اجتمعوا لمحاربة المسلمين وحاصروا المدينة، وكان عددهم عشرة آلاف رجل، يرأسهم سفيان بن حرب، فحفر النبي ﷺ حول المدينة خندقا بإشارة سلمان الفارسي خوفا من الهجوم، واستمر الحصار خمسة عشر يوما إلى أن تفرقت كلمة الأحزاب، وسلط اللّه عليهم ريحا شديدا وجنودا لم يروها قلعت أوتادَهم وكفأت قدورهم وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصى، فهربوا من ليلتهم. كذا في خلاصة نور اليقين.

(٣) قوله: (**وغزوة بني قريظة**) وهو قوم من يهود المدينة خانوا العهود في الخندق وأظهروا العداوة للمسلمين، فلما رجع رسول اللّه ﷺ من غزوة الخندق أمره اللّه بمحاربتهم، وتطهير أرضه منهم.

(٤) قوله: (**عمرة اقضاء**) وسُميت بعمرة القضاء لأنـها قضاءً عن العمرة التي مُنع منها النبي والمسلمون عام الحديبية.

....

وإسلام أبي هريرة وعمران بن حصين، وفيها تزوج النبي ميمونة بنت الحارث وصفية بنت حيي وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وفيها بعث ﷺ الرسل إلى الملوك، واتخذ الخاتم لختم الكتب، وفيها تحريم الحمر[1] الأهلية، وفيها جاءته مارية القبطية وبَغْلَة دُلْدُل، وفيها غير ذلك.

* وفي السنة الثامنة كانت غزوة الفتح فتح اللّه مكة في رمضان منها لنقض قريش العهد، وطاف النبي ﷺ بالبيت يوم الجمعة لعشرين من رمضان، وحوله ثلاثمائة وستون صنما، وكلما مر بصنم أشار إليه بقضيب قائلا: «جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا»، فيقع الصنم لوجهه، وفيها قدوم خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وعمرو بن العاص وإسلامهم، وفيها غزوة حنين وغزوة الطائف، وفيها اتخاذ المنبر والخطبة عليه، وهو أول منبر عمل في الإسلام، وكان ﷺ قبل ذلك يخطب إلى جذع النخل في المسجد حتى عمل له المنبر ثلاث درجات، فلما خطب عليه حن له الجذع وخار كالبقرة، فنزل ﷺ واحتضنه حتى سكن، وقال: لو لم ألتزمه لحن إلى يوم القيامة، وفيها مولد إبراهيم ابن النبي ﷺ، ووفاة زينب بنته ﷺ، وفيها وهبت سودة يومها لعائشة، وفيها غير ذلك.

* وفي السنة التاسعة كانت غزوة تبوك، وهدم مسجد الضرار[2]، وقدوم الوفود

---

(١) قوله: (**الحمر**) بضم الحاء المهملة والميم، وهو جمع «حِمار».

(٢) قوله: (**وهدم مسجد الضرار**) هو مسجد اتخذه المنافقون ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب اللّه ورسوله في عهد النبي فأنزل اللّه: ﴿وَالَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيْقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنٰى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُوْنَ ۞ لَا تَقُمْ فِيْهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوٰى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُوْمَ فِيْهِ فِيْهِ =

....

وتتابعها، وفيها حج أبو بكر الصديق بالناس ومعه ثلاثمائة رجل وعشرون بدنة، وأمر ﷺ عليا أن يقرأ بالموسم سورة براءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وفيها مات النجاشي وصلى النبي عليه وأم كلثوم بنته ﷺ، وفيها غير ذلك.

* وفي السنة العاشرة كانت حجة الوداع، وتسمى حجة الإسلام، فخرج النبي ﷺ من المدينة يوم الخميس من ذي القعدة سنة عشر ومعه أربعون ألفا، وقيل: سبعون ألفا، وقيل: مائة ألف، وقيل: غير ذلك، وكانت وقفته بالجمعة، ونزل عليه فيها: ﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ﴾ الآية [المائدة: ٣]، ولم يحج النبي ﷺ بعد الهجرة سواها، وقد حج قبل النبوة وبعدها حجات لا يعرف عددها، واعتمر بعد ما هاجر أربع عمر: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء، وعمرة من الجعرانة في إثر وقعة حنين، وعمرة مع حجته. وفي تلك السنة أسلم جرير بن عبد اللّه البجلي، ونزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ بمنى يوم النحر في حجة الوداع، وقيل: قبل وفاته بثلاثة أيام، وفيها مات إبراهيم ابن النبي، ولما رجع ﷺ من حجته إلى المدينة أقام بها بقية ذي الحجة سنة عشر.

* ثم دخلت سنة إحدى عشرة فأقام المحرم وصفر، وفي يوم الأربعاء من آخر صفر بدأ بالنبي ﷺ وجع فحمّ وصدع، وأشار فيه إشارة ظاهرة بخلافة أبي بكر بثنائه عليه على

= رِجَالٌ يُحِبُّوْنَ أَنْ يَتَطَهَّرُوْا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِيْنَ ۝ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلٰى تَقْوٰى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلٰى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَ ۝ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِيْ بَنَوْا رِيْبَةً فِي قُلُوْبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوْبُهُمْ وَاللهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ۝﴾ [التوبة: ١٠٧-١١٠]، فدعا رسول اللّه ﷺ مالك بن الدُّخْشُن ومَعْن بن عدي، أو أخاه: عاصم بن عدي، فقال: «انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه وأحرقاه»، ففَعَلَا.

....

المنبر كما فهم دون بقية الصحابة، وقال في آخر خطبته: «إن عبدا خيّره اللّه بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده» يعني ﷺ بذلك نفسه، فبكى أبو بكر وقال: فديناك يا رسول اللّه بآبائنا وأمهاتنا، فقابله ﷺ بقوله: «إن أمنّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوة الإسلام»، ثم قال: «لا يبقى في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر»، ثم أكد أمر الخلافة بأمره صريحا أن يصلي بالناس فروجع، وهو يقول: «مروه أن يصلي بالناس» فصلى أبو بكر بالناس سبع عشرة صلاة، وأذن له ﷺ نساؤه أن يمرض في بيت عائشة، لما رأين من حرصه على ذلك، فدخل بيتها يوم الإثنين، وتوفاه اللّه يوم الإثنين حين زاغت الشمس، وقيل: حين اشتد الضحى كالوقت الذي دخل فيه إلى المدينة في هجرته، ورأسه الشريف بين فم عائشة وصدرها، وكان ذلك اليوم الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة. والصحيح أنه مكث بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء بكماله، ودفن ليلة الأربعاء، وسبب ذلك التأخر اشتغالهم ببيعة أبي بكر حتى تمت، وقيل: لعدم اتفاقهم على موته ﷺ، وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما، وقيل: أربعة عشر يوما، وقيل: اثني عشر يوما، وقيل: غير ذلك، وله من العمر ثلاث وستون سنة، وغسله علي والفضل بن عباس وأسامة بن زيد يناول الماء، وكذا شقران والعباس واقفان هناك، ونظمهم بعضهم بقوله من بحر الطويل:

لقد حضر المختارَ في الغسل خمسة ۞ عليٌّ كذا العباس والفضل قد ورد
أسامة شقران ومن حمل اسمهم ۞ فلم ير في عينيه قط على رمد

وكفن في ثلاثة أثواب بيض، ليس فيها قميص ولا سراويل ولا عمامة، وصلوا عليه فرادى، وحفر له في موضع فراشه، وفرش تحته قطيفة حمراء كان يتغطى بها، وكان قد أمرهم بذلك، وهو من خصائصه ﷺ، وأطبق عليه سبع لبنات.

(عَطِّرِ اللّٰهُـمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْـمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْم)

* * *

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ

وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلَ النَّاسِ خَلْقًا وَخُلُقًا ذَا ذَاتٍ وَصِفَاتٍ سَنِيَّةٍ * مَرْبُوْعَ الْقَامَةِ أَبْيَضَ اللَّوْنِ مُشَرَّبًا بِحُمْرَةٍ وَاسِعَ الْعَيْنَيْنِ أَكْحَلَهُمَا أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ قَدْ مُنِحَ الزَّجَجَ حَاجِبَاهُ * ....

(اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ)

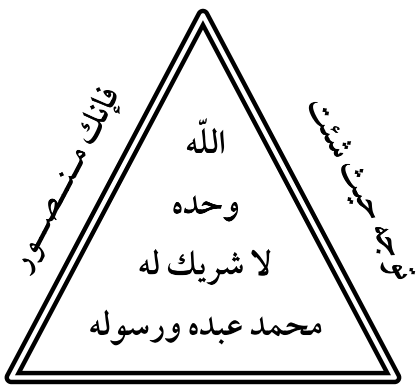
(**وكان**) أي: رسول اللّه ﷺ (**أكملَ الناس**) وأحسن الأنبياء (**خَلقا**) بفتح الخاء وسكون اللام، أي: صورة وبشاشة (**وخُلقا**) بضم الخاء، أي: سيرة ولطافة (**ذا ذاتٍ وصفات سنية**) أي: عالية مضيئة (**مربوع القامة**) كما رواه البيهقي وابن أبي خيثمة، أي: ليس بالطول البائن ولا بالقصير المتردد، وهو إلى الطول أقرب (**أبيض اللون**) نيرا (**مشربا**) بضم الميم وفتح الشين وشد الراء أو بسكون الشين، أي: ممزوجا (**بحمرة**) وهو أفضل ألوان البياض، هذه صورته في الدنيا، وأما في الآخرة فصورته بياض مع صفرة، فجمع اللّه للمصطفى بين الأشرفين، ولم يكن لونه في الدنيا كلونه في الأخرى لئلا تفوته إحدى الحسنيين (**واسع**) شق (**العينين**) مع حسنهما (**أكحلهما**) أي: على جفون عينيه سواد مثل الكحل من غير اكتحال (**أهدب الأشفار**) أي: كثير شعر حروف أجفان عينيه، وهو الهدب، و«الأشفار» جمع «شفر» بضم الشين، وهو الذي ينبت عليه الهدب، و(**قد منح الزجج حاجباه**) و«منح» بالبناء للمفعول بمعنى أعطى، و«الزجج» بالنصب مفعول ثان بمعنى دقة الشعر مع طول، و«حاجباه» نائب الفاعل وهو مفعول أول، أي: أن رسول اللّه كان دقيق الحاجبين، وطويلهما إلى مؤخر العين مع غزارة شعرهما ومع تقوس أصلهما،

مُفَلَّجَ الْأَسْنَانِ، وَاسِعَ الْفَمِ حَسَنَهُ، وَاسِعَ الْجَبِيْنِ ذَا جَبْهَةٍ هِلَالِيَّةٍ * سَهْلَ الْخَدَّيْنِ يُرَى فِيْ أَنْفِهِ بَعْضُ احْدِيْدَابٍ، حَسَنَ الْعِرْنِيْنِ أَقْنَاهُ بَعِيْدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، بَسْطَ الْكَفَّيْنِ، ضَخْمَ الْكَرَادِيْسِ، قَلِيْلَ لَحْمِ الْعَقِبِ، ....

(مفلج الأسنان) بضم الميم وفتح الفاء واللام المشددة وبالجيم، أي: متباعد ما بين ثناياه، وقلة التفليج ممدوح كذا في شرح الشفاء، والمراد بالأسنان: الثنيتان وهما أول الأسنان، فإن تباعد ما بين الأسنان كلها عيب (واسع الفم) وذلك للإيماء إلى سعة الفصاحة وظهور الملاحة، والعرب تمدح عظيم الفم وتذم صغيره (حسنه) أي: الفم، بفتح الحاء والسين، كان يفتح الكلام ويختمه بجوانب فمه لرحب شدقه (واسع الجبين) وهو ما اكتنف الجبهة من يمين وشمال، فهما جبينان، وذلك من جمال خلقه، ويمكن أن يكون ذلك كناية عن كمال خلقه (ذا جبهة هلالية) أي: تتوهج كتوهج القمر لحسنه وصفائه وبهاء ضيائه (سهل الخدين) أي: سائلهما غير مرتفع الوجنتين (يرى) بالبناء للمفعول (في أنفه) ﷺ (بعض احديداب) أي: يسير ارتفاع (حسن العرنين) بكسر العين، أي: طويل الأنف مع دقة أرنبته وحدب في وسطه، وعرنين الأنف: ما تحت مجتمع الحاجبين، وهو أول الأنف وموضع الشمم (أقناه) أي: مرتفع قصبة الأنف (بعيد ما بين المنكبين) أي: وسيع ما بين الكتف والعنق كذا في شرح الشفاء (بسط الكفين) بفتح الباء وسكون السين، أي: واسعهما صورة ومعنى، إذ قد وسع كل أحد عطاء كذا في شرح الشفاء، وفي بعض النسخ: «سبط الكفين» بتقديم السين على الباء، أي: سخي الكفين كما في القاموس، وكان ﷺ طويل الأصابع، (ضخم الكراديس) أي: غليظ العظام، و«الكراديس» جمع «كردوس» وهو كل عظمين التقيا في مفصل كالمنكبين والركبتين والوركين (قليل لحم العقب) بكسر القاف، وهو مؤخر القدم، وكانت أصبع رجليه ﷺ السبابة أطول من غيرها، كما قالت ميمونة بنت

كَثَّ اللِّحْيَةِ، عَظِيْمَ الرَّأْسِ، شَعْرُهُ إلَى الشَّحْمَةِ الْأُذُنِيَّةِ ❊ وَبَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ قَدْ عَمَّهُ النُّوْرُ وَعَلَاهُ ❊ ....

كردم: «رأيت رسول اللّه ﷺ فما نسيت طول أصبع قدميه السبابة على سائر أصابعه» رواه أحمد والطبراني (**كث اللحية**) بفتح الكاف وشد المثلثة، أي: غزير شعرها وكثير أصلها (**عظيم الرأس**) أي: كبير الرأس المشير إلى الوقار والرزانة (**شعره إلى الشحمة الأذنية**) ويجاوز شعر رأسه ﷺ شحمة أذنيه أحيانا، والشحمة: معلق القرط، وهو ما لان من أسفل الأذن (**وبين كتفيه**) بفتح الكاف وكسر التاء أو بكسر الكاف سكون التاء، وزان «كذب» و«كبد» (**خاتم النبوة**) واختلف: هل ولد ﷺ وهو، أي: ذلك الخاتم به أو وضع بعد ولادته، على قولين، (**قد عمه النور وعلاه**) قيل: هو شامة[1] سوداء تضرب إلى الصفرة، حولها شعرات متواليات كأنها عرف الفرس، وقال الزرقاني: ومكتوب في باطنه: «اللّه وحده لا شريك له، محمد عبده ورسوله»، وعلى ظاهره في الجهة اليمنى: «تَوَجَّهْ حيث شئتَ»، وفي اليسرى: «فإنك منصور». وهذا تمثاله:



وله خواص كما نقل عن الترمذي رضي اللّه تعالى عنه أنه قال: من توضأ ونظر إليه

---

(١) قوله: (**شامة**) وهي علامة في البدن يخالف لونها لون سائره. كذا في معجم المعاني.

وَعَرَقُهُ كَاللُّؤْلُؤِ، وَعَرْفُهُ أَطْيَبُ مِنَ النَّفَحَاتِ الْمِسْكِيَّةِ * وَيَتَكَفَّأُ فِي مِشْيَتِهِ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ارْتَقَاهُ * وَكَانَ يُصَافِحُ الْمُصَافِحَ بِيَدِهِ فَيَجِدُ مِنْهَا ....

وقت الصبح يحفظه اللّه تعالى إلى المساء، ومن نظر إليه وقت المغرب يحفظه اللّه تعالى إلى وقت الصباح، ومن نظر إليه من أول الشهر يحفظه اللّه تعالى إلى آخر الشهر من البلاء والآفات، ومن نظر إليه وقت السفر يصير ذلك السفر مباركا عليه، ومن مات في تلك السنة يختم اللّه له بالإيمان، بل وأرجو اللّه تعالى أن من نظر إليه بصدق المحبة والإيمان في عمره مرة واحدة يحفظه اللّه تعالى من جميع ما يكره إلى أن يلقى اللّه تعالى.

(**وعرقه**) بفتح العين والراء (**كاللؤلؤ**) في الصفاء والبياض (**وعرفه**) بسكون الراء، أي: رائحة عرقه (**أطيب**) أي: أشد ذكاء (**من النفحات**) أي: الروائح (**المسكية**) وعن أنس قال: دخل علينا رسول اللّه ﷺ فقال[1] عندنا فعرق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تَسْلُتُ العرقَ فيها، فاستيقظ ﷺ فقال: يا أم سُلَيم ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب، رواه مسلم.

(**ويتكفأ**) أي: يميل إلى قدامه (**في مِشيته**) بكسر الميم، أي: هيئة مشيه (**كأنما ينحطّ**) أي: ينزل (**من صبب**) بفتح الصاد المهملة والموحدة، أي: كأنما ينحدر من مرتفع، كما نقل عن الدلجي، ويؤيده أنه جاء في رواية: كأنما يهوي في صبوب، بفتح الصاد وضمها، فالمعنى: كأنما ينزل من علو إلى أسفل (**ارتقاه**) وهذه الراءُ تقرأ بالتفخيم وإن وقعت بعد الكسر لأنه عارض، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] (**وكان يصافح**) أي: النبي ﷺ (**المصافِح بيده**) ﷺ (**فيجد**) أي: المصافِح (**منها**) أي: من أجل يده ﷺ

---

(١) قوله: (**فقال**) وهو مِن: قَالَ يَقِيْلُ قَيْلا وقَيْلُوْلَة فهو قَائِلٌ، أي: نام منتصف النهار.

سَائِرَ الْيَوْمِ رَائِحَةً عَبْهَرِيَّةً * وَيَضَعُهَا عَلَىٰ رَأْسِ الصَّبِيِّ فَيُعْرَفُ مَسُّهُ لَهُ مِنْ بَيْنِ الصِّبْيَةِ وَيُدْرَاهُ * يَتَلَأْلَأُ وَجْهُهُ الشَّرِيْفُ تَلَأْلُؤَ الْقَمَرِ فِي اللَّيْلَةِ الْبَدْرِيَّةِ * يَقُوْلُ نَاعِتُهُ: لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَا بَشَرٌ يَرَاهُ * ....

وبسبب ريحها (**سائر اليوم**) أي: طول نهاره (**رائحة عبهرية**) بفتح العين وسكون الموحدة وفتح الهاء، منسوب لـ«عبهر»، وهو زهر البصل مما له رائة طيبة، قال ﷺ: «من أراد أن يشم رائحتي فليشم الورد الأحمر». (**ويضعها**) أي: يده الشريفة (**على رأس الصبي**) أي: مثلا (**فيُعرَف**) بصيغة المجهول، أي: فيميز (**مسه**) ﷺ (**له**) أي: الصبي (**من بين الصِّبْيَة**) الذين لم يصبهم مس النبي، بكسر الصاد وسكون الباء الموحدة، جمع «صبي»، ويجمع أيضا على «صبيان» بكسر الصاد وضمها (**ويدراه**) أي: يعلم مسه لذلك الصبي بسبب ريح يده ﷺ على رأس ذلك الصبي، والهاء للسكت والاستراحة، وعن أنس قال: «كان رسول اللّه ﷺ إذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب، وقالوا: مر رسول اللّه ﷺ من هذا الطريق (**يتلألأ وجهه الشريف**) أي: يضيء من كمال نوره وجمال ظهوره[1] (**تلألؤَ القمر**) أي: كإضاءته حال بدره وبدوره (**في الليلة البدرية**) وخص التشبيه للنبي بالبدر كما في حديث هند بن أبي هالة[2] لأنه زمان كماله، وسمي القمر ليلة أربعة عشر بالبدر لمبادرته الشمس للغروب ومبادرته إياها للطلوع في صباحها (**يقول ناعته**) أي: واصفه (**لم أر**) أحدا من الناس (**قبله**) أي: قبل وجوده ﷺ (**ولا بعده**) أي: بعد وجوده (**مثله**) أي: يساويه ﷺ في حسنه (**ولا بشر يراه**) بالبناء للفاعل، أي: لا إنسان يرى مثله ﷺ موجود، وذلك لكمال شمائله وشرف فضائله، فـ«لا» نافية للجنس عاملة عمل «إن»، و«بشر» مبني

---

(١) قوله: (**وجمال ظهوره**) وفي مطبعة طه فوترا القديمة: «وجمال نوره».

(٢) قال هند بن أبي هالة: «كان رسول اللّه ﷺ فخما مفخما، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر».

على الفتح في محل نصب، ولا يظهر نصب اسمها إلا إذا كان عاملا لما بعده في الرفع والنصب والخفض، وجملة «يراه» من الفعل والفاعل والمفعول صفة لـ«بشر»، وخبر «لا» محذوف، أي: موجود، لأن ذكر خبرها قليل، ويجوز رفع «بشر» على أن «لا» عاملة عمل «ليس» لكنه قليل حتى ادعى بعض النحاة أنه ليس بموجود، كذا ذكره ابن هشام في مغني اللبيب، قال بعضهم من بحر الكامل:

الأمر أعظم من مقالة قائل ❁ إن رقق البلغاء أو إن فخموا

ماذا يقول المادحون ومدحه ❁ حقا به نطق الكتاب المحكم

وقال بعضهم من بحر الطويل:

فبالغ وأكثر لن تحيط بوصفه ❁ وأين الثريا من يد المتناول

فقوله: «فبالغ» أي: في وصفه بما يليق به، وقوله: «لن تحيط» أي: لا يمكنك الإحاطة بوصفه، وقوله: «أين الثريا» هي نجوم إحدى عشرة كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ حين سئل عنها، وقوله: «من يد المتناول» أي: مريد التناول، فكذلك الإحاطة بوصفه ﷺ لا تمكن.

(عَطِّرِ اللَّهُمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيمَ ❊ بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيمِ)

❊ ❊ ❊

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ

وَكَانَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَدِيْدَ الْحَيَاءِ وَالتَّوَاضُعِ، يَخْصِفُ نَعْلَهُ ....

(اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْه)

(وكان) أي: رسول اللّٰه (ﷺ شديد الحياء) بالمد، وكان أشد حياء من العذراء[١] في خدرها[٢] (والتواضع) مع علو منصبه، ثم بيّن المصنف شيئا يدل على شدة تواضعه بقوله: (يخصف) بفتح الياء وكسر الصاد (نعله) أي: يخرزها ويطبق طاقا على طاق، وكان ﷺ يلبس النعال السبتية، بكسر السين وسكون الباء وكسر التاء الفوقية، وهي المدبوغة التي أزيل شعرها، وكانت نعلاه مخصوفتين، أي: مطبوقتين طاقا طاقا بالخرز، وكان لها قبالان، تثنية «قبال»، وهو أحد سيور النعل، وكان يدخل أحد القبالين بين الإبهام والتي تليها، والآخر بين الوسطى والتي تليها وهي البنصر، ويجمعان إلى السير الذي يظهر قدميه، وهو الشِّراك، وكانت نعله مخصرة، أي: مستدقة الوسط، وملسنة وهي التي فيها طول ولطافة على هيئة اللسان، قال السملاوي: واختلف العلماء في صفتها وطولها على سبع روايات، وقد اقتصرنا منها على رواية واحدة، وذكر بعضهم أن لصفتها خواص ومنافع، ونظمها في هذه الأبيات التي من بحر الرجز:

الحمد للّٰه الذي قد أعلا ۞ بلبس خير العالمين النعلا

وخصها بأشرف المناقب ۞ إذ باشرت رجل النبي العاقب

---

(١) قوله: (**العذراء**) أي: البكر، وجمعه: «عَذْرَاوات» و«عَذارَى» و«عَذَارٍ»، كذا في معجم المعاني.

(٢) قوله: (**في خدرها**) أي: في بيتها.

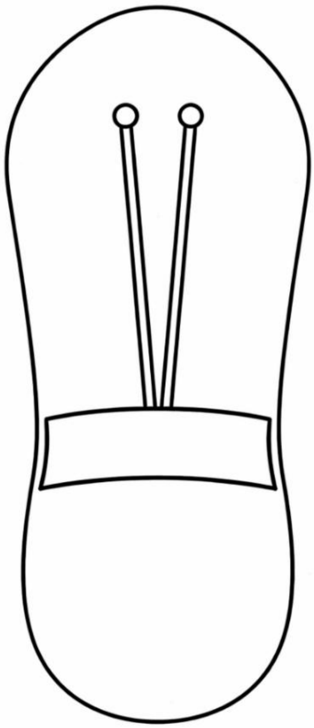
....

واعلم بأن للمثال الأطهر ۞ منافعا أعظم من أن تشهر
من ذاك أن مَن أدامَ حملَه ۞ نال قبول العالمين كله
وشاهد النبي في المنام ۞ أو زار قبره للاغتنام
وكل من أمسكه لديه ۞ فهو أمان يحتوي عليه
من بغي أو طغي من البغاة ۞ وغلبة الضد مع العداة
وكان حرزا من شرور المارد ۞ من الشياطين وكيد الحاسد
ومن يكن مصحوبه بقافله ۞ لم تر شمس أمنه بآفله
وإن يكن في موضع أو دار ۞ يأمن من نـهب وحرق نار
ومن تحمله على عمامته ۞ ينال ما أمل من أمامته
وساعد الأمان من له لزم ۞ ولم يكن قط بجيش فهزم
ومن توسله به مصرحا ۞ باسم الرسول في السؤال أنجحا
وما عسى أعدّ من منافع ۞ مثالها السامي بخير شافع
صلى عليه ربنا وسلما ۞ ماكسا البطاح بردا معلما

❊ ❊ ❊

....

وهذه صفة النعال:



وللحافظ العراقي في صفة النعل الشريف ومقدارها قال من بحر الرجز:

ونَعْلُهُ الكَرِيمَةُ المَصُونَةْ ۞ طُوبى لِمَنْ مَسَّ بِها جَبِينَهْ
لهَا قِبَالانِ بِسَيْرٍ وَهُمَا ۞ سِبْتِيَّتَانِ سَبَتُوْا شَعْرَهُمَا
وطُولُهَا شِبْرٌ وإصْبَعَانِ ۞ وعَرْضُها مِمَّا يَلي الكَعبَانِ
سَبْعُ أَصَابِعَ وبَطْنُ القَدَمِ ۞ خَمْسٌ وفَوقَ ذا فَسِتٌّ فاعلَمِ
وَرَأْسُهَا مُحَدَّدٌ وعَرْض مَا ۞ بَينَ القِبَالَينِ اصْبَعَانِ اضْبِطْهُمَا
وهَذِهِ تِمثَالُ تِلكَ النَّعْلِ ۞ ودورهَا أكْرِمْ بـها من نعل

وَيَرْقَعُ ثَوْبَهُ، وَيَحْلِبُ شَاتَهُ، وَيَسِيْرُ فِيْ خِدْمَةِ أَهْلِهِ بِسِيْرَةٍ سَرِيَّةٍ * وَيُحِبُّ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِيْنَ وَيَجْلِسُ مَعَهُمْ، وَيَعُوْدُ مَرْضَاهُمْ وَيُشَيِّعُ جَنَائِزَهُمْ، ....

اهـ كلام السملاوي. وفي شرح الشفاء: ومن أحسن ما قيل في مثال نعله ﷺ من بحر الوافر:

أمرغ في المثال بياض شيبي ۞ لما عقد النبي له قبالا
وما حب المثال يشوق قلبي ۞ ولكن حب من لبس النعالا

وقال بعضم من بحر الكامل:

يا لاحظا لمثال نعل نبيه ۞ قبّل مثال النعل لا تتكبرا
وَالْثِمْ له فلطالما عكفت به ۞ قدم النبي مروّحا ومبكرا
أو لا ترى أن المحب مقبل ۞ طللا وإن لم يلف فيه مخبرا

(**ويرقع**) بفتح الياء والقاف أو بضم الياء وكسر القاف مع التشديد كذا في شرح الشفاء (**ثوبه**) الذي نـهج (**ويحلب**) بضم اللام وتكسر (**شاته**)، ويعقل البعير، ويعلف ناضحه، ويأكل مع الخادم، ويعجن مع الخادمة، ويخدم نفسه، ويحمل بضاعته من السوق، (**ويسير في خدمة أهله**) أي: زوجاته (**بسيرة**) بكسر السين، أي: حالة (**سرية**) أي: حسنة، ويكنس البيت، ويفلي ثوبه تنظيفا لوسخه وكراهة لوجود قمله (**ويحب الفقراء والمساكين**) يأكل معهم (**ويجلس معهم**) قال ﷺ: «تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبراء اللّه وتخرجوا من الكبر» (**ويعود**) أي: يزور (**مرضاهم**) أي: المسلمين أبرارا كانوا أو فاجرين (**ويشيّع**) بتشديد التحتية، أي: يتبع (**جنائزهم**) أي: يخرج ﷺ مع الموتى إلى القبور،

وَلَا يَحْقِرُ فَقِيْرًا أَدْقَعَهُ الْفَقْرُ وَأَشْوَاهُ * وَيَقْبَلُ الْمَعْذِرَةَ، وَلَا يُقَابِلُ أَحَدًا بِمَا يَكْرَهُ، وَيَمْشِيْ مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَذَوِي الْعُبُوْدِيَّةِ * وَلَا يَهَابُ الْمُلُوْكَ، وَيَغْضَبُ لِلّٰهِ وَيَرْضٰى لِرِضَاهُ * وَيَمْشِيْ..

(**ولا يحقر**) بفتح الياء وكسر القاف، فهو متعد، بخلاف ما إذا ضم القاف فإنه لازم كما في المصباح، أي: لا يحتقر ﷺ (**فقيرا أدقعه**) بسكون الدال المهملة وبالقاف، أي: أذله (**الفقر**) أي: عدم المال، وهو بفتح الفاء وسكون القاف ويجوز ضم الفاء كما في الصحاح والقاموس والمصباح، مثل: «ضعف يضعف»، وفي الصحاح: «دقع الرجل» بكسر القاف، أي: لصق بالتراب ذلا وفقرا، «فهو مدقع» أي: ملصق بالدقعاء وهي التراب، وقولهم في الدعاء: رماه اللّه بالدوقعة، وهي الفقر والذل. (**وأشواه**) أي: أهانه وأبقاه على فقره، والضمير المستتر إلى الفقر الذي هو الصفة، والبارز يعود إلى الفقير الذي هو المتصف. (**ويقبل المعذرة**) أي: عذر المعتذر إليه ولو كانت أعذاره ليست حقيقتها، ووكل ﷺ إلى اللّه أحوال سرائرهم (**ولا يقابل**) أي: لا يواجه ﷺ (**أحدا بما يكره**) أي: الأحد، أي: حياء وكرم نفس، أي: لا يخاطبه بذلك تصريحا بل يظهره تلويحا أو لا يخاطبه حاضرا (**ويمشي**) ﷺ (**مع الأرملة**) أي: المرأة التي لا زوج لها لقضاء حاجتها، قال الأزهري: لا يقال «أرملة» إلا إذا كانت المرأة فقيرة، قال ابن السكيت، ويقال للرجال المحتاجين الضعفاء: «أرملة»، ويقال: قد جاءت أرملة من نساء ورجال محتاجين، (**وذوي العبودية**) أي: أصحاب الرق، بكسر الراء، لأنه يقال للملوك: عبد بين العبودية والعبدية والعبودة، والمعنى: أن رسول اللّه ﷺ يمشي مع الأرقاء لقضاء حاجتهم، وذلك لشدة تواضعه وكرم نفسه (**ولا يهاب الملوك**) أي: لا يخاف سطوة السلاطين (**ويغضب**) بفتح الضاد (**للّه**) لا لحظ نفسه وبسببها، ولا يقوم أحد من الخلق لدفع غضبه إذا تعرض أحد له في أمر ربه (**ويرضى**) ﷺ (**لرضاه**) سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه (**ويمشي**)

خَلْفَ أَصْحَابِهِ وَيَقُوْلُ: «خَلُّوْ ظَهْرِيْ لِلْمَلَائِكَةِ» الرُّوْحَانِيَّةِ * وَيَرْكَبُ الْبَعِيْرَ وَالْفَرَسَ ...

غالبا (**خلف أصحابه**) تواضعا لربه وتعليما لأصحابه، وهذا في الحضر، وأما في السفر فلزيادة مراعاة أضعف القوم ومحافظتهم من ورائهم، وكان ﷺ لا يدع أحدا يمشي خلفه (**ويقول**) في السير مبينا لهم حكمة ذلك: (**خلوا ظهري**) أي: دعوا خلفي (**للملائكة الروحانية**) بضم الراء، نسبة إلى «الروح» وهو المَلَك[1] (**ويركب**) ما أمكنه (**البعير**) أي: الجمل مرة، وله من الإبل ثلاثة يقال لها: القصواء والجدعاء والعضباء (**والفرس**) مرة أخر، وله من الخيل عشرة: السكب[2] وكان أدهم أغر محجلا، والسبحة[3]، والمرتجز[4] وكان أشقر، ولزاز[5] بكسر اللام، واللخيف[6]، والضرب[7]،............................

(١) قوله: (**وهو الملك**) ساقط في المطبعة العامرة.

(٢) قوله: (**السكب**) وهو أول فرس ملكه، اشتراه من أعرابي من بني فزارة بعشر أواق، وكان تحته يوم أحد.

(٣) قوله: (**السبحة**) وهو الذي سابق عليه فسبق ففرح به، اشتراه من رجل من جهينة بعشرين من الإبل، سمي بذلك لحسن مد يده في الجري.

(٤) قوله: (**المرتجِز**): وسمي بذلك لحسن صهيله، اشتراه من سواء بن الحارث المحاربي، وانطلق لينقده ثمنه، فأعطي أكثر من ذلك، فجحد بيع النبي ﷺ، فشهد خزيمة بن ثابت له بالمشترى، فقال له: «كيف تشهد ولم تحضر؟» قال: نصدقك بخبر السماء ولا نصدقك فيما في الأرض؟ فقال ﷺ: «من شهد له خزيمة أو شهد عليه .. فحسبه» فسمي: ذا الشهادتين.

(٥) قوله: (**لزاز**) أهداه له المقوقس، وكان يعجبه ويركبه في أكثر غزواته.

(٦) قوله: (**اللخيف**) بالخاء المعجمة. أهداه له ربيعة بن أبي البراء. وقال الواقدي: سمي اللخيف لأنه كان كالملخف بعرفه. ويقال: شبه بلخف جبل وصغر. وقال بعضهم: «اللحيف» بالحاء المهملة، وسمي بذلك لطول ذنبه كأنه يلحف الأرض بذنبه من أجل طوله.

(٧) قوله: (**الضرب**) ويقاله له: «الظرِب»، أهداه له فروة بن عمرو الجذامي.

وَالْبَغْلَةَ وَحِمَارًا بَعْضُ الْمُلُوكِ إِلَيْهِ أَهْدَاهُ ۞ وَيَعْصِبُ عَلَى بَطْنِهِ الْحَجَرَ مِنَ الْجُوعِ وَقَدْ .....

والورد[١]، والصرم، ومُلاوِح[٢]، والبحر[٣]. (**والبغلة**) له الشهباء مرة أخرى، وله من البغال ست، يقال لها: دلدل[٤]، وفضة[٥]، وأيلية[٦]، وأخرى أهداها له كسرى، وأخرى من دومة الجندل، وأخرى أهداها له أصحمة ملك الحبشة. (**و**) مرة يركب ﷺ (**حمارا الذي بعضُ الملوك**) وهو المقوقس (**إليه**) ﷺ (**أهداه**) أي: الحمار، وله من الحمار ثلاثة، يقال لها: عفير من المقوقس، ويعفور أهداه له فروة، والثالث من سعد بن عبادة. فتارة يركبه وحده وتارة أخرى مع غيره، وذلك من كمال تواضعه ﷺ مع قدرته على ركوب الفرس والبغل والناقة، وتارة يمشي راجلا حافيا، (**ويعصب**) بكسر الصاد، أي: يشد بمعصب (**على بطنه**) ﷺ (**الحجر من الجوع**) زهدا لا للعجز عن تدبير ما لابد منه في أمر المعيشة، وإنما شد ﷺ وسطه المبارك بالحجر تخفيفا لألم الجوع، لأن المعدة الخالية من الطعام تطلب حرارتها رطوبات الجسم فيتألم الإنسان بتلك الحرارة، فالحجر يبردها، (**وقد**) الواو

---

(١) قوله: (**الورد**) أهداه له تميم الداري، فأعطاه عمر، فحمل عليه عمر في سبيل اللّه، ثم أضاعه الذي حمله عليه عمر وأخرجه للبيع، فأراد عمر شراءه، فنهاه النبي ﷺ عن العود في هبته.

(٢) قوله: (**ملاوح**) بضم الميم وكسر الواو، وكان لأبي بردة بن دينار فأهداه له.

(٣) قوله: (**البحر**) اشتراه من تجار قدموا من اليمن، فسبق عليه ثلاث مرات، فمسح ﷺ وجهه وقال: «ما أنت إلا بحر».

(٤) قوله: (**دلدل**) أهداها له المقوقس، وعاشت إلى زمن معاوية. وكانت بعد النبي ﷺ عند عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فشهد عليها يوم النهروان، وقاتل عليها الخوارج. ثم كانت بعده عند عبد اللّه بن جعفر، فكان يجش أو يدق لها الشعير، وقد ذهبت أسنانها.

(٥) قوله: (**فضة**) أهداها له فروة بن عمرو الجُذامي، فوهبها لأبي بكر.

(٦) قوله: (**آيلية**) أهداها له ملك أَيلةَ.

أُوْتِيَ مَفَاتِيحَ الْخَزَائِنِ الْأَرْضِيَّةِ * وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ بِأَنْ تَكُوْنَ لَهُ ذَهَبًا فَأَبَاهُ * ....

للحال من فاعل «يعصب»، أي: يفعل ذلك والحال أنه ﷺ قد (أوتي) بضم الهمزة ومدها وهو مبني للمفعول، أي: أعطي ﷺ (مفاتيح الخزائن الأرضية) كما روي أنه ﷺ قال: «أوتيت بمقاليد الدنيا(١) على فرس أبلق(٢)، عليه قطيفة من سندس»، وفي رواية: «أوتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت بين يدي». (وراودته الجبال) أي: طلبت منه ﷺ الجبال العوالي بالامتحان (بأن تكون) أي: الجبال (له) ﷺ (ذهبا فأباه) أي: كره رسول اللّه كون الجبال ذهبا له.

روي في الحديث أن جبريل نزل عليه فقال: إن اللّه يقرئك السلام، ويقول لك: أتحب أن أجعل هذه الجبال، أي: من أبي قبيس وغيره مما حولي مكة وأطرافها ذهبا وتكون، أي: جبال الذهب معك حيثما كنت فأطرق ساعة، ثم قال: «يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له»، أي: في الآخرة «يجمعها من لا عقل له»، فقال له حبريل: ثبّتك اللّه يا محمد بالقول الثابت، كذا في الشفاء وشرحه، قال التلمساني: هنا مسئلة وهي أن من قال: مالي صدقة على أعقل الناس، فأفتى الفقهاء: بأنه يعطي الزهاد، لأن العاقل من طلق الدنيا، وأنشدوا من بحر الرمل المجزوء:

طلّق الدنيا ثلاثا ۞ واطلبن زوجا سواها
إنها زوجة سوء ۞ لا تبالي من أتاها
أنت تعطيها مناها ۞ وهي تعطيك قفاها
فإذا نالت مناها ۞ منك ولتك وراها

---

(١) قوله: (**بمقاليد الدنيا**) أي: بمفاتيح خزائن الدنيا.

(٢) قوله: (**على فرس أبلق**) أي: لونه مخلط ببياض وسواد.

وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقِلُّ اللَّغْوَ، وَيَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلَامِ، وَيُطِيْلُ الصَّلَاةَ وَيَقْصُرُ الْخُطَبَ الْجُمَعِيَّةَ * وَيَتَأَلَّفُ أَهْلَ الشَّرَفِ، وَيُكْرِمُ أَهْلَ الْفَضْلِ، وَيَمْزَحُ ....

(**وكان**) أي: رسول اللّه (ﷺ **يقل اللغو**) أي: الكلام الذي لم يرده، فلا يتكلم في غير حاجة من قضية ضرورية دينية أو دنيوية أو مسألة علمية أو عملية، ويعرض عمن تكلم بغير جميل، ويكثر السكوت لتفكره في مشاهدة الملكوت وتذكره مطالعة الجبروت (**ويبدأ**) أي: يبتدئ، وفي رواية: «ويبدر» بضم الدال والراء، أي: يتبادر (**من لقيه بالسلام**) لأنه الأكمل ولأنه محصل للثواب الأفضل لما فيه من التواضع أولا والتسبب لفرض الجواب ثانيا، ويبدأ أصحابه بالمصافحة، قال التلمساني: وصفتها وضع بطن الكف على بطن الأخرى عند التلاقي مع ملازمة ذلك على قدر ما يقع من السلام أو من السؤال، وأما اختطاف اليد في إثر التلاقي فهو مكروه كذا في شرح الشفاء. (**ويطيل الصلاة**) أي: التي يطلب فيها الإطالة كالجمعة والظهر والصبح، وذلك في حال دون حال، ووقت دون وقت (**ويقصر**) بفتح الياء وضم الصاد، وهو من باب «قتل» وهذه هي اللغة التي جاء بها القرآن، وفي لغة قليلة يتعدى بالهمزة والتضعيف (**الخطب**) بضم الخاء وفتح الطاء، جمع «خطبة» بسكون الطاء (**الجمعية**) أي: المنسوبة للجمعة نسبة الشرط للمشروط فيه، وهو بضم الميم لغة الحجاز، وبفتحها لغة بني تميم، وبإسكانها لغة عقيل. وذلك لئلا يسأم السامعون ولأن الخطبة مقدمة للصلاة ليست مقصودة لذاتها، بخلاف الصلاة فإنها مقصودة لذاتها (**ويتألف**) أي: يستميل[1] (**أهل الشرف**) في قومهم، فيجتمع معهم ويؤنسهم بالبر لهم (**ويكرم أهل الفضل**) أي: في الأخلاق، ويصل ذوي رحمه من غيره أن يقدمهم على من هو أفضل منهم (**ويمزح**) أي: يستلمح الكلام والفعل من غير إيذاء مع أصحابه من الرجال

---

(١) قوله: (**أي: يستميل**) وفي المطبعة العامرة: «أي: يتحاب».

وَلَا يَقُوْلُ إِلَّا حَقًّا، يُحِبُّهُ اللهُ تَعَالَى وَيَرْضَاهُ * وَهَاهُنَا وَقَفَ بِنَا جَوَادُ الْمَقَالِ عَنِ الْإِطِّرَادِ فِي الْحَلْبَةِ الْبَيَانِيَّةِ * وَبَلَغَ ظَاعِنُ الْإِمْلَاءِ فِيْ فَدَافِدِ الْإِيْضَاحِ مُنْتَهَاهُ *

عَطِّرِ اللّٰهُمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمٍ

والنساء والكبار والصغار (ولا يقول) في مزحه وغضبه وغيرهما (إلا) قولا (حقا) أي: صوابا (يحبه اللّه تعالى) أي: يثيبه (ويرضاه) ويأذن به. (وها هنا وقف بنا جواد المقال) وهذه الإضافة من إضافة المشبه به للمشبه، أي: سكت المقال الفصيح الدال على المعنى اللطيف المشبه بالفرس الرائع، أي: الحديد الفؤاد كذا في الصحاح، وهذا إشارة إلى أن عبارات هذه القصة في غاية البلاغة وفي غاية الدقة في دلالة المعاني (عن الاطراد) بكسر الطاء المشددة بعد «أل» المعرفة، أي: الجري (في الحلبة) بفتح الحاء المهملة وبتسكين اللام وبالباء الموحدة، أي: مع الخيل، فـ«في» بمعنى «مع» (البيانية) أي: المتفرقة التي تخرج من كل ناحية، فإن معنى الحلبة: الخيل التي تجمع للسباق من كل ناحية ولا تخرج من اصطبل واحد، يقال: جاءت الفرس في آخر الحلبة، أي: في آخر الخيل كذا في الصحاح والمصباح، و«البيانية» صفة لـ«الحلبة»، ولذلك فسرناها بهذا التفسير فإنه أنسب كما لا يخفى، وفي ذلك إشارة إلى أن المصنف أخذ هذه القصة من كتب كثيرة (وبلغ) أي: وصل (ظاعن) بالظاء المشالة، أي: سائر (الإملاء) أي: إلقاء الكلام (في فدافد الإيضاح) وهذه الإضافة من إضافة المشبه به للمشبه، أي: في الإيضاح المشبه بالفدافد التي هي الأرض المستوية في عدم الخفاء، فإن في هذا الكتاب بسط القصة وتطويل اللهجة، والجار والمجرور متعلق بـ«ظاعن» (منتهاه) أي: نهاية الإملاء، وهو مفعول به لـ«بلغ».

(عَطِّرِ اللّٰهُمَّ قَبْرَهُ الْكَرِيْمَ * بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَتَسْلِيْمٍ)

* * *

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ

اَللّٰهمَّ يَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ بِالْعَطِيَّةِ * يَا مَنْ إِذَا رُفِعَتْ إِلَيْهِ أَكُفُّ الْعَبْدِ كَفَاهُ * يَا مَنْ تَنَزَّهَ فِيْ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ الْأَحَدِيَّةِ * عَنْ أَنْ يَكُوْنَ لَهُ فِيْهَا نَظَائِرُ وَأَشْبَاهُ * يَا مَنْ تَفَرَّدَ بِالْقِدَمِ وَالْبَقَاءِ وَالْأَزَلِيَّةِ * يَا مَنْ لَا يُرْجى غَيْرُهُ وَلَا يُعَوَّلُ عَلٰى سِوَاهُ * يَا مَنِ اسْتَنَدَ الْأَنَامُ إِلٰى قُدْرَتِهِ الْقَيُّوْمِيَّةِ * وَأَرْشَدَ ....

(اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْه)

(**اللهم يا باسط اليدين**) أي: موسع السلطنة والتصرف (**بالعطية**) أي: بإعطاء أرزاق الأرواح والأشباح فلا منع عليه تعالى (**يا من إذا رفعت إليه**) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (**أكف العبد كفاه**) مؤنته (**يا من تنزه في ذاته**) سبحانه تبارك وتعالى (**وصفاته الأحدية**) أي: المنفردة (**عن أن يكون له**) أي: لذاته (**فيها**) أي: صفاته (**نظائر**) أي: من يشاركونه في صفة واحدة (**وأشباه**) أي: من يشاركونه في أكثر الصفات، وفهم من ذلك عدم الأمثال بالأولى، وهم من يشاركونه في جميع الصفات، والمجروران متعلقان بـ«تنزه»، (**يا من تفرد بالقدم**) أي: عدم افتتاح الوجود (**والبقاء**) أي: عدم اختتام الوجود (**والأزلية**) بفتح الزاي، أي: بكونه تعالى عديم الزوال، فوجوده قبل وجود الخلق وبعده، وأصل الأزلي قولهم: للقديم لم يزل، ثم نسب إلى هذا، فلم يستقم إلا باختصار، فقالوا: يزلي، ثم أبدلت الياء ألفا لأنها أخف، فقالوا: أزلي. (**يا من لا يرجى غيره**) في قضاء الحاجات الدنيوية والأخروية (**ولا يُعَوَّلُ**) أي: لا يعتمد ولا يستعان (**على سواه، يا من استند الأنام**) أي: اعتمد الخلق (**إلى قدرته القيومية**) أي: القائمة بذاته تعالى لا تنفك عنه (**وأرشد**) أي: هدى إلى سواء الصراط

بِفَضْلِهِ مَنِ اسْتَرْشَدَهُ وَاسْتَهْدَاهُ * نَسْأَلُكَ بِأَنْوَارِكَ الْقُدْسِيَّةِ * الَّتِيْ أَزَاحَتْ مِنْ ظُلُمَاتِ الشَّكِّ دُجَاهُ * وَنَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِشَرَفِ الذَّاتِ الْمُحَمَّدِيَّةِ * وَمَنْ هُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ بِصُوْرَتِهِ وَأَوَّلُهُمْ بِمَعْنَاهُ * وَبِآلِهِ كَوَاكِبِ أَمْنِ الْبَرِيَّةِ وَسَفِيْنَةِ السَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ * ....

(**بفضله من استرشده**) أي: طلب منه الرشد، أي: الاستقامة على طريق الحق (**واستهداه**) أي: طلب منه الهداية في دينه ودنياه (**نسألك**) متوسلين (**بأنوارك القدسية**) بضم القاف وسكون الدال أو ضمها، أي: المنزهة عن النقص (**التي أزاحت**) أي: أذهبت تلك الأنوار (**من ظلمات الشك دجاه**) أي: ليالي الشك، وقوله: «من ظلمات» بيان لـ«الدجى»، والضمير عائد لـ«الشك»، (**ونتوسل إليك**) يا اللّه أولا (**بشرف الذات المحمدية**) أي: المنسوبة لـ«محمد»، نسبة المسمى للاسم (**ومن هو آخر الأنبياء بصورته**) أي: بجسمه وشخصه (**وأولهم بمعناه**) أي: بحقيقته ونوره الذي هو حقيقةٌ خلقها اللّه تعالى وسماها نورا، وليس المراد بالنور هنا ما قابل الظلمة بل هو حقيقة لا يعلم كنهها إلا اللّه تعالى، وقيل: إنها متشكلة على صورته ﷺ في الوجود الخارجي، والأسلم الوقف، وحكي أن آدم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ عند اجتماعه به ﷺ ليلة الإسراء قال: مرحبا بابن صورتي وأبي معناي، فآدم هو الأب ظاهرا، وسيدنا محمد هو الأب في المعنى، (**و**) نتوسل إليك يا اللّه ثانيا (**بآله**) أي: بأهل بيته ﷺ (**كواكب أمن البرية**) اي: الخلق من المخاوف (**وسفينة السلامة**) أي: من الآفات (**والنجاة**) أي: الخلاص من المهالك، وروي أن النبي ﷺ قال: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض من الاختلاف، فإذا خالفهم قبيلة من العرب اختلفوا، فصاروا حزب إبليس»، وروي أنه ﷺ قال: «النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض» رواه البزار عن ابن عباس وعن ابن الزبير، وروى الحاكم عن أبي ذر

وَبِأَصْحَابِهِ أُوْلِي الْهِدَايَةِ وَالْإِرْشَادِيَّةِ * الَّذِيْنَ بَذَلُوْا نُفُوْسَهُمْ لِلّٰهِ يَبْتَغُوْنَ فَضْلًا مِنَ اللّٰهِ * وَبِحَمَلَةِ شَرِيْعَتِهِ أُوْلِي الْمَنَاقِبِ وَالْخُصُوْصِيَّةِ * الَّذِيْنَ اسْتَبْشَرُوْا بِنِعْمَةٍ وَفَضْلٍ مِنَ اللّٰهِ *...

أنه ﷺ قال: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»، وقال المناوي: ولهذا ذهب جمع إلى أن قطب الأولياء في كل زمن لا يكون إلا منهم (**و**) نتوسل إليك يا اللّه ثالثا (**بأصحابه أولي الهداية**) إلى طريق الحق (**والإرشادية**) أي: إصابة الصواب، وفي بعض النسخ: «والأفضلية» (**الذين بذلوا**) أي: أعطوا عن طيب قلوبهم (**نفوسهم**) وفي نسخة: «أنفسهم»، أي: أرواحهم ودماءهم (**للّه**) بمحاربة الكفار (**يبتغون**) أي: يطلبون بذلك (**فضلا من اللّه**) في الآخرة، قال ﷺ: «مثل أصحابي في أمتي مثل الملح في الطعام» رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس، إذ بهم صلاح الدين والدنيا.

(**و**) نتوسل إليك يا اللّه رابعا (**بحملة**) بفتح أحرفه الثلاثة (**شريعته**) ﷺ (**أولي المناقب**) أي: أصحاب الأفعال النفيسة (**والخصوصية**) بظهور الفضائل (**الذين استبشروا**) بالبناء للفاعل، أي: فرحوا (**بنعمة**) جزاء بما عملوا (**وفضل**) أي: زيادة من جزاء الأعمال (**من اللّه**)، والمراد بذلك العلماء العاملون، قال اللّه تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللّٰهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا مِنْكُمْ وَالَّذِيْنَ أُوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] وقال تعالى: ﴿لِلَّذِيْنَ أَحْسَنُوا الْحُسْنٰى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقال ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره» وليس لهذا الحديث محل للتردد في فضل الأول على الآخر، فإن القرن الأول هم المفضلون على سائر القرون من غير شك ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وإنما المراد نفعهم في بث الشريعة، والمراد عدم التفاوت لاختصاص كل طبقة منهم بخاصية توجب خيريتها، كما أن كل نوبة من نوب المطر لها فائدة في النماء لا يمكن إنكارها، كما نقله العزيزي عن

أَنْ تُوَفِّقَنَا فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ لِإِخْلَاصِ النِّـيَّةِ * وَتُنْجِحَ لِكُلٍّ مِنَ الْحَاضِرِيْنَ مَطْلَبَهُ وَمُنَاهُ * وَتُخَلِّصَنَا مِنْ أَسْرِ الشَّهَوَاتِ وَالْأَدْوَاءِ الْقَلْبِيَّةِ * وَتُحَقِّقَ لَنَا مِنَ الْآمَالِ مَا بِكَ ظَنَنَّاهُ * وَتَكْفِيَنَا كُلَّ مُدْلَهِمَّةٍ وَبَلِيَّةٍ * وَلَا تَجْعَلَنَا مِمَّنْ أَهْوَاهُ هَوَاهُ * وَتَسْتُرَ لِكُلٍّ مِنَّا حَصْرَهُ وَعَجْزَهُ وَعِيَّه * ....

العلقمي والمناوي. (أن توفقنا في الأقوال والأعمال لإخلاص النية) فقوله: «أن توفقنا» مفعول ثان لقوله «نسألك»، ومثله جميع ما عطف عليه، وقوله: «ونتوسل» إلى آخر ما عطف عليه جملة معترضة بين العامل والمعمول، وهو في الحقيقة معطوف على قوله «بأنوارك القدسية» لأن الباء للوسيلة (و) نسألك أن (تُنْجِح) بضم التاء وكسر الجيم، أي: تقضي (لكل من الحاضرين) لأجل هذه القصة (مطلبه) وهو مصدر ميمي بمعنى اسم المفعول، أي: مطلوبه (ومناه) بضم الميم جمع «منية»، أي: جميع ما يقدر حصوله.

(و) نسألك أن (تخلصنا) بتشديد اللام (من أسر الشهوات) أي: قيدها أو جميعها (والأدواء) أي: الأمراض، وهو جمع «داء» مثل «باب» و«أبواب» (القلبية) كالكبر والرياء والعجب والحسد والحقد والأمن من مكر اللّه والقنوط من رحمة اللّه (و) نسألك أن (تحقق) أي: تجعل ثابتا لازما (لنا من الآمال) أي: جميع ما ترقبناه، وهو بيان لما بعده (ما بك ظننناه) من أنك تقضي حاجاتنا وتعيننا على أمرنا (و) نسألك أن (تكفينا كل مدلهمة) بضم الميم وسكون الدال وفتح اللام وكسر الهاء وشد الميم، أي: مظلمة في القلب ومحزنة فيه من أذية شيطان وإنسان (وبلية) أي: محنة. (و) نسألك أن (لا تجعلنا ممن أهواه) أي: أسقطه من مقام أعلى إلى مقام أسفل (هواه) أي: ميل نفسه إلى أمر مذموم شرعا وعادة (و) نسألك أن (تستر لكل منّا) أي: معشر المسلمين (حصره) أي: حبسه من الخروج إلى المطلوبات (وعجزه) عن أداء العبادات (وعيه) بكسر العين وشد الياء، أي:

وَتُسَهِّلَ لَنَا مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ مَا عَزَّ ذُرَاهُ * وَتُدْنِيَ لَنَا مِنْ حُسْنِ الْيَقِيْنِ ....

تحيره في أمر القربات. (و) نسألك أن (تسهل لنا من صالح الأعمال) وهذا بيان لما بعده (ما عزّ) أي: عسر (ذراه) أي: أعاليه، فـ«ما» مفعول لـ«تسهل»، والمعنى: نسألك أن تسهل لنا الارتقاء إلى أعالي ما عسر الصعود إليه من الأعمال الصالحة، و«ذرى» جمع «ذروة» بكسر الذال وضمها، وهي من كل شيء أعلاه (و) نسألك أن (تدني) أي: تقرب (لنا من حسن اليقين) وهو علم المشاهدة، فإنه أعلى مراتب اليقين، قال الرازي: واليقين مَركب الآخذ في هذا الطريق[١]، وهو غاية درجات العامة[٢] وأول خطوة الخاصة[٣]، وعلم اليقين هو قبول ما ظهر من الحق[٤] وقبول ما غاب للحق[٥] والوقوف على ما قام بالحق[٦]،

(١) قوله: (**مركب الآخذ في هذا الطريق**)، يعني مركب الشارع في هذا الطريق، كما تقول: أخذ فلان يتكلم، أي: شرع يتكلم، واستعار ذكر المركب لليقين لأن المركب هي التي تحمل المسافر، وكذلك اليقين هو الذي يحمل الطالب على السفر وارتكاب الأهوال، ولولا اليقين ما ثبت قدم أحد في السلوك إلى اللّه تعالى.

(٢) قوله: (**وهو غاية درجات العامة**)، يعني أن العُباد إذا ترقوا فإليه ينتهون. وقال عبد الرزاق القاساني في شرح منازل السائرين: يعني أنه نهاية ما يرتقي إليه العُباد من أهل الظاهر، وبه يمكن الانتقال إلى درجات الخاصة.

(٣) قوله: (**وأول خطوة الخاصة**)، يعني أن قوما من أهل الطريق يرون أنه أول خطوة الخاصة، وليس هو أول مقام، لكن منه يبتدئ السلوك، فهو مبدأ الخطوة الأولى من سلوك الخاصة.

(٤) قوله: (**قبول ما ظهر من الحق**) أي: قبول ما جاءت به الرسل من الإيمان والإسلام والأحكام، وأثبتوه بالمعجزات الصادرة من اللّه تعالى الدالة على أنه من الحق.

(٥) قوله: (**وقبول ما غاب للحق**) أي: قبول ما أخبرنا به الرسل من أمر الآخرة ومن كل غائب عنا، فإنا قبلناه للحق تعالى، أي: لأجله، أو لأجل الحق الذي ظهر لنا بالمعجزة.

(٦) قوله: (**والوقوف على ما قام بالحق**)، والوقوف هنا الكشف الصوري وهو مثل المنامات والرؤيا =

قُطُوْفًا دَانِيَةً جَنِيَّةً * وَتَمْحُوَ عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ جَنَيْنَاهُ * وَتَعُمَّ جَمْعَنَا هٰذَا مِنْ خَزَائِنِ مِنَحِكَ السَّنِيَّةِ * بِرَحْمَةٍ وَمَغْفِرَةٍ، وَتُدِيْمَ عَمَّنْ سِوَاكَ غِنَاهُ * اَللّٰهُمَّ اِنَّكَ جَعَلْتَ لِكُلِّ سَائِلٍ مَقَامًا وَمَزِيَّةً * ....

قال ﷺ: «خير ما ألقي في القلب اليقين» كما ذكره الشربيني، والجار والمجرور بيان للذي يذكر بعد. (قطوفا) أي: ثمارا، وهو بضم القاف جمع «قطف» بكسرها بمعنى «عنقود» (دانية) أي: قريبة المأخذ سهلة التناول كما قاله الشربيني (جنية) أي: مجنية مع الطراوة، وشبه اليقين بالثمار في النفع. (و) نسألك أن (تمحو عنا كل ذنب جنيناه) أي: أذنبناه.

(و) نسألك أن (تعمّ جمعنا هذا) أي: المجتمعين لأجل هذه القصة الشريفة ولو مباشرين من غير سماعها (من خزائن منحك) أي: عطاياك، وهو بكسر الميم وفتح النون جمع «منحة» بسكون النون (السنية) أي: الرفيعة، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من قوله: «برحمة ومغفرة» لأن نعت النكرة إذا قدم على المنعوت صار حالا (برحمة) أي: عطاء، والجار والمجرور متعلق بـ«تعم» (ومغفرة) أي: ستر الذنوب، (و) نسألك أن (تديم عمن سواك) أي: غيرك (غناه) بكسر الغين وبالقصر، أي: عدم احتياج جمعنا هذا، وقد أشار عوض الغمراوي إلى معاني «الغنى» مع لغاته بقوله من بحر الرجز:

معنى الغنى بالكسر والقصر اليسار ۞ وإن يمد فهو صوت ذو انتشار

بالفتح والقصر هو الإقامة ۞ والنفع إن مد أو الكفاية

(اللهم إنك جعلت لكل سائل) أي: طالب حاجة منك (مقاما) أي: منزلة (ومزية)

= الصادقة، ومبادئ أنوار توحيد الأفعال، والإخبار بالمغيبات مما فيه خرق عادة بطريق الكرامات، فإن الاطلاع على ذلك بالحق.

وَلِكُلِّ رَاجٍ مَا أَمَّلَهُ وَرَجَاهُ * وَقَدْ سَأَلْنَاكَ رَاجِيْنَ مَوَاهِبَكَ اللَّدُنِّيَّةَ * فَحَقِّقْ لَنَا مَا مِنْكَ رَجَوْنَاهُ * اَللّٰهمَّ أَمِّنِ الرَّوْعَاتِ وَأَصْلِحِ الرُّعَاةَ وَالرَّعِيَّةَ * وَأَعْظِمِ الْأَجْرَ لِمَنْ جَعَلَ هٰذَا الْخَيْرَ فِيْ هٰذَا الْيَوْمِ ....

أي: فضيلة (و) جعلت (لكل راج) أي: منك (ما أمّله) أي: شيئا نظر إليه مستبينا له (ورجاه) أي: ترقبه (وقد سألناك راجين) حال من الفاعل (مواهبك اللدنية) بتشديد النون والياء، أي: التي تأتي من عندك من غير تعب منا ولا كسب، وقوله: «مواهبك» معمول لكل من «سألناك» و«راجين» على سبيل التنازع (فحقّق) أي: أثبت[1]، كما في الصحاح عن أبي عبيد (لنا ما منك رجوناه).

(اللهم أمّن[2] الروعات) أي: سلمنا من المفزعات في خلدنا، وهو منصوب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم (وأصلح الرعاة) بضم الراء جمع «راع» مثل «قاض» و«قضاة» (والرعية) بفتح الراء وكسر العين وشد الياء، والرعاة هم الأمراء والحكام لقيامهم بتدبير الناس وسياستهم، والرعية هو عامة الناس، والرعاة أيضا: أصحاب العيال والأملاك، والرعية: الزوجات والأولاد والبهائم وغيرهم من المحفوظات (وأعظم الأجر) أي: الثواب والجزاء (لمن جعل هذا الخير) وهو الوليمة لهذه القصة، وكذا من يعينه من الحاضرين في هذا المجلس والمباشرين (في هذا اليوم) أي: الوقت نهارا كان أو ليلا كما في المصباح، وقال القليوبي: وقد يطلق «اليوم» على ما يشمل الليلة وعلى الزمان مطلقا كيوم الأحزاب، وكقول الشاعر من بحر المتقارب:

فيوم علينا ويوم لنا ۞ ويوم نُسَاءُ ويوم نُسَرُّ

---

(١) قوله: (أي: أثبت) وفي مطبعة طه فوترا القديمة: «أي: آت».

(٢) قوله: (أمن) بقصر الهمزة وشد الميم المكسورة، أو بمد الهمزة وتخفيف الميم المكسورة.

وأَجْرَاهُ * اَللّٰهمَّ اجْعَلْ هٰذِهِ الْبَلْدَةَ وَسَائِرَ بِلَادِ الْإِسْلَامِ آمِنَةً رَخِيَّةً * وَاسْقِنَا غَيْثًا يَعُمُّ انْسِيَابُ سِيْبِهِ السَّبْسَبَ وَرُبَاهُ * وَاغْفِرْ لِنَاسِخِ هذِهِ الْبُرُوْدِ الْمُحَبَّرَةِ الْمَوْلِدِيَّةِ * جَعْفَرٍ مَنْ إِلٰى الْبَرْزَنْجِيِّ نِسْبَتُهُ وَمُنْتَمَاهُ * ....

(**وأجراه**) أي: من جعل هذا الخير جاريا في كل شهر أو عام. (**اللهم اجعل هذه البلدة**) أي: التي كنا فيها حال اجتماعنا هذا (**وسائر**) أي: باقي (**بلاد المسلمين آمنة**) أي: من المخاوف كناهب وسارق وظلمة الولاة (**رخية**) أي: متسعة العيش (**واسقنا**) بالوصل والقطع (**غيثا**) أي: مطرا (**يعم انسياب**) بالياء التحتية بعد السين المكسورة، أي: جريان (**سيبه**) بكسر السين كما في الصحاح والقاموس، أي: مجرى الغيث (**السبسب**) بالسينين المفتوحتين، بينهما باء موحدة ساكنة، أي: الأرض المستوية كما في القاموس، فقوله: «انسياب» بالرفع فاعل لـ«يعم»، والجملة من الفعل والفاعل في محل نصب نعت لـ«غيثا»، والرابط بين النعت والمنعوت: الهاء في المضاف إليه العائدة إلى المنعوت (**ورباه**) بضم الراء وكسرها، جمع «ربوة» بضم الراء في الأكثر، وفتحها في لغة بني تميم، وكسرها في لغة أخرى، أي: الأمكنة المرتفعة بذلك السبسب (**واغفر لناسج**) بالجيم (**هذه البرود**) أي: الثياب المخططة (**المحبرة**) بفتح الحاء والباء المشددة، أي: المحسنة كما في الصحاح، والمراد: واغفر لمؤلف هذه القصة النفيسة (**المولدية**) أي: المنسوبة لـ«المولد»، نسبة الدال للمدلول (**جعفر**) بالصرف، لأنه ليس من أوزان الفعل المانعة للصرف (**من إلى**) السيد رسول (**البرزنجي**) نسبة إلى «برزنج» قرية في سواد العراق (**نسبته ومنتماه**) أي: استناده وارتفاعه، فالسيد جعفر هذا هو: ابن السيد حسن بن السيد عبد الكريم بن السيد محمد المدني بن السيد رسول البرزنجي. قال بعضهم: «البرزنجي» نسبة إلى «برزنجة» وهي الآن قرية صغيرة في الأكراد، بناها السادة الكرام حين هربوا من الحَجاج إلى تلك الصحراء،

وَحَقِّقْ لَهُ الْفَوْزَ بِقُرْبِكَ وَالرَّجَاءَ وَالْأُمْنِيَّةَ * وَاجْعَلْ مَعَ الْمُقَرَّبِيْنَ مَقِيْلَهُ وَسُكْنَاهُ * وَاسْتُرْ لَهُ عَيْبَهُ وَعَجْزَهُ وَحَصْرَهُ وَعِيَّهُ * وَلِكَاتِبِهَا وَقَارِئِهَا وَمَنْ أَصَاخَ إِلَيْهِ سَمْعَهُ وَأَصْغَاهُ * وَصَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَىٰ أَوَّلِ قَابِلٍ لِلتَّجَلِّيْ مِنَ الْحَقِيْقَةِ الْكُلِّيَّةِ * وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ نَصَرَهُ وَوَالَاهُ * مَا شُنِّفَتِ الْآذَانُ مِنْ وَصْفِهِ الدُّرِّيِّ بِأَقْرَاطٍ جَوْهَرِيَّةٍ * ....

فاصل معنى «بر»: «صحراء» ومعنى «زنجة» بلغتهم «بيت من قصب»، فسقفه وجداره من قصب واحد.[1] (**وحقّق له**) أي: جعفر (**الفوز**) أي: الظفر (**بقربك**) في الشرف في أعلى الجنان (**والرجاءَ**) أي: المرجو (**والأمنية**) بضم الهمزة، أي: منتماه، وجمعها: «أماني»، (**واجعل مع المقربين**) منك قربا معنويا (**مقيله**) بفتح الميم وكسر القاف، أي: محل استراحته (**وسكناه**) أي: محل استقراره (**واستر له**) أي: جعفر (**عيبه**) أي: ما يشينه (**وعجزه**) أي: ضعفه عن أداء ما ينبغي (**وحصره**) أي: عن الكلام (**وعيه**) أي: تحيره في الكلام الذي ينبغي (**ولكاتبها**) أي: البرود التي يراد بها القصة (**وقارئها ومن أصاخ إليه**) أي: القارئ (**سمعه**) أي: من استمع للقارئ بسمعه (**وأصغاه**) أي: أمال سمعه إليه.

(**وصل وسلم على أول قابل للتجلي**) أي: انكشاف القلب بأنوار الغيوب (**من الحقيقة الكلية**) أي: من النوع الإنسي وهو سيدنا محمد ﷺ (**وعلى آله وصحبه ومن نصره**) باتباع شريعته (**ووالاه**) أي: أكرمه بحب أمره ونهيه (**ما**) مصدرية ظرفية (**شنفت**) أي: زينت (**الآذان من**) سماع (**وصفه**) ﷺ (**الدرّيّ**) بضم الدال المهملة وشد الراء والياء، أي: المنوسبة لـ«الدر» الذي هو اللؤلؤ العظيم، وهو نسبة المشبه للمشبه به (**بأقراط**) وهي ما علقت في شحمة الآذان (**جوهرية**) والجار والمجرور متعلق بـ«شنفت»، وقوله: «من

---

(١) قوله: (**قال بعضهم: البرزنجي نسبة إلى برزنجة...إلخ**) هذه العبارة ساقطة في مطبعة طه فوترا القديمة.

وَتَحَلَّتْ صُدُوْرُ الْمَحَافِلِ الْمُنِيْفَةِ بِعُقُوْدِ حُلَاهُ *

وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيْمِ عَلٰى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ، وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُوْنَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِيْنَ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ.

وصفه الدري» بيان لـ«أقراط جوهرية» وهو متعلق بمحذوف حال من المبين (و) ما (تحلّت) أي: تزينت (صدورُ) أي: أوائل (المحافل) أي: المجالس (المنيفة) بضم الميم وكسر النون، أي: الزائدة على غيرها بسبب أنواع الفرش ونحوها، فـ«المنيفة» صفة لـ«المحافل» أو لـ«صدور» (بعقود) أي: قلائد (حلاه) بكسر الحاء على الأفصح وقد تضم، أي: صفاته ﷺ، فإن أعلى المجالس: محل قارئ هذه القصة غالبا، والجار والمجرور متعلق بـ«تحلت»، وهو على حذف مضاف، أي: بذكر عقود، وإضافة «العقود» لـ«حلاه» من إضافة المشبه به للمشبه. (وأفضل الصلاة وأتمُّ التسليم على سيدنا ومولانا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين،(١) سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد للّه رب العالمين).

كمل هذا الشرح في نهار السبت في التاسع عشر من شهر ربيع الثاني، سنة ألف ومائتين وثلاث وتسعين (١٢٩٣)، وكان ابتداؤه نهار الأربعاء في الثامن عشر من شهر ربيع الأول في ذلك العام،والحمد للّه أولا وآخرا، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

---

(١) قوله: (وأفضل الصلاة وأتمُّ التسليم على سيدنا ومولانا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين) وفي المطبعة العامرة: «صلى اللّه على سيدنا محمد، صلى اللّه عليه وسلم».

الفهرس

مدارج الصعود إلى اكتساء البرود